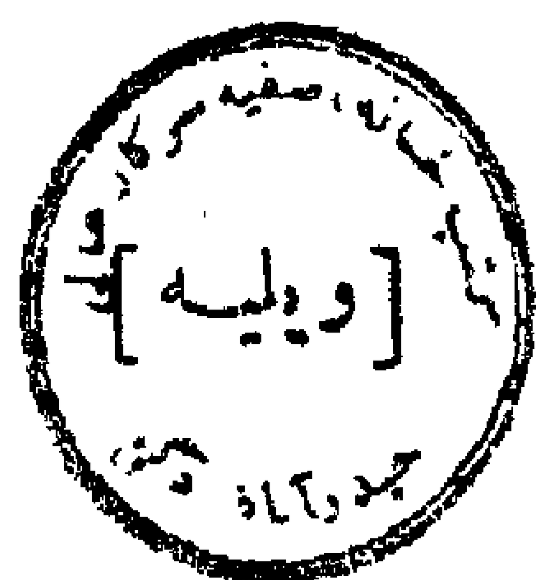
إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد

تأليف

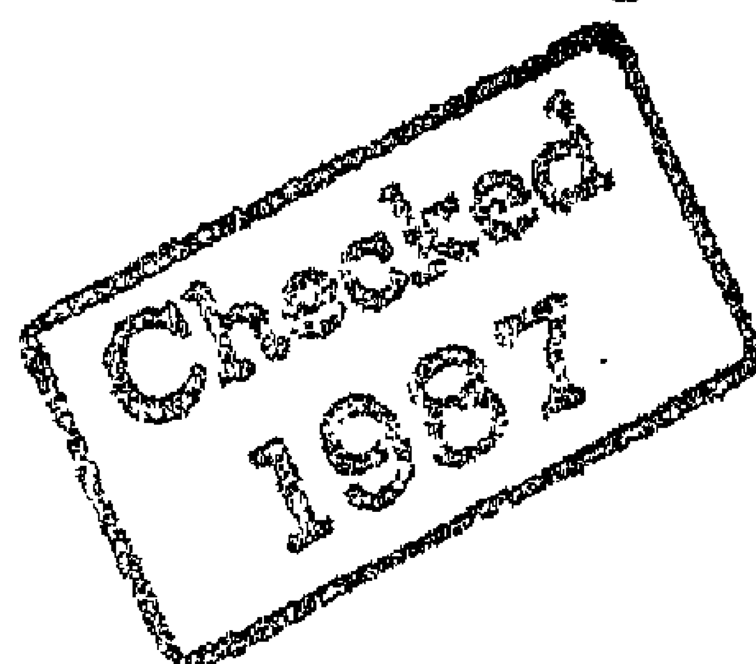
زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين المليباري

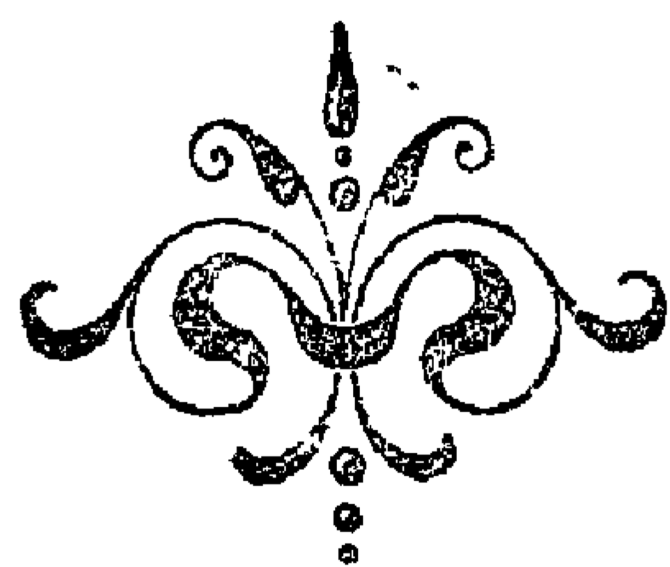


[ويليه]

مختصر جليل يتضمن أحاديث وآثارا ومواعظ تتعلق بالموت

وما بعده : للمؤلف المذكور





الطبعة الثانية

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م - ٧٠

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

قرآن كريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أرشدنا الى طاعته ، وزجرنا عن معصيته ، وأشهد أن لا إله إلا الله إقرارا بوحدانيته ، وأشهد أن محمدا رسول الله اعترافا بنبوّته ، والصلاة والسلام على من أرسله الله لارشاد العباد ، وعلى آله وصحبه المهتدين الى سبيل الرشاد .

[و بعد] فهذا كتاب انتخبته من كتابى الزواجر ومرشد الطلاب لشيخى مشايخ الاسلام وملكى العلماء الاعلام شيخنا الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى ، وجدّنا زين الدين ابن على المعبرى رضى الله عنهما وحشرنا فى زمرتهما ، وزدت فيه ماتيسر من الأحاديث والمسائل الفقهيات ، والمواعظ والحكايات . وسميته [بارشاد العباد الى سبيل الرشاد] راجيا من الله الجواد ، أن يرشدنى به وجميع العباد ، الى دار الخلود انه كريم ودود .

روى الشيخان البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه » .

باب الايمان

قال الله تعالى [ياأيها الناس اعبدوا] أى وحدوا [ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون] عقابه [الذى جعل] أى خلق [لكم الأرض فراشا] أى بساطا يفترش [والسماء بناء] سقفا [وأنزل من السماء ماء فأخرج به من] أنواع [الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا] أى شركاء فى العبادة [وأنتم تعلمون] أنه الخالق ولا يخلقون ، ولا يكون إلها إلا من يخلق ، وقال تعالى [ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا] أى نارا شديدة .

وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ،لايرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبىّ ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه . وقال

يامحمد أخبرنى عن الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا . قال صدقت . قال فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال فأخبرنى عن الايمان ، قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشرّه من الله تعالى ، قال صدقت ، قال فأخبرنى عن الاحسان ، قال أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك . قال فأخبرنى عن الساعة : أى عن زمن وجود يوم القيامة ، قال ماالمسئول عنها بأعلم من السائل . قال فأخبرنى عن أمارتها ، قال أن تلد الأمة ربتها : أى سيدتها : يعنى يكثر عقوق الأولاد لأمهاتهم فيعاملونهنّ معاملة السّيد أمته من الاهانة والسب ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان : يعنى يصير الأسافل كالملوك ، ثم انطلق فلبثت مليا أى زمانا كثيرا ، ثم قال ياعمر أتدرى من السائل ؟ . قلت الله ورسوله أعلم . قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » قال التاج السبكى : الاسلام أعمال الجوارح ولا يعتبر الامع الايمان والايمان تصديق القلب ولا يعتبر إلا مع التلفظ بالشهادتين ، ونقل النووى فى شرح مسلم اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلدا فى النار انتهى .

واعلم أنه يشترط فى اسلام كل كافر التلفظ بالشهادتين لا الاتيان بلفظ أشهد ، فالأظهر الاكتفاء بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهو مقتضى كلام الروضة ، لكن الذى اعتمده بعض المتأخرين اشتراطه ، وهو مقتضى كلام العباب ، فعليه لوقال أعلم أوأسقطهما . فقال لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يكن مسلما ، ولبعض أئمتنا رأى ثالث ، وهو اشتراط أشهد أومرادفها كأعلم ، فينبغى لكل من يسلم الاحتياط بأن يقول : أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، ومعنى أشهد أعلم وأبين ، ويشترط ترتيبهما فلا يصح الايمان بالنبى قبل الايمان بالله ، لاالموالاة بينهما ولاالعربية وان أحسنها ، لكن يشترط فهم معنى ماتلفظ به ، وهو أنه لامعبود بحق فى الوجود الا الله المنفرد بالألوهية ، وأن يزيد المشرك كفرت بما كنت أشركت به وأنا برىء من كل دين يخالف دين الاسلام ، فلايصير المشرك مؤمنا حتى يضم الى الشهادتين ذلك كما فى الروضة والعباب . وقيل لايجب زيادة ذلك .

واعلم أن الايمان بالله اعتقاد أنه واحد لا نظير له فى ذاته وصفاته ولاشريك له فى الالوهية ، وهى استحقاق العبادة ، وأنه قديم لاابتداء لوجوده ، وباق لاانتهاء لأبديته ، وبالملائكة اعتقاد أنهم مكرمون لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون صادقون فيما أخبروا به ، وبالكتب اعتقاد أنها كلام الله الازلى القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت وأن كل ماتضمنته حق وأن الله تعالى أنزلها على بعض رسله بألفاظ حادثة فى ألواح أوعلى لسان الملك ، وبالرسل اعتقاد أن الله أرسلهم الى الخلق ونزههم عن كل وخيمة ونقص فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوّة وبعدها ، وباليوم الآخر ، وهو من الموت الى آخر مايقع اعتقاد وجوده وما اشتمل عليه من سؤال الملكين ونعيم القبر أوعذابه والبعث والجزاء والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ، وبالقدر اعتقاد أن ماقدّره الله فى الأزل لابد من وقوعه ومالم يقدره يستحيل وقوعه ، وأنه تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق ، وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره . وأخرج أحمد والحاكم

عن أبي هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ « جددوا ايمانكم قيل وكيف نجدد إيماننا يارسول الله ؟ . قال أكثروا من قول لا إله الا الله » . والشيخان عن عثمان بن مالك « ان الله قد حرم على النار من قال لا إله الا الله يبتغى بذلك وجه الله » . وابن عساكر عن على رضى الله عنه عن النبي ﷺ حدثنى جبريل . قال « يقول الله تعالى : لا إله إلا الله حصنى فمن دخله أمن من عذابى » . والطبرانى عن أبى الدرداء « ليس من عبد يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلا بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولم يرفع لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد » . وابن ماجه عن أم هانى « لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنبا » . والترمذى والنسائى عن جابر « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » والنسائى عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال « قال موسى عليه السلام يارب علمنى شيئا أذكرك به . فقال قل لا إله إلا الله . فقال يارب كل عبادك يقول هذا إنما أريد شيئا تخصنى به ، فقال ياموسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع جعلت فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لمالت بهن لا إله إلا الله » . وأبو يعلى عن أبى بكر رضى الله عنه وعن ذريته « عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار وأكثروا منهما فان إبليس قال : أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء وهم يحسبون أنهم مهتدون » . وابن أبى الدنيا والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه « حضر ملك الموت رجلا يموت فشق أعضاءه فلم يجد عملا خيرا ، ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول : لا إله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص » . وأبو داود وأحمد عن معاذ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » نسأل الله الكريم الودود أن يختم كلامنا بكلمة التوحيد .

وحكى امامنا محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه : قال رأيت بمكة نصرانيا يدعى بالأسقف وهو يطوف بالكعبة ، فقلت له ما الذى رغبك عن دين آبائك ؟ . فقال بدلت خيرا منه قلت : فكيف كان ذلك ؟ فحكى لى أنه ركب البحر . قال فلما توسطنا فيه انكسرت المركب فسلمت على لوح فمازالت الأمواج تدافعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها أثمار أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر جار عذب . قال فقلت الحمد لله على ذلك آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتى الله تعالى بالفرج ، فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسى من الدواب فعلوت شجرة ونمت على غصن ، فلما كان فى وسط الليل واذا بدابة على وجه الماء تسبح الله تعالى بلسان فصيح : لا إله الا الله العفار ، محمد رسول الله النبى المختار . فلما وصلت الدابة الى البر اذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخفت على نفسى الهلكة فنزلت من الشجرة ووليت هاربا فالتفتت الى وقالت قف والا هلكت فوقفت فقالت لى مادينك ؟ ، فقلت النصرانية . فقالت ويحك ياخاسر ارجع الى الحنيفية فانك قد حللت بفناء قوم من مؤمنى الجن لا ينجو منهم الا مسلم ، فقلت وكيف الاسلام . قالت تشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلتها ، ثم قالت الدابة تريد المقام هنا أم الرجوع الى أهلك ؟ فقلت الرجوع الى أهلى ، فقالت امكث مكانك حتى يجتاز بك مركب فمكثت مكانى ونزلت الدابة فى البحر فما غابت عن عينى حتى مر مركب وركاب فأشرت اليهم فحملونى فاذا

فى المركب اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فأخبرتهم خبرى وقصصت عليهم قصتى فأسلموا كلهم .

وحكى الشيخ عبد الله اليافعى رحمه الله فى كتابه [روض الرياحين] : أنه كان فى الأمم الماضية ملك تمرّد على ربه فغزاه المسلمون فأخذوه أسيرا فقالوا بأىّ قتلة نقتله فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا له قمقما عظيما ويجعلوه فيه وتوقد تحته النار ولايقتلوه حتى يذيقوه طعم العذاب ففعلوا ذلك به فجعل يدعو آلهته واحدا بعد واحد يافلان إنما كنت أعبدك أنقذنى مما أنا فيه ، فلما رأى الآلهة لاتغنى عنه شيئا رفع رأسه الى السماء وقال لاإله الا الله ودعا مخلصا فصبّ الله عليه مثعب ماء (١) من السماء فاطفأ تلك النار ، وجاءت ريح فاحتملت ذلك القمقم وجعلت تدور به بين السماء والأرض ، وهو يقول : لاإله الا الله فقذفته الى قوم لايعبدون الله عزّوجل ، وهو يقول : لاإله الا الله فاستخرجوه وقالوا ويحك مالك ؟ فقال أنا ملك بنى فلان كان من أمرى وخبرى كيت كيت ، وقصّ عليهم القصة فآمنوا .

وحكى فيه أيضا عن الشيخ أبى زيد القرطبى قال : سمعت فى بعض الآثار أن من قال لاإله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد فعملت منها لأهلى وعملت منها أعمالا ادّخرتها لنفسى ، وكان إذ ذاك يبيت معنا شاب يقال انه يكاشف فى بعض الأوقات بالجنة والنار ، وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه ، وكان فى قلبى منه شئ ، فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول : ياعم هذه أمى فى النار ، وهو يصيح بصياح عظيم لايشك من سمعه أنه عن أمر ، فلما رأيت مابه من الانزعاج قلت فى نفسى اليوم أجرب صدقه فألهمنى الله السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك أحد الا الله ، فقلت فى نفسى الأثر حق والذين رووه صادقون : اللهم ان السبعين ألفا فداء هذه المرأة أم هذا الشاب فما استتممت الخاطر فى نفسى الا أن قال : ياعمّ هاهى أخرجت الحمد لله .

فصل فى الردة

هى أفحش أنواع الكفر . قال الله تعالى ـ ان الله لايغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالا بعيدا ـ وقال تعالى ـ انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ـ . وأخرج ابن ماجه والبيهقى عن أبى الدرداء . قال « أوصانى خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لاتشرك بالله شيئا وان قطعت أو حرقت ، ولاتترك صلاة مكتوبة متعمدا ، فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ، ولا تشرب الخمر فانه مفتاح كل شر » . والطبرانى « من بدل دينه فاقتلوه ولايقبل الله توبة عبد كفر بعد اسلامه » أى مادام مصرّا على كفره . والشافعى والبيهقى « من غير دينه فاضربوا عنقه » أعاذنا الله منها بمنه وكرمه .

واعلم أن من أنواعها : أن يعزم مكلف مختار على الكفر فى زمن قريب أو بعيد ، أو يتردد فيه ، أو يعلقه باللسان أو القلب على شيء ولو محالا عقليا فيكفر حالا أو يعتقد مايوجبه أو يفعله ، أو يتلفظ بما يدل عليه مع اعتقاد أو عناد أو استهزاء : كأن يعتقد قدم العالم أو الروح أو حدوث الصانع ، أو ينفى ماهو ثابت لله تعالى بالاجماع : كالعلم والقدرة ، أو يثبت ماهو منفى عنه بالاجماع

---

(١) مثعب الماء . مسيله اه قاموس

كالدين ، أو يعتقد وجوب غير واجب كصلاة سادسة وصوم غير رمضان ، أو يشك فى تكفير اليهود والنصارى ، وكأن يسجد لمخلوق كصنم وشمس ، أو يمشى الى الكنائس مع أهلها بزيهم من الزنانير وغيرها أو يلقى ورقة فيها شىء من القرآن أو العلم الشرعى أو اسم الله تعالى أو اسم نبى أو ملك فى مستقذر ولو طاهرا كبزاق أو مخاط أو يلطخ ذلك ، أو مسجدا بنجس ولو معفوا عنه ، وكأن ينكر نبوة نبى أجمع عليها أو انزال كتاب كذلك كالتوراة والانجيل وزبور داود وصحف ابراهيم أو آية من القرآن مجمعا عليها كالمعوذتين ، أو ينكر وجوب واجب ، أو ندب مندوب ، أو تحريم حرام أو تحليل حلال أجمع عليها وعلم من الدين ضرورة كركعة من احدى المكتوبات وصوم رمضان وكالرواتب وصلاة العيد ، وكشرب الخمر ، والزنا واللواط ووطء الحائض ، وإيذاء مسلم ، وأخذ مكس وربا ورشوة ، وصلاة بلا وضوء ، وكالبيع والنكاح ، أو ينكر اعجاز القرآن ، أو صحبة أبى بكر رضى الله عنه ، أو البعث ، أو الجنة ، أو النار ، أو كأن يكذب نبيا ، أو يستخف به ، أو بملك ، أو يسبهما ولو تعريضا ، أو يقذف عائشة رضى الله عنها ، أو يدعى النبوة ، أو يصدق مدعيها ، وكأن يرضى بالكفر كاكراه مسلم عليه ، أو اشارته عليه به ، أو اشارته على كافر بأن لا يسلم وان لم يستشره ، وكمنع تلقين كافر كلمة الاسلام اذا طلبه واستمهاله منه ولو ساعة بخلاف الدعاء بنحو لا رزقه الله الايمان أو سلبه عن فلان المسلم ان أراد تشديد الأمر لا الرضا به ، وكأن يفضل الولى على النبى أو يجوز بعثة نبى بعد نبينا ﷺ ، وكأن يقول انه رأى الله عيانا فى الدنيا ، أو كلمه شفاها ، أو أن الله يحل فى صورة حسنة ، أو انه يطعمه ويسقيه ، أو أسقط عنه التمييز بين الحلال والحرام ، أو ان العبد يصل الى الله من غير طريق العبودية ، أو انه وصل رتبة سقط عنه التكليف بها ، وكذا يكفر من سخر باسم الله تعالى ، أو بنبيه أو بأمره أو نهيه ، أو بوعده أو وعيده ، أو صغر اسم الله أو وصفه كـ . . . أو غير شىء من القرآن ، أو زاد كلمة فيه معتقدا أنها منه ، أو بسمل عند شرب خمر ، أو زنا استخفافا باسم الله ، أو قال لو أمرنى الله أو رسوله بكذا لم أفعله ، أو أنه لو أعطانى الجنة مادخلتها استخفافا أو عنادا . أو لو آخذنى بترك الصلاة مع مابى من الشدة والمرض ظلمنى ، أو لو شهد عندى نبى أو ملك ماصدقته ، أو قال المؤذن يكذب ، أو صوته كالجرس وأراد تشبيهه بناقوس الكفرة ، أو الاستخفاف بالاذان ، ومن قال مستخفا شبعت من القرآن أو الصلاة أو الذكر ، أو لا أخاف القيامة ، أو أى شىء المحشر ، أو جهنم ، أو أى شىء عملت ، وقد ارتكب معصية ، أو أى شىء أعمل بمجلس العلم ، وقد صرح بحضوره ، أو قصعة ثريد خير من العلم ، ولعنة الله على كل عالم ان لم يرد الاستغراق ولم يشترط استخفاف لشموله الأنبياء والملائكة . أو تشبه بالعلماء ، أو الوعاظ ، أو المعلمين على هيئة مزرية بحضرة جماعة حتى يضحكوا أو يلعبوا استخفافا أو ألقى فتوى عالم ، أو قال أى شىء هذا الشرع وقصد الاستخفاف ، ومن تمنى كفرا ثم اسلاما حتى يعطى دارهم مثلا أو أن لا يحرم الله مالم يكن حلالا فى زمن قط كالزنا ، والظلم والقتل أو نسب الله الى الجور فى التحريم ، أو قال فى المكس ونحوه انه حق السلطان معتقدا أنه حق ، ومن لبس زى كافر ميلا لدينه ، أو ضلل الأمة أو سب الشيخين أو الحسن والحسين ، ومن قيل له ما الايمان . فقال لا أدرى استخفافا ، أو ألست مسلما ؟ فقال لا عمدا ، أو لم تأمر بالمعروف ، فقال مالى بهذا الفضول أو قلم أظفارك فهو سنة فقال استهزاء بها لا أفعل وان كان سنة ، ومن قال لحوقل الحوقلة لا تغنى من جوع ، أو لمن شمت

كبيرا بيرحمك الله لاتقل هكذا قاصدا أنه غني عن الرحمة ، أوأجل من أن يقال له ذلك، أولمن فعل قبيحا شرعا كقتل السارق وضرب المسلم ظلما أحسنت أولزوجته أنت أحب الى من الله ورسوله وأراد محبة التعظيم لا الميل أولمسلم يا كافر بلاتأويل أودع العبادات الظاهرة الشأن في عمل الأسرار، ومن قال انه يوحى اليه وان لم يدّع نبوة ، أوأنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور قبل موته ، أوأن النبوّة مكتسبة أو أن مرتبتها تنال بصفاء القلب أوان صدق الأنبياء فيما قالوه نجونا ، أوالله يعلم انى فعلت كذا وهو كاذب فيه أومطرنا بنجم كذا مريدا أن للنجم تأثيرا فيه ، ومن قال ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كان أسود أوليس بقرشي أوعربي أوانسي أولا أدرى أهو الذى بعث بمكة أومات بالمدينة . أعاذنا الله من الكفر وحمانا مما يجرّ اليه . وروى مسلم عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك انى قد كبرت فابعث إليّ غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه ، وكان فى طريقه اذا سلك راهب فقعد اليه وسمع كلامه ، وكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه ، فاذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك الى الراهب ، فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى ، واذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر ، فبينما هو على ذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجرا فقال : اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره . فقال له الراهب: أى بنىّ أنت اليوم أفضل منى وقد بلغ من أمرك ماأرى وانك ستبتلى ، وان ابتليت فلاتدل علىّ وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء فسمع جليس الملك ، وكان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة . فقال هى لك ان أنت شفيتنى ، فقال انى لاأشفى أحدا انما يشفى الله ، فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله ، فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس . فقال له الملك من ردّ عليك بصرك . فقال ربى . قال أولك رب غيرى ؟ قال ربى وربك الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجئ بالغلام . فقال له الملك أى بنىّ قد بلغ من سحرك ماتبرئ به الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل . فقال انى لاأشفى أحدا انما يشفى الله تعالى فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجئ بالراهب فقيل ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جئ بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جئ بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه ، فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل ، فاذا بلغتم ذروته ، فان رجع عن دينه والافاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل . فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك ، فقال له الملك مافعل أصحابك ؟ . قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من أصحابه ، فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور وتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والافاقذفوه فذهبوا به . فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك . فقال له الملك مافعل أصحابك ؟ . قال كفانيهم الله ، فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به . قال ماهو ؟ قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع . ثم خذ سهما من كنانتى ،

ثم ضع السهم فى كبد القوس ، ثم قل بسم الله رب الغلام ، ثم ارم فانك اذا فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهما من كنانته ، ثم وضع السهم فى كبد القوس ، ثم قال بسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه فمات ، فقال الناس آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذره قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم فيها النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أوقيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست فقال الغلام يا أمه اصبرى فانك على الحق » .

وحكى ابن الجوزى عن أبى على البربرى قال : ان ثلاثة اخوة من الشام كانوا يغزون وكانوا فرسانا شجعانا فأسرهم الروم مرة ، فقال الملك : انى أجعل فيكم الملك وأزوجكم بناتى وتدخلون فى النصرانية فأبوا وقالوا يامحمداه ، فأمر بثلاث قدور فصب فيها الزيت ، ثم أوقد تحتها النار ثلاثة أيام يعرضون فى كل يوم على تلك القدور ويدعون الى النصرانية فيأبون فألقى الأكبر فى القدر ، ثم الثانى ثم أدنى الأصغر فجعل يفتنه عن دينه بكل أمر فقام اليه علج ، فقال أيها الملك أنا أفتنه عن دينه ، قال بماذا ؟ قال قد علمت أن العرب أسرع شئ الى النساء وليس فى الروم أجمل من بنتى فادفعه الىّ حتى أخليه معها فانها ستفتنه فضرب له أجلا أربعين يوما ودفعه اليه فجاءبه فأدخله مع ابنته وأخبرها بالأمر ، فقالت له دعه فقد كفيتك أمره فأقام معها نهاره صائم وليله قائم حتى مضى أكثر الأجل ، فقال العلج لابنته ماصنعت ؟ قالت ماصنعت شيئا ، هذا رجل فقد أخويه فى هذه البلدة فأخاف أن يكون امتناعه من أجلهما كلما رأى آثارهما ، ولكن استزد الملك فى الأجل وانفنى واياه الى بلد غير هذا فزاده أياما فأخرجهما الى قرية أخرى فمكث على ذلك أياما صائم النهار وقائم الليل حتى اذا بقى من الأجل أيام ، قالت له الجارية ليلة ياهذا انى أراك تقدس ربا عظيما ، وانى قد دخلت معك فى دينك وتركت دين آبائى . قال لها فكيف الحيلة فى الهرب . قالت أنا أحتال لك وجاءته بدابة فركبا وكانا يسيران الليل ويكمنان النهار ، فبينما هما يسيران ليلة اذ سمعا وقع خيل ، فاذا بأخويه ومعهما ملائكة رسلا اليه فسلم عليهما وسألهما عن حالهما ، فقالا ما كانت الا الغطسة التى رأيت حتى خرجنا فى الفردوس وان الله أرسلنا اليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة فزوجوه اياها ورجعوا وخرج الى بلاد الشام فأقام معها ، ثبتنا الله بالقول الثابت وحمانا من الكفر والنفاق .

[تنبيهات : أحدها] ان من ارتكب مكفرا يحبط جميع أعماله ويجب عليه قضاء الواجب منها وينفسخ النكاح حالا ولو بعد الدخول عند جماعة من الأئمة : كأبى حنيفة ، بل عند امامنا الشافعى رضى الله عنهما أن ثواب العمل يحبط ، لكن لايحبط نفس العمل : أى من حيث انه لايجب القضاء ، وان النكاح ينفسخ حالا ان كان قبل الدخول ، وبعد العدة ان كان بعده .

الثانى : أنه يجب على الامام أونائبه استتابته فورا ويحرم امهاله ، فان تاب قبل منه على الأصح والا فيقتله بضرب عنقه لابنحو احراق ولايدفن فى مقبرة المسلمين .

وثالثها : أنه يشترط فى صحة توبته النطق بالشهادتين فلا يحصل اسلامه ككافر أصلى الا بذلك ويزيد حتما من كفر بانكار معلوم من الدين بالضرورة اعترافه بما كفر بانكاره ، وندب لكل

مرتد الاستغفار .

باب العلم

قال الله تعالى [يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات] أى ويرفع درجات العلماء منهم خاصة ، وقال الله عز وجل [قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون] أى لا يستويان . وأخرج ابن عبد البر عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « اطلبوا العلم ولو بالصين ، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب» . والديلمى عن ابن عباس «طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة ، وطلب العلم يوما خير من صيام ثلاثة أشهر » . والترمذى عن سخبرة «من طلب العلم كان كفارة لما مضى » . والشيرازى عن عائشة رضى الله عنها « من انتقل ليتعلم علما غفر له قبل أن يخطو » . وابن عساكر والديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما « خير سليمان عليه السلام بين المال والملك والعلم فاختار العلم فأعطى الملك والمال لاختياره العلم» . والطبرانى عن أبى أمامة «أيما ناشئ نشأ فى طلب العلم والعبادة حتى يكبر أعطاه الله يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صدّيقا » . وابن النجار عن أنس « العلماء ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان فى البحر اذا ماتوا الى يوم القيامة » . والبخارى عن معاوية « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » . والطبرانى والبيهقى عن أبى هريرة «ما عبد الله بشئ أفضل من الفقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شىء عماد وعماد هذا الدين الفقه » وابن النجار عن محمد بن على «ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم » وأبو نعيم والخطيب عن أبى هريرة «خيار أمتى علماؤها وخير علمائها رحماؤها . ألا وان الله تعالى ليغفر للعالم أربعين ذنبا قبل أن يغفر للجاهل ذنبا واحدا . ألا وان العالم الرحيم يجىء يوم القيامة وان نوره قد أضاء يمشى فيه ما بين المشرق والمغرب كما يضىء الكوكب الدرّى» . والديلمى عن ابن عباس « اذا مات العالم صوّر الله علمه فى قبره يؤنسه الى يوم القيامة ويدرأ عنه هوامّ الأرض » . وأبو الشيخ والديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما « اذا اجتمع العالم والعابد على الصراط . قيل للعابد ادخل الجنة وتنعم بعبادتك . وقيل للعالم قف هنا فاشفع لمن أحببت فانك لاتشفع لأحد الاشفعت فقام مقام الأنبياء » . والخطيب عن عثمان رضى الله عنه « أول من يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » . وعن أنس « فضل العالم على غيره كفضل النبى على أمته » . وعن جابر « أكرموا العلماء فانهم ورثة الأنبياء ، فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله » وابن عساكر عن أبى سعيد « من علم آية من كتاب الله أو بابا من علم أنمى الله أجره الى يوم القيامة» . وابن ماجه عن معاذ بن أنس « من علم علما فله أجر من عمل به ولا ينقص من أجر العامل » وأحمد عن معاذ «لان يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا ومافيها » وابن النجار عن ابن عباس « الغدوّ والرواح الى المساجد فى تعليم العلم أفضل عند الله من الجهاد فى سبيل الله » والطبرانى عن ابن مسعود «أيما رجل آتاه الله علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » والنسائى عن أبى هريرة « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » يعنى ريحها . وابن ماجه عنه « من تعلم العلم ليباهى به العلماء

أو يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله جهنم » وابن أبي الدنيا والبيهقي عن الحسن مرسلا «مامن عبد يخطب خطبة الا الله سائله عنها يوم القيامة ما أراد بها» قال فكان مالك بن دينار اذا حدّث بهذا بكى ، ثم يقول أتحسبون عيني تقرّ بكلامي عليكم وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ما أردت به ، فأقول أنت الشهيد على قلبي لولم أعلم أنه أحب اليك لم أقرأ على اثنين أبدا . وقال شيخنا شيخ مشايخ الاسلام والمسلمين قطب الزمان شمس دائرة العرفان ، لسان الملكوت القدسي في عالم التمكين زين العابدين أبو بكر محمد بن أبي الحسن البكرى الصدّيقي رضى الله عنه فيما أوصاني به : اجعل الاخلاص فيما تفيده وتستفيده شعارك والأدب مع الله فيما تعلمه وتتعلمه دثارك ولاتسخر على طالب بتعليم ماعلمه الله إياك متحدّيا فيه تحرى من يعلم أن الله يراه انتهى ، رزقنا الله الاخلاص في طلب العلم ونشره وفي جميع الطاعات . وفي الغاية للحصني قال السيد الجليل ضرار بن عمرو : ان قوما تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب وصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه خالفوا فهلكوا ، والذي لا إله غيره ماعمل عامل على جهل الا كان مايفسد أكثر مما يصلح ، وصفهم بالهلاك .

[تنبيه] ان أوّل واجب على الآباء للأولاد تعليمهم أن النبيّ صلى الله عليه وسلم بعث بمكة ومات ودفن بالمدينة . اعلم ان أوّل مايلزم المكلف تعلم الشهادتين ومعناهما وجزم اعتقاده ، ثم تعلم ظواهر علم التوحيد وصفات الله تعالى وان لم يكن عن الدليل ، ثم مايحتاج اليه لاقامة فرائض الدين كأركان الصلاة والصوم وشروطهما ، والزكاة ان ملك مالا نصابا ولوكان هناك ساع ، والحج ان كان مستطيعا له ، ثم علم الأحكام التي يكثر وقوعها ان أراد أن يباشر عقدا بيعا كان أوغيره كالأركان ، والشروط لاسيما في الربويات لمن خاض فيها ، وكراجعات القسم بين الزوجات والقيام بالمماليك ، ويجب أيضا تعلم دواء أمراض القلب : كالحسد والرياء والعجب والكبر واعتقاد مايرد به الكتاب والسنة .

باب الوضوء

أخرج الشيخان عن أبي هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ « لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ » . وأبو الشيخ عن ابن مسعود « أمر بعبد من عباد الله تعالى يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة فامتلأ قبره عليه نارا ، فلما ارتفع عنه قال الام جلدتموني . قيل انك صليت صلاة بغير طهور ومررت بمظلوم فلم تنصره » . والبيهقي عن سلمان « اذا توضأ العبد تحاتت عنه ذنوبه كما تحات ورق هذه الشجرة » . ومسلم عن أبي هريرة « اذا توضأ العبد المسلم أوالمؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أومع آخر قطر الماء ، فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أومع آخر قطر الماء ، فاذا غسل رجليه خرج من رجليه كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أومع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب » ، وأبو داود عن ابن عمر « من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات » .

وحكى الغزالي : أنه رؤى بعض الموتى في المنام فقيل له كيف حالك ؟ . فقال صليت يوما

بالوضوء فوكل علىّ ذئب يروعني في قبري فخالي معه في أسوإ حال .

وحكي أنه رمدت عين الجنيد مرة . فقال الطبيب ان ترد عينيك فلا توصل اليهما ماء ، فلما ذهب الطبيب توضأ وصلى ونام فبرئت عينه فسمع هاتفا يقول : ترك الجنيد عينه في رضاي ، فلوطلب مني الجهنميين بذلك العزم لأجبت ، فلما جاء الطبيب ورأى العين صحيحة قال مافعلت؟ . قال توضأت وصليت وكان الطبيب نصرانيا فآمن في الحال . وقال هذا علاج الخالق لا المخلوق وكنت أنا أرمد وكنت أنت الطبيب .

وحكى اليافعي عن سهل بن عبد الله . قال أول مارأيت من العجائب والكرامات أني خرجت يوما الى موضع خال فطاب لي المقام فيه ووجدت من قلبي ميلا الى الله عز وجل وحضرت الصلاة وأردت الوضوء وكانت عادتي من صباي تجديد الوضوء لكل صلاة فكأني اغتممت لفقد الماء ، فبينما انا كذلك واذا دب يمشي على رجليه كأنه انسان معه جرة خضراء قد أمسك بيده عليها ، فلما رأيته من بعيد توهمت أنه آدمي حتى دنا مني وسلم علىّ ووضع الجرة بين يدىّ فجاءني اعتراض العلم . فقلت الجرة والماء من أين هو ؟ فنطق الدب وقال ياسهل انا قوم من الوحوش قد انقطعنا الى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل ، فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا في مسئلة اذ نودينا : ألا أن سهلا يريد ماء لتجديد الوضوء فوضعت هذه الجرة بيدي واذا بجنبي ملكان فدنوت منهما وصبا فيها هذا الماء من الهواء وأنا أسمع خرير الماء . قال سهل فغشي علىّ ، فلما أفقت اذا الجرة [illegible] فلما فرغت أردت ان أشرب منها فنوديت من الوادي : ياسهل لم يأذن لك في شرب هذا الماء بعد ، فبقيت الجرة تضطرب وأنا أنظر اليها فلا أدري أين ذهبت .

فصل في أحكام الوضوء

شروطه : ماء مطلق ، وظن أنه مطلق ، وإسلام ، وتمييز ، وعلم فرضيته ، وعدم ظن فرضه نفلا ، وعدم حائل ، ولا مغير للماء على العضو كوسخ تحت ظفر ، وكزعفران وصندل ، وجري الماء عليه ودخول وقت لدائم حدث .

وفروضه : نية أداء فرض الوضوء أو الطهارة أو الاستباحة لصلاة عند غسل أول جزء من الوجه ، وغسل الوجه واليدين مع المرفقين ، ومسح بعض الرأس ، وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب .

[illegible] في تطهير عضو قبل الفراغ من الوضوء [illegible] بعد الفراغ لم يؤثر

وسننه : التسمية . قال رسول الله ﷺ « لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » رواه أحمد وأبو داود ، ثم غسل الكفين ثم السواك بكل خشن لا الصائم بعد الزوال . قال رسول الله ﷺ « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء » رواه الشافعي ثم المضمضة والاستنشاق والمبالغة فيهما لغير صائم وجمعهما بثلاث غرف والاستنثار ومسح كل الرأس والأذنين ظاهرا وباطنا وتخليل شعر كثيف من لحية وعارض وأصابع اليدين بالتشبيك والرجلين من أسفل بخنصر يده اليسرى . قال رسول الله ﷺ « أتاني جبريل فقال اذا توضأت فخلل لحيتك » رواه ابن أبي شيبة . وقال صلى الله عليه وسلم « خللوا أصابعكم لايخلل

الله بينها بالنار ثم قال ويل للأعقاب من النار » رواه الدارقطنى ، ودلك الأعضاء وأن يقول ثلاثا آخره مستقبلا الى القبلة رافعا يديه و بصره الى السماء ولو أعمى : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : اللهم اجعلنى من التوّابين واجعلنى من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك : أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم وأن يقرأ إنا أنزلناه بعده كذلك . قال رسول الله ﷺ « من توضا فأحسن الوضوء ثم رفع بصره الى السماء ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده الى آخره فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء » رواه مسلم ، وقال ﷺ « من توضأ فقال بعد فراغه سبحانك اللهم وبحمدك انى أتوب اليك كتب فى رق ثم جعل فى طابع فلم يكسر الى يوم القيامة » رواه الحاكم ، وقال «من قرأ سورة إنا أنزلناه فى أثر وضوئه مرة كان من الصدّيقين ، ومن قرأها مرتين كتب فى ديوان الشهداء ، ومن قرأها ثلاثا حشره الله مع الأنبياء » رواه الديلمى ، وتثليث كلّ والتوجه للقبلة فى كلّ ، وقرن النية بأوّل السنن المتقدمة على غسل الوجه ليثاب عليها ، والتلفظ بها سرا ، وتعهد الغضون وكذا الموق واللحاظ بالسبابة اذا لم يكن فيهما رمص يمنع وصول الماء الى محله والا فواجب ، وأخذ ماء الوجه بكفيه معا وعدم لطمه به والبداءة فيه بأعلاه ، وفى اليدين والرجلين بالأصابع وان صبّ عليه غيره ، وفى الرأس بمقدمه واطالة الغرة والتحجيل قال رسول الله ﷺ « ان أمتى يدعون يوم القيامة غرّا محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل » رواه الشيخان ، وقال ﷺ « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » رواه مسلم ، والتيامن والولاء وترك التكلم والاستعانة والتنشيف والنفض بلا حاجة وتوقى الرشاش ووضع مايغترف منه عن يمينه وما يصبّ منه عن يسره والشرب من فضل وضوئه والاجتهاد فى إسباغ الوضوء . قال رسول الله ﷺ « لا يسبغ عبد الوضوء الا غفرله ماتقدّم من ذنبه وما تأخر » ورش ماء بين إزاره بعده كبعد استنجاء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتانى جبريل فى أوّل ما أوحى الىّ فعلمنى الوضوء ، فلما فرغ الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه » رواه أحمد والحاكم ، لامسح الرقبة ودعاء الأعضاء : أما حديثهما فموضوع أوشديد ضعفه فلا يعمل بهما .

[فرع] يقتصر حتما على الواجب لضيق وقت عن إدراك الصلاة كلها فيه ، و إدراك جماعة أولى من التثليث وسائر سنن الوضوء غير الدلك مالم يرج جماعة أخرى [ومكروهاته] الاسراف فى الماء وتقديم اليسرى على اليمنى والنقص عن الثلاثة والزيادة عليها من غير ماء موقوف ، فنه حرام . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هكذا الوضوء ، فمن زاد على هذا أونقص فقد أساء وظلم » رواه أبو داود .

وحكى الشيخ معين الدين حسن السجزى : أنه كان مع الشيخ أجل سرى يوما ، فحضر وقت الصلاة فجدد الشيخ أجل سرى الوضوء وسها عن تخليل الاصابع ، فهتف هاتف ياأجل تدعى محبة محمد ﷺ وتكون من أمته وتترك سنته ، فحلف الشيخ أجل لاأترك سنة من سننه عليه الصلاة السلام من وقتنا هذا الى وقت الموت . وقال الشيخ معين الدين كنت اذا رأيت الشيخ أجل رأيته كأنه ينام ، فسألته عنه فقال أنا من ذلك الوقت الذى نسيت تخليل الاصابع الى هذا

الوقت فى الحيرة كيف ألاقى بهذا الوجه محمدا صلى الله عليه وسلم .

وحكى عن الفضيل بن عياض : أنه نسى فى الوضوء غسل اليد مرتين ، فلما صلى ونام فى تلك الليلة رأى النبي ﷺ فقال : يافضيل العجب منك أنك تترك فى الوضوء سنتى . فانتبه الفضيل من هيبته وجدّد الوضوء من أوله ، ووظف على نفسه خمسمائة ركعة الى سنة كفارة لذلك نفعنا الله به و بسائر الأولياء ورزقنا اتباعهم .

ونواقضه : تيقن خروج غير منيه ولوريحا من فرج ، وغلبة على العقل ، لابنوم ممكن مقعده ، ومس فرج آدمى ببطن كفه ، وتلاقى بشرتى ذ كر وأنثى بكبر لامع محرمية . و يحرم بالحدث صلاة وطواف وسجود ومس وحمل ما كتب فيه قرآن لدراسة لامع تفسير ، زاد عليه ولاقلب ورقه بعود ان لم ينفصل عليه ، ويجب على نحو الولى منع غير مميز مصحفا ولوحا فيه قرآن ولو بعض آية ، لاممیز لحاجته .

باب الغسل

أخرج الطبرانى عن ابن عمر قال : قال رسول ﷺ « إذا التقى الختانان وغابت الحشفة فقد وجب الغسل أنزل أو لم ينزل » . والنسائى وابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها « إذا استيقظ أحدكم من نومه فرأى بللا ولم ير أنه احتلم اغتسل ، و إذا رأى أنه احتلم ولم ير بللا فلاغسل عليه » . وسمويه عن أنس « إذا وجدت المرأة فى المنام مايجد الرجل فلتغتسل » . والطبرانى عن ابن عباس « ان الملائكة لاتحضر الجنب ولا المتضمخ بالخلوق حتى يغتسلا » . وأبو داود والنسائى « لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولاجنب » . وأحمد وأبو داود عن على رضى الله عنه « من ترك موضع شعرة من جنابة لم يغسلها فعل بها كذا وكذا من النار » . قال على فمن ثم عاديت شعر رأسى وكان يجز شعره . وابن ماجه والترمذى عن أبى هريرة « إن تحت كل شعرة جنابة ، فاغسلوا الشعر وأنقوا البشرة » . وهما عن ابن عمر « لايقرأ الجنب والحائض شيئا من القرآن » . والنسائى عن عائشة رضى الله عنها « وجهوا هذه البيوت عن المسجد فانى لاأحل المسجد لحائض ولا جنب » . وأبى داود والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه « من أتى حائضا فى فرجها أو امرأة فى دبرها أو كاهنا ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » . والشيخان عن عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان جنبا وأراد أن يأكل أوينام توضأ وضوءه للصلاة » . ومسلم عن أبى سعيد الخدرى « إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود ، فليتوضأ بينهما » . والبزار عن ابن عباس « ان الله ينهاكم عن التعرى ، فاستحيوا من ملائكة الله الذين لايفارقونكم إلا عند ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل ، فاذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجذمة حائط أو ببعيره » . وعبد الرزاق عن ابن جريج قال « بلغنى أن النبى ﷺ خرج فاذا هو بأجيرله يغتسل عاريا فقال : لاأراك تستحى من ربك خذ إجارتك لاحاجة لنا بك » .

وحكى أبان بن عبد الله البجلى : هلك جار لنا فشهدنا غسله وحمله الى قبره . فاذا فيه شبيه بالهرة فزجرناه فلم ينزجر فضرب الحفار جبهته ببيرمه فلم يبرح فتحولوا الى قبر آخر ، فلما ألحد فاذا هو فيه فصنعوا به مثل ماصنعوا فلم يلتفت . فقال القوم ان هذا الأمر مارأينا مثله فادفنوا

صاحبكم فدفنوه ، فلما سوى عليه اللبن سمعنا قضقضة عظامه فذهب عمى وغيره الى امرأته فقالوا ماحال زوجك ؟ وحدثوها بما رأوا . فقالت كان لايغتسل من الجنابة .

وحكى الغزالى : أنه رؤى رجل فى المنام فقيل له مافعل الله بك ؟ قال دعنى فانى لم أتمكن من غسل يوما من الجنابة فألبسنى الله ثوبا من النار أتقلب فيه .

وحكى اليافعى : أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام احتلم فى ليلة باردة فأتى الى الماء وهو جامد فكسره واغتسل وكادت روحه تخرج من شدّة البرد ، ثم احتلم فى ليلة ثانيا فأتى الى الماء واغتسل فغشى عليه فسمع يقال له لأعوّضنك بها عز الدنيا والآخرة ، أعزنا الله معه فى الدارين

فصل : موجب الغسل

جنابة بخروج منيه أودخول حشفة أوقدرها فرجا وحيض ونفاس ، ونحو ولادة وموت .

وشروطه : ماء مطلق ، وعدم حائل ، ولا مغير للماء على العضو : كوسخ تحت ظفر ، وكزعفران وصندل وسدر ، وجرى الماء عليه .

وفروضه : نيـة أداء فرض الغسل أورفع نحو الجنابة وتعميم ظاهر البدن حتى ماتحت القلفة من الأقلف بالماء .

[فرع] لايجب تيقن عموم الماء بل يكفى فيه كالضوء غلبة الظن بالعموم .

وسننه : تسمية ، وازالة قذر ، ثم وضوء ، وتخليل ، وتعهـد غضون وموق ولحاظ ودلك ، وتيامن ، وتوجه للقبلة ، وترك استعانة فى صب ، والشهادتان بعده ، وتثليث وولاء .

ومكروهاته : اسراف فى الماء ، وترك وضوء ومضمضة واستنشاق .

باب فضل الصلاة المكتوبة

قال الله تعالى [إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا] مفروضاموقوتا : أى مقدرا وقتها فلا تؤخر عنه ، وقال تعالى [ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله] أى الصلوات الخمس [ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون] وأخرج الحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما . قل : قال رسول الله ﷺ « أوّلماافترض الله على أمتى الصلوات الخمس ، وأوّل مايرفع من أعمالهم الصلوات الخمس وأوّل مايسئلون من أعمالهم الصلوات الخمس فمن كان ضيع شيئا منها يقول الله تبارك وتعالى : انظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صلاة تمون بهامانقص من الفريضة وانظروا فى صيام عبدى شهر رمضان فان كان ضيع شيئا منـه فانظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صيام تمون بها مانقص من الصيام وانظروا فى زكاة عبدى فان كان ضيع شيئا منها فانظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صدقة تمون بها مانقص من الزكاة فيؤخذ ذلك على فرائض الله وذلك برحمة الله وعدله فان وجد فضلا وضع فى ميزانه ، وقيل له ادخل الجنة مسرورا وان لم يوجد له شىء من ذلك أمرت به الزبانية تأخذه بيده ورجليه ، ثم يقذف به فى النار » . ومسلم عن جابر « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس » . وأحمد عن أبى ذرّ « أن النبى ﷺ خرج زمن الشتاء والورق يتهافت

فأخذ بغصنين من شجرة ، قال فجعل ذلك يتهافت . قال : فقال ياأباذر . فقلت لبيك يارسول الله قال : ان العبد المسلم ليصلي الصلاة يريد بها وجه الله فتهافت عنه ذنوبه كما تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة » . والطبراني والبيهقي عن ابن عمر « إن العبد اذا قام يصلي أتى بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه فكلما ركع أوسجد تساقطت عنه ذنوبه» . ومسلم عن عثمان رضي الله عنه « مامن امرئ مسلم يحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها الا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب مالم يأت كبيرة ، وذلك الدهر كله » . والبيهقي عن أنس «مامن حافظين يرفعان الى الله تعالى بصلاة رجل مع صلاة الاقال الله تعالى أشهدكما أني قد غفرت لعبدي مابينهما » وفي كتاب [الزواجر] لشيخنا خاتمة المحققين أحمد بن حجر الهيتمي رضي الله عنه . قال بعضهم ورد في حديث « من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ، ويعطيه الله كتابه بيمينه ، ويمرّ على الصراط كالبرق ، ويدخل الجنة بغير حساب ، ومن تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة : خمسة في الدنيا ، وثلاثة عند الموت ، وثلاثة في قبره ، وثلاثة عند خروجه من القبر . فأما اللواتي في الدنيا ، فالأولى ينزع البركة من عمره ، والثانية يمحى سيما الصالحين من وجهه ، والثالثة كل عمل يعمله لايأجره الله عليه ، والرابعة لايرفع له دعاء الى السماء ، والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين . وأما التي تصيبه عند الموت : فالاولى أنه يموت ذليلا ، والثانية يموت جائعا ، والثالثة يموت عطشان ولوسقي بحار الدنيا ماروي من عطشه . وأما التي تصيبه في قبره : فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ، والثانية يوقد عليه القبر نارا يتقلب على الجمر ليلا ونهارا ، والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرني الله أن أضربك على تضييع صلاة الصبح الى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر الى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر الى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب الى العشاء وأضربك على تضييع صلاة العشاء الى الفجر ، فكلما ضرب ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعا فلا يزال في الأرض معذبا الى يوم القيامة . وأما التي تصيبه عند الخروج من القبر في موقف القيامة فشدة الحساب وسخط الرب ودخول النار » . وفي رواية « فانه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات في السطر الأول يامضيع حق الله ، والسطر الثاني يامخصوصا بغضب الله ، والسطر الثالث ضيعك الله كما ضيعت في الدنيا حق الله فايأس اليوم أنت من رحمة الله» . وروى « أن في جهنم واديا يقال له لملم فيه حيات كل حية بثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه » . وروى أيضا « أن امرأة من بني اسرائيل جاءت الى موسى عليه السلام . فقالت يانبي الله أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت الى الله تعالى فادع الله أن يغفرلي ذنبي ويتوب علي . فقال لها موسى وماذنبك ؟ قالت يانبي الله زنيت وولدت ولدا وقتلته . فقال موسى عليه السلام اخرجي يافاجرة لئلا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال : ياموسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة ياموسى أما وجدت شرا منها ؟. قال موسى ياجبريل ومن شر منها ؟ قال من يترك الصلاة عامدا

متعمدا » انتهى . وأخرج أحمد وابن حبان « من حافظ على الصلوات كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » . ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » . والترمذي « بين الكفر والايمان ترك الصلاة » . والترمذي « بين الكفر والايمان ترك الصلاة » . وأبو داود « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » . وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وحبان والحاكم عن بريدة « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ومن تركها فقد كفر » . والطبراني « من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا » . وفي رواية سندها حسن « عرا الاسلام ، وقواعد الدين ثلاث عليهن أسس الاسلام : من ترك واحدة منهن فهو كافر بها حلال الدم : شهادة أن لا إله الا الله ، والصلاة المكتوبة وصوم رمضان » ، وفي رواية أخرى سندها حسن أيضا « من ترك واحدة منهن فهو بالله كافر ، ولا يقبل منه صرف ولا عدل ، وقد حل دمه وماله » . والترمذي « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة » . وابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه موقوفا على علي رضي الله عنه . قال « من لم يصل فهو كافر » . ومحمد بن نصر وابن عبد البر موقوفا على ابن عباس « من ترك الصلاة فقد كفر » . وابن عبد البر موقوفا على جابر « من لم يصل فهو كافر » . وقال محمد بن نصر : سمعت اسحق بن راهويه يقول : صح عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن تارك الصلاة كافر » وقال ابن حزم : قد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « أن من ترك صلاة واحدة حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد » .

[تنبيه] قال جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم بكفر تارك الصلاة وإباحة دمه منهم عمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبو هريرة وأبو الدرداء وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم . ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحاكم وابن عيينة وأيوب السختياني وأبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب وابن حبيب وغيرهم ، وقال الشافعي رضي الله عنه وآخرون : ان تارك الصلاة يكفر ان استحل الترك أو جحد الوجوب والا يقتل بترك أداء صلاة واحدة حتى يخرج وقت الجمع بضرب عنقه بالسيف ان لم يتب بعد استتابته كتارك الصلاة ، وقيل يضرب بالعصا ، وقيل ينخس بحديدة الى أن يصلي أو يموت . وقال الغزالي : لو زعم زاعم أن بينه وبين الله حالة أسقطت عنه الصلاة فلا شك في وجوب قتله ، وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر . وقال أحمد بن حنبل : لا يصح نكاح تاركة الصلاة ، ولكن في مذهبنا أن نكاح الذمية أولى من نكاح تاركتها .

فصل في تحريم تأخير الصلاة عن وقتها عمدا
واستحباب تعجيلها لأول الوقت

قال الله تعالى [فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون] . قال النبي صلى الله عليه وسلم « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » والويل شدة العذاب . وقيل واد في جهنم

لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره فهو مسكن من يؤخر الصلاة عن وقتها » . وأخرج الحاكم والترمذى عن ابن عباس . قال : قال رسول الله ﷺ « من جمع بين صلاتين فقد أتى بابا من أبواب الكبائر » . وأبو داود وابن ماجه عن ابن عمر « ثلاثة لايقبل الله تعالى منهم صلاة : الرجل يؤم قوما وهم له كارهون ، والرجل لا يأتى الصلاة الادبارا والدبار أن يأتيها بعد أن يفوتها ، ورجل اعتبد محررا : أى جعله عبدا » . وروى الذهبى أنه ﷺ قال « اذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت الى السماء ولها نور حتى تنتهى الى العرش فتستغفر لصاحبها الى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما حفظتنى ، واذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت الى السماء وعليها ظلمة . فاذا انتهت الى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق و يضرب بها وجه صاحبها » وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر « فضل الوقت الأول على الآخر كفضل الآخرة على الدنيا » . والترمذى عنه « الوقت الأول من الصلاة رضوان الله والوقت الآخر عفو الله » . والطبرانى عن أم فروة « أحب الأعمال الى الله تعجيل الصلاة لأول وقتها » . روى البخارى عن الزهرى قال « دخلت على أنس بن مالك بدمشق ، وهو يبكى . فقلت مايبكيك ؟ . فقال لا أعرف شيئا مما أدركت الاهذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت » قال الكرمانى والمراد بتضييعها تأخيرها عن الوقت المستحب لأنهم أخروها عن وقتها بالكلية . وروى عن عقيل بن أبى طالب « كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاذا جمل يعدو حتى بلغ رسول الله ﷺ وقال يارسول الله الأمان فلم يلبث حتى جاء خلفه أعرابى ومعه سيف مسلول . فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماذا تريد من هذا المسكين ؟. قال يارسول الله اشتريته بثمن كثير ، وليس هو يطيعنى فأريد أن أذبحه وأنتفع بلحمه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم للجمل لم تعصيه ؟ . فقال يارسول الله لست أعصيه لأنى لست أقدر على العمل ، ولكن أعصيه لأن القبيلة التى أنا فيها ينامون عن صلاة العشاء الأخيرة فلو عاهدك أن يصلى العشاء الأخيرة عاهدتك أن لا أعصيه مادمت حيا فانى أخاف أن ينزل عليهم عذاب من الله عز وجل فأكون فيهم فأخذ النبى ﷺ العهد على الأعرابى أن لايترك الصلاة وسلم اليه الجمل فرجع الى أهله » .

وحكى عن بعض السلف : أنه دفن أختا له ماتت فسقط منه كيس فيه مال فى قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ، ثم ذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب اليها ورجع الى أمه باكيا حزينا . فقال يا أماه أخبرينى عن أختى ، وماكانت تعمل قالت وماسؤالك عنها ؟. قال يا أمى رأيت قبرها يشتعل عليها نارا . قال فبكت وقالت ياولدى كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها ، فكيف حال من لايصلى . فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها بكمالاتها فى أوقاتها انه جواد كريم رءوف رحيم .

[تنبيهات : أحدها] أن إخراج الصلاة عن وقتها بلا عذر من أكبر كبائر المهلكة فيجب على من فوتها بغير عذر قضاؤها فورا ويصرف جميع زمنه لقضائها ما عدا الوقت الذى يحتاج لصرفه فى تحصيل ما يحتاجه من مؤنة نفسه وعياله وكما يحرم الاخراج عن الوقت يحرم تقديمها عنه عمدا . وثانيها أن الصلاة تجب أول الوقت وجوبا موسعا فيه التأخير عن أوله الى وقت يسعها مالم

يظن فوتها بشرط العزم على فعلها فيه والاعصى بالتأخير كمن نام بلاغلبة بعد دخول الوقت وقبل فعلها حيث لم يظن الاستيقاظ قبل ضيق الوقت أو ايقاظ غيره له . وثالثها أن فضيلة أوّل الوقت تحصل باشتغاله بأسباب الصلاة كطهارة وستر أوّل الوقت ثم يصليها . ورابعها أنه يندب تأخير الصلاة عن أوّل الوقت لمن تيقن جماعة أثناءه وان فحش التأخير مالم يضق الوقت وكذا لمن ظنها اذا لم يفحش التأخير بحيث لايزيد على نصف الوقت ولايندب التأخير مطلقا لمن شك فيها .

فصل فى أحكام الصلاة

شروطها : ستر رجل وأمة مابين سرة وركبة ، وحرة غير وجه وكف من الأعلى والجوانب بمالايحكى اللون ان قدروا عليه ، وتوجه للقبلة الافى صلاة شدة الخوف ونفل سفر مباح ، ومعرفة دخول وقت ولوظنا ، ومعرفة كيفية الصلاة بأن يعرف فرضيتها و يميز فرائضها من سننها الافى حق العامى اذا لم يقصد النفل بماهو فرض ، وطهارة عن حدث وطهارة بدن وملبوس ومكان عن نجس لاعن دم نحو برغوث ودمل وحجم ، وان كثر بغير فعله ولاعن قليل دم أجنبي غير نحو كلب ودم نحو حيض ولاعن روث و بول نحو خفاش ، وان كثرا ويعفى عن ذرق طيور فى المسجد ، وان كثر مالم يتعمد ملاقاته من غير حاجة ولم يكن هو أو مماسه رطبا .

وفروضها : نية فعلها مع تعيين ذات وقت أوسبب ومع نية الفرض فيه كأصلى فرض الظهر ويجب قرنها بأول التكبيرة واستصحابها الى آخرها كما فى الروضة وأصلها ، والمختار الاكتفاء بالمقارنة العرفية بحيث يعدّ مستحضرا للصلاة ، وتكبيرة تحرّم وتعين فيه الله أكبر ويجب اسماع التكبير نفسه ان كان صحيح السمع ولا عارض من لغط ونحوه وكذا كل ركن قولىّ وقيام لقادر فى فرض والعاجز عنه ولو بنحو دوران رأس فى سفينة قعد ثم اضطجع ثم استلقى وقراءة الفاتحة مع البسملة كل ركعة الا ركعة مسبوق و يجب رعاية حروفها ومخارجها وتشديداتها واعرابها المخلّ للمعنى وموالاتها كالتشهد . فان تخلل سكوت طال أوقصد به قطع القراءة أوذكر قطع الموالاة . فان تعلق بالصلاة كتأمينه وسجوده لقراءة امامه وفتحه عليه فلا ، وترتيبها ولوشك فى حرف أو آية قبل فراغها لا بعده أوهل قرأ استأنفها وكالفاتحة فى ذلك سائر الأركان ، ويحرم وقفة لطيفة بين السين والتاء من نستعين وتعمد تشديد مخفف ، ثم قدرها من بقية القرآن فمن ذكر أودعاء ، ثم وقفة بقدرها وركوع بانحناء بلغ راحتيه ركبتيه واعتدال بعود لبدء وسجود مرتين بوضع بعض الجبهة مكشوفا ان أمكن على غير محمول يتحرك بحركته والركبتين و بطن الكفين وأصابع القدمين و يجب أن ينال مسجده ثقل رأسه و يرتفع أسافله على أعاليه وجلوس بينهما ولايطوله ولاالاعتدال وطمأنينة فيها . ويجب أن لايقصد بالركن غيره ، وتشهد أخير : التحيات لله سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعده اللهم صل على محمد ، وتسليمة أولى السلام عليكم وقعود لثلاثة وترتيبها كما ذكر .

وسننها : نوعان . هيآت منها الاضافة الى الله تعالى والتعرض الاستقبال وعدد الركعات والأداء والقضاء ، وان لم يكن عليه فائتة مماثلة للمؤداة والنطق بالمنوى ، ونظر موضع

سجوده مطرقا رأسه قليلا . ثم رفع يديه بكشف حذو منكبيه مع ابتداء تحرّم وركوع ورفع منه ومن تشهد أوّل ووضع يمين على كوع يساره تحت صدره وتفريق قدميه قدر شبر فى القيام وافتتاح سرا لمتمكن ان لم يتعوذ أو يجلس مع امامه ، وهو — وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وماأنا من المشركين ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين — ، ثم تعوّذ له بكل ركعة سرا ووقف على رأس كل آية من الفاتحة حتى البسملة ويكره الوقف على أنعمت عليهم ، وتأمين بتخفيف ومدّ ولمأموم سمع قراءة امامه ولو تركه الامام . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا أمّن الامام فأمّنوا ، فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه » رواه الشيخان ، ثم قراءة شئ من القرآن ولو آية ، والأولى ثلاث آيات فى أوليين لغير مأموم سمع قراءة امامه وفهمه فتكره له لجهر خلفه ، وتحصل باعادة الفاتحة ان لم يحفظ غيرها وبتكرير سورة واحدة فى الركعتين وسورة كاملة أفضل من البعض وان طال فى غير التراويح ، وكون السورتين متواليتين مالم تكن التى تليها أطول وعلى ترتيب المصحف وقراءة الم تنزيل ، وهل أتى فى صبح جمعة ، والجمعة والمنافقين أو سبح وهل أتاك فيها وفى عشائها ، والكافرون والاخلاص فى مغربها ، وفى صبح المسافر ، والمعوّذتين فى مغرب السبت ، وجهر واسرار فى محليهما وتدبر قراءة ، وذكر وتكبير فى كل خفض ورفع من غير ركوع ومدّه الى أن يصل الى الركن المنتقل اليه ووضع راحتيه على ركبتيه وتسوية ظهر وعنق فى الركوع ، وأن يقول فيه : سبحان ربى العظيم وبحمده ثلاثا ، وفى رفعه منه : سمع الله لمن حمده ، وفى اعتداله : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شئ بعد ، ورفع اليدين فى القنوت حذو منكبيه وجهر امام به ، وتأمين مأموم سمع قنوت امامه سماعا محققا للدعاء منه ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وآله فيه واتيان امام بصيغة جمع فيه ، وفى دعاء التشهد فيكره تخصيص نفسه ووضع ركبتيه مفرقتين بقدر شبر ، ثم كفيه مكشوفتين حذو منكبيه ناشرا أصابعه مضمومة للقبلة ، ثم جبهته وأنفه معا وتفريق قدميه بشبر منصوبتين موجها أصابعهما للقبلة وابرازهما من ذيله فى السجود ، وأن يقول فيه : سبحان ربى الأعلى وبحمده ثلاثا ، ومجافاة ذكر عضديه عن جنبيه وبطنه عن فخذيه فيه وفى ركوع ، وضمّ غيره وافتراش فى جلوس بين السجدتين ، ووضع كفيه قريبا من ركبتيه ناشرا أصابعه ، وأن يقول فيه : رب اغفر لى ثلاثا . وارحمنى واجبرنى وارفعنى وارزقنى واهدنى وعافنى . وجلسة الاستراحة ، وافتراش فيه وفى تشهد أول ، واعتماد على الأرض ببطون كفيه عند نهوضه من سجود وقعود وتورّك فى تشهد أخير لايعقبه سجود سهو ووضع كفيه فى تشهديه على طرف ركبتيه ناشرا أصابع يسراه بضم وجاعلا أصابع يمناه كعاقد ثلاثة وخمسين ورفع مسبحتها عند همزة إلاالله منحنية قليلا وابقاؤها مرفوعة الى القيام أو السلام ، وأن لايجاوز بصره اشارته ، ونظر اليها حال رفعها ، وأن يأتى فى التشهدين بأكمل التشهد وهو التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلاالله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وبعد تشهد أخير بأكمل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل

ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حيد مجيد . ثم بالدعاء المأثور : اللهم اغفرلى ماقدمت وماأخرت وماأسررت وماأعلنت وماأسرفت وماأنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر لاإله إلاأنت ، اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال ، اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلاأنت فاغفرلى مغفرة من عندك ، وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم ، يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ؛ وتسليمة ثانية ، وزيادة ورحمة الله فيهما والتفات بوجهه يمينا وشمالا فى تسليمته ناويا السلام على من التفت اليه من ملائكة ومؤمنى انس وجنّ وينويه على من خلفه وأمامه بأيهما شاء ومأمويم لردّ على من سلم عليه وادراجه بلامدّ ، ونية خروج من الصلاة بالتسليمة الأولى .

وأبعاض : وهى تشهد أول وقعود له وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعده وعلى آله بعد التشهد الأخير وقنوت فى اعتدال آخر صبح ووتر نصف أخير من رمضان : كاللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ماقضيت فانك تقضى ولا يقضى عليك ، وانه لايذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت فلك الحمد على ماقضيت أستغفرك وأتوب اليك . ويجزئ آية فيها دعاء ان قصده وكذا يجزئ دعاء محض ولوغير مأثور وقيام له وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله بعده لاقبله فلوترك شيئا من هذه الأبعاض ولوعمدا أوشك فى تركه سجد سجدتين ندبا قبيل السلام كمن سهى بمايبطل عمده كتطويل ركن قصير وقليل كلام وأكل وتكرير ركن فعلىّ أونقل قوليا عن غير محله أوشك فيما صلاه واحتمل زيادة . ومن السنن المتقدمة عن الدخول فى الصلاة الأذان والاقامة فسنتان لمكتوبة ذكر وان بلغه أذان غيره ، واقامة لامرأة ويجيب سامعهما ولومتنفلا ومتوضئا ويحوقل ويصدق ان حيعل وثوّب ، ويقول بعدهما : اللهم صل وسلم على محمد اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته لماروى الشيخان « اذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم » . وابن النجار عن أبى هريرة « ثلاث لو يعلم الناس مافيهن ماأخذن الا بسهم حرصا على مافيهن من الخير والبركة : التأذين بالصلاة ، والتهجير بالجماعات ، والصلاة فى أول الصفوف » . وابن أبى شيبة والبيهقى عن سلمان الفارسى موقوفا . قال « اذا كان الرجل فى أرض فأقام الصلاة صلى خلفه ملكان ، فاذا أذن وأقام صلى خلفه من الملائكة مالايرى طرفاه ، يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ، ويؤمّنون على دعائه » . وأحمد ومسلم « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ، ثم صلوا علىّ فانه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة » وروى « من تكلم فى وقت الأذان خيف عليه زوال الايمان » والارتداء والتعمم والتقمص عند القيام فى الصلاة لماروى الشيخان « لايصلين أحدكم فى الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء » . وابن عساكر « صلاة تطوع أوفريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلاة بلاعمامة ، وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلاعمامة » والشيخان « لولا أن أشق على

أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » . وابن زنجويه وصححه الحاكم « صلاة بالسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك » . قال النووى فى المجموع : يسن أن يجعل فى عاتقه ثوبا ، فان لم يجده جعل حبلا عليه حتى لايخلو من شيء ويكره ترك ذلك ككشف رأس . وقال شيخنا ابن حجر : ان التعمم والاستياك يستحبان ولو بعد الدخول فى الصلاة ان أمكن فعلهما بعمل قليل واتخاذ سترة وهى شاخص طوله ثلثا ذراع و بينهما ثلاثة أذرع فبسط المصلى فخط أمامه طولا فندب دفع مارّ مكلف وحرم مرور حينئذ ، وقال البغوى فى شرح السنة : اذا بين الامام موضع صلاته بعصا أوغيرها لاحاجة للمأمومين الى غرز العنزة وغيرها لما روى أبو داود « اذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا فلينصب عصا ، فان لم يكن معه عصا فليخطط بين يديه ، ثم لايضره مامرّ أمامه » . والشيخان « إذا صلى أحدكم الى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه فان أبى فليقاتله ، فانما هو شيطان » . وهما « لو يعلم المارّ بين يدى المصلى الى السترة ماذا عليه من الاثم لكان أن يقف أربعين خريفا خيرا له من أن يمرّ بين يديه » . والطبرانى « ان سترة الامام سترة من خلفه » . وتسبيح وتحميد وتكبير وتهليل واستغفار عشرا عشرا اذا أراد القيام الى الصلاة لما روى ابن السنى عن أم رافع أنها قالت « يارسول الله دلنى على عمل يأجرنى الله عز وجل عليه : قال ياأمّ رافع ، اذا قمت الى الصلاة فسبحى الله تعالى عشرا وهلليه عشرا واحمديه عشرا وكبريه عشرا واستغفريه عشرا فانك اذا سبحت قال الله تعالى هذا لى ، واذا هللت قال الله تعالى : هذا لى ، واذا حمدت ، قال الله تعالى هذا لى ، واذا كبرت قال الله تعالى هذا لى ، واذا استغفرت قال الله تعالى قد فعلت كذلك » .

ومكروهاتها : ترك كشف يديه عند تحرّمه وسجوده و إلصاق قدميه ، وتقديم إحداهما واعتماد عليها فى القيام وجهر بمحل اسرار وعكسه وخفض رأس فى ركوع ، ومخالفة ترتيب ذكرناه فى وضع أعضاء السجود و بسط الذراعين على الأرض وترك وضع الأنف فيه وترك رجل مجافاة فيه وفى الركوع ، وترك تعوّذ وسورة وتكبيرانتقال ؛ وأقلّ تسبيح ركوع وسجود وذكر اعتدال وجلوس بين السجدتين ، و تعوّذ بعد تشهد أخير و إسراع وتخصيص امام نفسه بالدعاء ، وتخلف مأموم لجلسة استراحة تركها الامام وكفّ شعر وثوب ومسح وجهه من نحو غبار وترويح على نفسه و بصق أماما و يمينا و إشارة مفهمة وتثاوب واختصار واعتماد على اليد اليسرى فى الجلوس وتقليب اليدين عند التسليمتين .

[فائدة] يحرم الالتفات فى الصلاة على ما قاله المتولى والحليمى ورفع البصر عن موضع سجوده على ما قاله الأذرعى قال رسول الله ﷺ « من قام فى الصلاة فالتفت رد الله عليه صلاته » رواه الطبرانى . وقال ﷺ « مابال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم . فاشتدّ قوله فى ذلك حتى قال : لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم » رواه البخارى . وروى أن سبب ابتلاء يعقوب بابنه يوسف عليهما السلام أنه التفت فى صلاته إليه وهو نائم محبة له .

ويكره تحريما صلاة عند الاستواء إلا يوم جمعة و بعد أداء صبح وعصر حتى ترتفع وتغرب الشمس إلا لسبب غير متأخر كركعتى تحية ووضوء وكفائتة لم يقصد تأخيرها إليها . وتنزيها صلاة بمدافعة حدث وبحضرة طعام يتوق إليه و بطريق فى بنيان ومقبرة سواء أصلى إلى القبر أم عليه أم بجنبه .

ومبطلاتها : نطق بحرفين ولاء ولو فى تنحنح أو حرف مفهم من كلام بشر لا يسير كلام سبق لسانه إليه أو نسى أو جهل تحريمه فيها وقرب عهده بالاسلام ، أو نشأ بعيدا عن العلماء ولا بتنحنح لتعذر ركن قولى ، وإن كثر ولا ضحك وبكاء وسعال وعطاس ان غلبت وقلت وفعل فاحش كوثبة أو كثير يقينا من غير جنسها كثلاث خطوات وتحريك كف ثلاثا بحك لغير شدة جرب ولاء بحيث يعد كل متصلا على ماقبله ولو سهوا لاخفيف ، وإن كثر متواليا كتحريك أصابعه وأجفانه ومفطر وتعمد تكرير ركن فعلى وإطالة فعلى قصير عمدا واختلال شرط من شروطها وترك ركن من أركانها .

وحكى عن الشيخ معين الدين أنه قال : كان الشيخ أحمد الغزنوى ساكنا فى غار قريب من الشام ، فزرته فإذا ماعليه إلا الجلد والعظم ، وهو جالس على سجادة وبين يديه أسدان ، فقال لى من أين تصل ؟ قلت من بغداد . قال مرحبا وأكثر خدمة الفقراء حتى يعظم أمرك ، وإنى سكنت فى هذا الغار منذ اربعين سنة واعتزلت الخلق ولكن مااسترحت من البكاء منذ ثلاثين سنة لأجل خوف شيء . قلت ماهو ؟ قال الصلاة إذا صليت نظرت مفكرا وبكيت وقلت لو اختلت ذرة من الشروط ضاعت جميع أعمالى وضرب بطاعتى على وجهى ، فان كنت يافقير تقدر أن تخرج من عهدة الصلاة فعلت أمرا وإلا ذهب العمر بالغفلة وضاع . وأخرج الطبرانى وابنا خزيمة وحبان فى صحيحيهما أن رسول الله ﷺ رأى رجلا لايتم ركوعه وينقر فى سجوده وهو يصلى ، فقال صلى الله عليه وسلم «لو مات هذا على حاله مات على غير ملة محمد ﷺ ، ثم قال ﷺ : مثل الذى لايتم ركوعه وينقر فى سجوده مثل الجائع يأكل التمرة أو التمرتين لا يغنيان عنه » . وأحمد « لاينظر الله إلى عبد لايقيم صلبه من سجوده وركوعه » . والطبرانى « من صلاها لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولاركوعها ولا سجودها خرجت وهى سوداء مظلمة تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه » . ومسلم « يافلان ألا تحسن صلاتك ألا ينظر المصلى اذا صلى كيف يصلى فانما يصلى لنفسه» . والديلمى وحسنه الحافظ ابن حجر « اذكر الموت فى صلاتك فان الرجل اذا ذكر الموت فى صلاته لحرى أن يحسن صلاته وصل صلاة رجل لايظن أنه يصلى صلاة غيرها » . وأبو داود عن عبد الله بن الشخير قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، وفى صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء » .

[فائدة] قال السيد معين الدين الصفوى فى تفسيره جوامع التبيان : والأصح أن الخشوع من فرائض الصلاة ، وقال سفيان الثورى : من لم يخشع فسدت صلاته ، وقال سيدى القطب العارف بالله محمد البكرى رضى الله عنه ونفعنا به : وإنما يورث ذلك أسله الركوع والسجود ، وقال شيخ مشايخنا زكريا الأنصارى رحمه الله تعالى : انظر موضع السجود أقرب إلى الخشوع ، وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه فى بعض الحروب الجهادية أصيب بسهم ، ثم جذب السهم من عضوه الشريف وبقى النصل فيه فقالوا اذا لم يجرح العضو لا يمكن استخراج النصل منه ويخاف من ايذاء أمير المؤمنين وقطع عضوه ، فقال رضى الله عنه اذا اشتغلت بالصلاة استخرجوه وافتتح الصلاة وهم قطعوا أم جرحوا العضو واستخرجوا النصل ، وهو رضى الله عنه

لم يتغير فى صلاته ، فلما فرغ قال لم لم تستخرجوه فقالوا قد استخرجناه . فانظر الى اقباله على ربه حتى لم يحس بجرح العضو واستخراج النصل من جوف اللحم . فنحن اذا عضنا قملة أو برغوث ، بل اذا وقع علينا ذباب نتشوش ولا يبقى لنا حضور ، فأين نحن من تلك الحالات والمقامات .

وحكى عن زين العابدين على بن الحسين أنه كان اذا توضأ اصفرّ لونه ، واذا قام الى الصلاة أخذته رعدة فقيل له مالك ؟ . فقال ويحكم أتدرون بين يدى من أقوم ولمن أريد أن أناجى ؟ وأنه وقع حريق فى بيته وهو ساجد فجعلوا يقولون له يا ابن رسول الله النار فما رفع رأسه فقيل له فى ذلك لما رفع رأسه ، فقال ألهتنى عنها النار الكبرى . فانظر أيها الغافل فى الصلاة بين يدى من من تقوم ومن تناجى واستحى أن تناجى مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوساوس الدنيا وخبائث الشهوات ، أما تعلم أنه مطلع على سريرتك وناظر الى قلبك ، وانما يتقبل من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرعك فاعبده فى صلاتك كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . فان لم يحضر قلبك بما ذكرنا ولم تسكن جوارحك لقصور معرفتك بجلال الله تعالى فقدّر أن رجلا صالحا من وجوه أهل بيتك ينظر اليك كيف صلاتك فعند ذلك تحضر قلبك وتسكن جوارحك ، ثم ارجع الى نفسك وقل ألا تستحيين من خالقك ومولاك الذى هو مطلع عليك وناظر الى قلبك ، أهو أقل عندك من عبد من عباده ، وليس بيده ضرك ولا نفعك فما أشدّ طغيانك وجهلك وما أعظم عداوتك لنفسك ، فعالج قلبك بهذا فعسى أن يحضر معك فى صلاتك فانه انعقد اجماع العلماء على أنه لا يكتب لك من صلاتك الا ما عقلت منها ، وأما ما أتيت به مع الغفلة ولو حكم بصحته ظاهرا فهو الى الاستغفار أحوج ، لأنه الى العقوبة أقرب . قال الفقيه اسمعيل المقرى رحمه الله :

تصلى بلا قلب صلاة بمثلها	يكون الفتى مستوجبا للعقوبة
تظل وقد أتممتها غير عالم	تزيد احتياطا ركعة بعد ركعة
فويلك تدرى من تناجيه معرضا	وبين يدى من تنحنى غير مخبت
تخاطبه إياك نعبد مقبلا	على غيره فيها لغير ضرورة
ولو ردّ من ناجاك للغير طرفه	تميزت من غيظ عليه وغيرة
أما تستحى من مالك الملك أن يرى	صدودك عنه يا قليل المروءة
إلهى اهدنا فيمن هديت وخذ بنا	الى الحق نهجا فى سواء الطريقة

خاتمة

فى الأذكار المأثورة بعد الصلاة المكتوبة

روى الترمذى عن أبى أمامة « قيل لرسول الله ﷺ أى الدعاء أسمع ؟ . قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات» . قال النووى : أجمع العلماء على استحباب الذكر والدعاء بعد الصلاة ، فمن الذكر المأثور ما أخرجه ابن السنى وأبو يعلى عن البراء . قال : قال رسول الله ﷺ « من استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات . فقال : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه ، وان كان قد فرّ من الزحف ويزيد فيه العظيم بعد الصبح

والمغرب» . ومسلم «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا رادّ لما قضيت ولاينفع ذا الجد منك الجد ، لاحول ولاقوة الا بالله العليّ العظيم ، لاإله إلا الله ولانعبد الا إياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن : لاإله إلاالله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» وهو أيضا . قال رسول الله ﷺ «من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، وقال تمام المائة : لاإله إلاالله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» . والرافعى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا صليتم صلاة الفرض فقولوا فى عقب كل صلاة عشر مرات : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير يكتب له من الأجر كأنما أعتق رقبة» ويزيد فيها يحيي ويميت بيده الخير بعد الصبح والعصر والمغرب . والحرث بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان فاتحة الكتاب وآية الكرسى وشهد الله الى الاسلام ، وقل اللهم الى حساب معلقات مابينهن وبين الله حجاب . قلن يارب أتهبطنا الى أرضك والى من يعصيك ؟ . قال الله تعالى : بى حلفت لايقرؤكن أحد دبر كل صلاة الاجعلت الجنة مثواه على ما كان فيه وأسكنته حظيرة القدس ونظرت اليه بعينى المكنونة فى كل يوم سبعين مرة وقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة وأعذته من كل عدوّ وحاسد ونصرته» . والنسائى وابن حبان قال رسول الله ﷺ «من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت» . وأبو يعلى قال رسول الله ﷺ «ثلاث من جاء بهنّ مع الايمان دخل من أىّ أبواب الجنة شاء وزوّج من الحور العين حيث شاء : من عفا عن قاتله ، ومن أدّى دينا خفيا ، ومن قرأ فى دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد» . وأبو داود والترمذى عن عقبة بن عامر قال «أمرنى رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوّذات دبر كل صلاة» . وورد التهليل عشر مرات .

وحكى عن الحفار بن يزيد المشهور بالفضل والصلاح أنه احتفر قبرا فاذا رجل قاعد على منبر وعنده طبق رطب ، قال : فقال لى أقامت القيامة ؟ فقلت لا . فقلت له بالذى أحلك هذه المحلة بم نلت هذا . قال كنت أقول دبر كل صلاة : لا إله إلا الله أرضى بها ربى : لا إله إلا الله أفنى بها عمرى : لا إله إلا الله أقطع بها دهرى : لا إله إلا الله أونس بها قبرى : لاإله إلا الله ألقى بها ربى لاإله إلا الله أعدها لكل شيء يجرى . ومن الدعاء المأثور ماخرجه أبو داود والنسائى عن معاذ «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيدى وقال : يامعاذ والله انى لأحبك . فقال : أوصيك يامعاذ لاتدعنّ فى دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» . وابن السنى عن أبى أمامة «مادنوت من رسول الله ﷺ فى دبر كل صلاة مكتوبة ولا تطوّع الا سمعته يقول : اللهم اغفر لى ذنوبى وخطاياى كلها : اللهم أنعشنى واجبرنى واهدنى لصالح الأعمال والاخلاق انه لايهدى لصالحها ولا يصرف سيئها الا أنت» . وهو أيضا عن أنس «كان النبى ﷺ يقول اذا انصرف من الصلاة : اللهم اجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتمه واجعل خير أيامى يوم ألقاك» . وعن أبى بكرة . قال «كان رسول الله ﷺ يقول فى دبر الصلاة :

اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر » . وأحمد عن أم سلمة . قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال : اللهم انى أسألك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا طيبا » . وعن صهيب « أن رسول الله ﷺ كان يحرك شفتيه بعد صلاة الفجر بشيء ، فقلت يارسول الله ماهذا الذى تقول . قال : اللهم لك أحاول و بك أصاول و بك أقاتل » . وأبو داود عن مسلم بن الحرث التميمى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه أسر اليه فقال : اذا انصرفت من صلاة المغرب فقل : اللهم أجرنى من النار سبع مرات فانك اذا قلت ذلك ثم مت من ليلتك كتب لك جواز منها ، واذا صليت الصبح فقل كذلك ، فانك اذا مت من يومك كتب لك جواز منها .

[فائدة] يسن لغير امام يريد تعليم المأمومين إسرار بالذكر والدعاء ، وجهر بهما لامام يريده ولداع غير مصر وخطيب رفع يديه الطاهرتين حذو منكبيه ومسح وجهه بهما بعد الفراغ و رفع بصره الى السماء وافتتاحه بحمد الله ، والصلاة على النبى ﷺ وختمه بهما وبالتأمين و ستقبال القبلة ان كان منفردا أو مأموما . أما الامام فيستقبل المأمومين بوجهه فى الدعاء ، ولكل جلوس ذاكرا الله تعالى بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » رواه الترمذى وحسنه . وقال صلى الله عليه وسلم « من قعد فى مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتى الضحى لايقول الا خيرا غفر له خطاياه وان كانت أكثر من زبد البحر » رواه أبو داود . وقال « لأن أجلس مع قوم يذكرون الله عز وجل من صلاة العصر الى أن تغرب الشمس أحب الى من أن أعتق ثمانية من ولد اسمعيل عليه السلام » أعتق الله رقابنا من النار وغفر ذنوبنا وخطايانا وأصلح مافسد من أعمالنا وتقبلها منه منا آمين .

باب صلاة التطوع

أخرج أحمد والترمذى عن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أذن الله لعبد فى شيء أفضل من ركعتين أو أكثر من ركعتين ، وان البر ليذر فوق رأس العبد ما كان فى الصلاة وما تقرب عبد الى الله عز وجل بأفضل مما خرج منه » . والطبرانى عنه « ما أوتى عبد فى هذه الدنيا خيرا له من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما » . ومسلم والترمذى عن عائشة رضى الله عنها « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » . والبيهقى عن أبى هريرة « لايحافظ على ركعتى الفجر الا أواب » . وأبو داود والترمذى عنه « اذا صلى أحدكم ركعتى الفجر فليضطجع على جنبه الأيمن » . والبيهقى عن عائشة « نعم السورتان هما تقرآن فى الركعتين قبل الفجر : قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد » . وابن السنى عن والد أبى المليح « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين خفيفتين ثم سمعته يقول وهو جالس : اللهم رب جبريل و إسرافيل وميكائيل ومحمد النبى ﷺ أعوذ بك من النار ثلاث مرات » . وأبو داود والترمذى عن أم حبيبة « من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار » . والطبرانى عن

ابن عمر « من صلى قبل العصر أربعا حرّمه الله على النار » . وأحمد وأبو داود عن عبد الله المزنى « صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شاء » . وعبد الرزاق عن مكحول مرسلا « من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبتا فى عليين » . والبيهقى عن حذيفة « عجلوا الركعتين بعد المغرب لترفعا مع العمل » . وابن السنى عن أم سلمة رضى الله عنها . قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا انصرف من صلاة المغرب يدخل بيته فيصلى ركعتين ، ثم يقول فيما يدعو : يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » . والشيخان والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة « من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة » . وابن نصر عن ابن عمر « من صلى ست ركعات بعد المغرب قبل أن يتكلم غفرله ذنوب خمسين سنة » . وابن نصر عن محمد بن المنكدر «من صلى مابين المغرب والعشاء فانها صلاة الأوّابين » . والشيخان عنه « صليت مع النبى ﷺ ركعتين بعد العشاء » . قال النووى فى المجموع : يسنّ ركعتان قبل العشاء لخبر « بين كل أذانين صلاة » . وقال أيضا فيه : يجب فى سنة الظهر التعيين بالتى قبلها اوالتى بعدها وان لم يؤخر المقدمة ، وكذا كل صلاة لها سنة قبلها وسنة بعدها . وأبو داود والترمذى عن أبى أيوب « الوتر حق على كل مسلم ، فمن أحبّ أن يوتر بخمس فليفعل ، ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل ، ومن أحبّ أن يوتر بواحدة فليفعل » . والبيهقى والحاكم « أوتروا بخمس أو سبع أو تسع أو إحدى عشرة » . ومسلم والترمذى عن جابر « من خاف أن لايقوم آخر الليل فليوتر أوّله ، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل ، فان صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل » . والنسائى وابن ماجه « سئلت عائشة رضى الله عنها بأىّ شىء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت كان يقرأ فى الأولى بسبح اسم ربك الأعلى ، وفى الثانية بقل يا أيها الكافرون ، وفى الثالثة بقل هو الله أحد ، والمعوّذتين » . ويسنّ أن يقرأ فى كل من اوتى الوتر الاخلاص . وأبو داود والترمذى عن أبىّ بن كعب قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم فى الوتر قال : سبحان الملك القدّوس ثلاث مرات يرفع فى الثالثة صوته » . وهما عن على رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى آخر وتره : اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » . وأحمد والترمذى عن أبى هريرة « من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر » . وأبو الشيخ عن أنس « ركعتان من الضحى تعدلان عند الله بحجة وعمرة متقبلتين » . وزنجويه عن سعد « من سبح سبحة الضحى حولا كتب له براءة من النار » . والطبرانى عن أبى هريرة « ان فى الجنة بابا يقال له الضحى فاذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله » . والديلمى عن عبد الله بن جراد « المنافق لايصلى صلاة الضحى ولا يقرأ قل يا أيها الكافرون » . والشيخان عن أم هانىء رضى الله عنها « أن رسول الله ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل فصلى ثمانى ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتمّ الركوع والسجود وذلك ضحى » . وابن حبان عن عقبة بن عامر « صلوا ركعتى الضحى بسورتيهما والشمس وضحاها والضحى » . وورد فى حديث رواه العقيلى « كان رسول الله ﷺ يقرأ فيهما

قل يأيها الكافرون ، وقل هو الله أحد » ، وورد بعد الضحى « رب اغفرلى وتب علىّ انك أنت التوّاب الغفور مائة مرة » ومسلم عن أبى هريرة « أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » . والديلمى عن جابر « ركعتان فى جوف الليل تكفران الخطايا » . وأحمد والترمذى عن بلال « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى الله تعالى ومنهاة عن الاثم ومكفرة للسيآت ومطردة للداء عن الجسد » . وابن نصر عن حسان بن عطية مرسلا « ركعتان يركعهما ابن آدم فى جوف الليل الآخر خيرله من الدنيا ومافيها ، ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم » . ومسلم عن جابر « ان فى الليل لساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها من أمر الدنيا والآخرة الاأعطاه وذلك كل ليلة » . والشيخان : ينزل ربنا تبارك وتعالى «أى أمره كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ومن يسألنى فأعطيه ومن يستغفرنى فأغفرله » . وأحمد وأبو داود عن أبى هريرة « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت ، فان أبت نضح فى وجهها الماء ، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى ، فان أبى نضحت فى وجهه الماء » . وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة « اذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ أهله وصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات » . وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها « مامن امرئ يكون له صلاة بالليل فيغلبه عليه نوم الاكتب الله له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة » . والشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص « ياعبد الله لاتكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل » .

وحكى اليافعى عن الشيخ أبى بكر الضرير « قال كان فى جوارى شاب حسن يصوم النهار ولايفطر ويقوم الليل ولاينام ، فجاءنى يوما وقال ياأستاذى نمت عن وردى الليلة فرأيت كأن محرابى قد انشق وكأنى بجوار قد خرجن من المحراب لم أر أحسن وجها منهن واذا فيهن واحدة شوهاء فقلت لمن أنتن ولمن هذه ؟ فقلن نحن لياليك التى مضين ، وهذه ليلة نومك ولومت فى ليلتك هذه لكانت هذه حظك ، فشهق شهقة وخرّ ميتا» رحمه الله .

وحكى عن بعض الصالحين انه قال « رأيت سفيان الثورى فى النوم بعد موته ، فقلت له كيف حالك ياأبا عبد الله ؟ فأعرض عنى ، وقال ليس هذا زمن الكنى . فقلت له كيف حالك ياسفيان فأنشأ يقول :

نظرت الى ربى عيانا فقال لى هنيئا رضائى عنك يابن سعيد
لقد كنت قوّاما اذا الليل قد دجا بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أىّ قصر تريده وزرنى فانى عنك غير بعيد

وأبو داود والحاكم عن ابن عباس وصححه ابن خزيمة وحسنه الحافظ ابن حجر « أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب : ياعباس ياعماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل بك عشرخصال ؟ اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوّله وآخره وقديمه وحديثه وخطأه وعمده وصغيره وكبيره وسرّه وعلانيته أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، فاذا فرغت من القراءة فى أوّل ركعة وأنت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله

والله أكبر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ، ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا وأنت جالس بين السجدتين ، ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات ان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل ، فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة ، فان لم تفعل ففى كل شهر مرة ، فان لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فان لم تفعل ففى عمرك مرة » .

واعلم أن صلاة التسبيح مرغب فيها يستحب أن يعتادها فى كل حين ولا يتغافل عنها . هكذا قال عبد الله بن المبارك وجماعة من العلماء ، وقال تاج الدين السبكى : صلاة التسبيح من المهمات فى الدين فينبغى الحرص عليها ، فمن سمع ماورد فيها من عظيم الفضل ثم تغافل عنها بتركها فهو متهاون بالدين غير مكترث بأعمال الصالحين لاينبغى أن يعدّ من أهل الخير فى شىء . وقال ابن أبى الصيف اليمنى : يستحب صلاة التسبيح عند الزوال يوم الجمعة يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة التكاثر ، وفى الثانية والعصر ، وفى الثالثة الكافرون ، وفى الرابعة الاخلاص ، فاذا كملت الثلثمائة تسبيحة قال بعد فراغه من التشهد وقبل أن يسلم اللهم انى أسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة ، وعزم أهل الصبر وجدّ أهل الخشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك ، اللهم انى أسألك مخافة تحجزنى عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملا أستحق به رضاك وحتى أناصحك فى التوبة خوفا منك وحتى أخلص لك النصيحة حبالك وحتى أتوكل عليك فى الأمور كلها وأحسن الظن بك ، سبحان خالق النور — ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شىء قدير — برحمتك يا أرحم الرحمين ، ثم يسلم ثم يدعو حاجته . وأبو داود عن زيد بن خالد « من توضأ ثم صلى ركعتين لايسهو فيهما غفرله ماتقدم من ذنبه » . ومسلم عن عقبة بن عامر « مامن مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الاوجبت له الجنة » . وقال شيخنا ابن حجر : ان ركعتى الوضوء تفوتان إذا أخرهما بحيث لاتنسبان اليه عرفا ، وبحث بعض المتأخرين امتداد وقتهما مابقى الوضوء ، ويسنّ أن يقرأ فى الأولى — ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك الى رحيما — وفى الثانية — ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه الى رحيما — وقيل تفوتان بجفاف الأعضاء . وابن حبان عن أبى ذر قال « دخلت المسجد فاذا رسول الله ﷺ جالس وحده . فقال ياأبا ذر إن للمسجد تحية وان تحيته ركعتان فقم فاركعهما فقمت فركعتهما ثم عدت » . وقال النووى فى التحقيق : ان تحية المسجد تفوت بالجلوس مالم يسه أو يجهل ويقصر الفصل » . وقال شيخنا ابن حجر : ويلحق بهما على الأوجه مالو احتاج للشرب فيقعد له قليلا ثم يأتى بها .

واعلم أن ركعتى التحية والوضوء تتأديان بغيرهما من فرض أونفل آخر ، وان لم ينوهما معه . نعم الأرجه أن لا يحصل فضلهما الا اذا نويتا ، ويسن أن يقرأ فى التحية وسنة المغرب وصلاة الاستخارة والاحرام والطواف الكافرون والاخلاص . وقال النووى فى الأذكار : قال بعض أصحابنا : من دخل المسجد ولم يتمكن من صلاة التحية لحدث أو شغل أونحوه فيستحب له أن يقول أربع مرات : سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوّة الابالله العلىّ

العظيم . وأبو داود والترمذى عن أبى بكر رضى الله عنه « ليس عبد يذنب ذنبا فيقوم ويتوضأ ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله الاغفر له » غفر الله ذنوبنا وقبل توبتنا . وأحمد عن أبى هريرة « من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفرله ماتقدم من ذنبه » . والديلمى عن ابن عباس « العيدان واجبان على كل حالم من ذكر أو أنثى » وصح أيضا «أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على صلاة العيدين » فهى سنة مؤكدة عندنا ، واجبة كالأعيان عندأبى حنيفة ويكفرمن أنكر مشروعيتها . وأبو داود عن زيد بن ثابت « صلاة أحدكم فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى هذا الا المكتوبة » . وابن أبى شيبة عن رجل «تطوّع الرجل فى بيته يزيد على تطوّعه عند الناس كفضل صلاة الرجل فى جماعة على صلاته وحده » . وابن عساكر عن جابر « من صلى ركعتين فى خلاء لايراه الا الله والملائكة كتب له براءة من النار » كتب الله لنا البراءة من النار وعذاب القبر آمين . وفى كتاب ابن السنى عن أبى أمامة قال «مادنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دبر كل صلاة مكتوبة ولا تطوع الاسمعته يقول : اللهم اغفرلى ذنوبى وخطاياى كلها » الى آخره .

[فائدة] ومن البدع المذمومة التى يأثم فاعلها ويجب على ولاة الأمر منع فاعلها صلاة الرغائب اثنتا عشرة ركعة بين العشاءين ليلة أوّل جمعة من رجب ، وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة ، وصلاة آخر جمعة رمضان سبع عشرة ركعة بنية قضاء الصلوات الخمس الذى لم يتيقنه ، وصلاة يوم عاشوراء أربع ركعات أو أكثر ، وصلاة الأسبوع أما أحاديثها فموضوعة باطلة ، ولا تغترّ بمن ذكرها ، وفقنا الله لاجتلاب الفضائل واجتناب الرذائل .

بـــــاب صلاة الجماعة

أخرج الشيخان عن أبى هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ « صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى بيته وصلاته فى سوقه خمسا وعشرين درجة ، وذلك أن أحدكم اذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد لا يريد الا الصلاة لم يخط خطوة الارفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد ، فاذا دخل المسجد كان فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه وتصلى الملائكة عليه مادام فى مجلسه الذى صلى فيه يقولون : اللهم اغفرله اللهم ارحمه اللهم تب عليه مالم يؤذ منه أويحدث فيه » . وفى رواية لهما « صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » . وأحمد وابن حبان عن أبى ذرّ « ان الرجل اذا صلى مع الامام حتى ينصرف الامام كتب له قيام ليلة » . والطبرانى والضياء عن أنس « من مشى الى صلاة مكتوبة فى الجماعة فهى كحجة ، ومن مشى الى صلاة تطوّع فهى كعمرة تامة » . والترمذى عن أنس « من صلى أربعين يوما فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق » . ومسلم وأحمد عن عثمان رضى الله عنه « من صلى العشاء فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى كان كقيام نصف ليلة ، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله » . وابن ماجه عن عمر رضى الله عنه « من صلى فى جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا عن النار » . والطبرانى عن أبى عبيدة « ليس من الصلاة صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة فى الجماعة وما أحسب من شهدها منكم الامغفورا له » . وهو وسائر عن

أبى بكر بن سليمان بن أبى حثمة قال « ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد سليمان بن أبى حثمة فى صلاة الصبح ، وان عمر غدا الى السوق ومسكن سليمان بين المسجد والسوق فمر على الشفاء أم سليمان . فقال لها لم أر سليمان فى الصبح ، فقالت انه بات يصلى فغلبته عيناه . فقال عمر لأن أشهد صلاة الصبح فى جماعة أحب الى من أن أقوم ليلة » . وأحمد وأبوداود عن أبى « ان هاتين الصلاتين يعنى العشاء والصبح من أثقل الصلاة على المنافقين ولو يعلمون فضل مافيهما لأتوهما ولوحبوا ، عليكم بالصف المقدم فانه على مثل صف الملائكة ولوتعلمون فضيلته لابتدرتموه ، وصلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وما كان أكثر فهو أحب الى الله » . وأبو داود والحاكم عن يزيد بن الأسود « اذا صلى أحدكم فى رحله ثم أدرك الامام ولم يصل فليصل معه فانها له نافلة » . والشيخان عن أبى هريرة « لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أنطلق معى رجال معهم حزم من حطب الى قوم لايشهدون الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » . وأحمد والطبرانى عن معاذبن أنس « الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق من يسمع منادى الله ينادى الصلاة فلا يجيبه » . وأبوداود عن ابن أم مكتوم أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم . فقال يارسول الله « ان المدينة كثيرة الهوام والسباع وأناضرير البصرشاسع الدار : أى بعيدها ولى قائد لايلازمنى فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فقال هل تسمع النداء ؟ قال نعم ، قال فأجب فانى لا أجد لك رخصة: وهو « من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر ، قيل وما العذر ؟ قال خوف أومرض لم تقبل منه الصلاة التى صلى ؟ يعنى فى بيته » . وسئل ابن عباس عمن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى الجماعة ولا يجمع فقال ان مات هذا فهو فى النار .

وروى ابن عمر رضى الله عنهما « أن عمر خرج الى بستان فرجع وقد صلى الناس العصر . فقال — إنا لله وإنا اليه راجعون — فاتتنى صلاة العصر فى الجماعة أشهدكم أن حائطى على المساكين صدقة » : أى ليكون كفارة لما ضيع . قال حاتم الأصم : فاتتنى مرة صلاة الجماعة ، فعزانى أبو اسحاق البخارى وحده . ولومات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف نفس ، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا ، وانه لومات لى الأبناء جميعا لكان أهون على من فوات هذه الصلاة فى الجماعة .

وحكى الناشرى عن محمد بن سماعة أنه قال : أقمت أربعين سنة لم تفتنى التكبيرة الأولى الايوما واحدا ماتت فيه أمى ففاتتنى صلاة واحدة عن الجماعة فقمت فصليت خمسا وعشرين صلاة أريد بذلك تضعيف فغلبتنى عينى فأتانى آت . فقال : يامحمد قد صليت خمسا وعشرين ، ولكن كيف لك بتأمين الملائكة . وأخرج الطبرانى « من أم قوما فليتق الله وليعلم أنه ضامن مسئول لما ضمن وان أحسن كان له من الاجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينقص من أجورهم شيئ وما كان من نقص فهو عليه » . وأبو الشيخ عن أبى هريرة « الرحمة تنزل على الامام ثم من على يمينه الأول فالأول » . والطبرانى عن طلحة « أيما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجاوز صلاته أذنيه » . وهو عن مرثد الغنوى « ان سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم علماؤكم فانهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم » . ومسلم عن ابن مسعود « يؤم القوم أقرؤهم

لكتاب الله ، فان كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فان كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة، فان كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سنا ولا يؤمنّ رجل رجلا فى سلطانه ولايجلس فى بيتـه على تكرمته الا باذنه » . والعقيلى عن ابن عمر « من أم قوما وفيهم من هو أقرأ منـه لكتاب الله وأعلم لم يزل فى سفال الى يوم القيامة » . ومسلم عن أبى هريرة « اذا ثوب للصـلاة فلاتأتوها وأنتم تسعون وائتوها وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا ومافاتكم فأتموا فان أحـدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو فى الصلاة » . وأحمد وأبوداود وابن ماجه والحاكم عن البراء « ان الله تعالى وملائكته يصلون على الصف الأوّل » . وأحمد عن أبى أمامة « ان الله وملائكته يصلون على الصف الأوّل فسووا صفوفكم وحاذوا بين مناكبكم ولينوا بأيدى اخوانكم وسدوا الخلل فان الشيطان يدخل فيما بينكم مثل الحذف » . وأحمد عن عائشة « ان الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف ، ومن سد فرجة رفعـه الله بها درجة » . وفى رواية « من سد فرجة غفر له » . والنسائى والحاكم عن ابن عمر « من وصـل صفا وصـله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله » . والطبرانى عن وابصة « أيها المصلى وحده ألاوصلت الى الصف فدخلت معهم أو اجتررت اليك رجلا ان ضاق بك المكان فقام معـك أعد صلاتك فانه لاصـلاة لك » . وابن ماجه « لاصلاة للذى خلف الصف » . والشيخان عن أبى هريرة « أما يخشى أحـدكم اذا رفع رأسه قبل الامام أن يجعـل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار » . وابن قانع عن شيبان « من رفع رأسه قبل الامام أو وضعه فلاصلاة له » . وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها « لايزال قوم يتأخرون عن الصف الأوّل حتى يؤخرهم الله فى النار » . وهو وابن ماجه وحبان عنها « ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف » .

[تنبيه] إن الجماعة فى اداء مكتوبات الرجال الأحرار المقيمين فرض كفاية على الأرجح فى مذهبنا ، وفرض عين عند أحمد بن حنبل وعطاء والأوزاعى وأبى ثور وابن المنذر ، وابن خزيمة وشرط لصحة الصلاة عند داود ، وينبغى تسوية الصف ، وهى سد الفرج فيـه واتمام الصف الأوّل فالأوّل ، فتسويته مستحب فى تأدية الجماعـة وشرط لنيل فضلها وصلاة من تركها صحيحة على الأصح ، لكن جزم ابن حزم بوجوبها وبطلان صلاة تاركها وعدم مسابقة الامام برفع الرأس أوقيام أوهوى قبله فسابقته مكروهة على المرجح ، ويسن العود الى الامام ان كان باقيا فى ذلك الركن ، وحرام على ماجزم به بعض المتأخرين ، والاعتناء بالوقوف فى الصف الأوّل ، والمحافظة عليه أولى من المبادرة الى الاحرام لادراك الركوع مع الامام فى غير الركعة الأخيرة .

[فرع] يندب قطع النافلة وقلب فريضة مؤداة نفلا لخوف فوت جماعة .

فصل : فى شروط الاقتداء

عدم تقدمه على امامه بعقب ونية الاقتداء بالامام الحاضر مع تحريم وشرط فى جمعة نية امامة معه ، وهى سنة فى غيرها وعلمه بانتقالات الامام ، واجتماعهما بمكان : فلوكانا فى بناءين شرط عدم حائل أووقوف واحد حذاء منفذ فيـه ولو وقف فى علو وامامه فى سفل أوعكسه لم يشترط محاذاة بعض بدنه بعض بدنه على طريق العراقيين التى رجحها النووى وتوافق صلاتيهما نظما لانية

وعددا وموافقة فى سنن تفحش مخالفـة فيها فعلا وتركا كتشهد أوّل وقنوت وتبعية ، بأن يتأخر احرامه وأن لايتعمد مع علم تحريم تقدما بتمام ركنين فعليين ولوقصيرين أوتخلفا بهما بلاعذر فان خالف بطلت صلاته أو بأربعة طويلة بعذر أوجبه نحو بطء أوشك فى قراءة لاوسوسة فليوافق فى الرابع ويقطع مسبوق الفاتحـة فان قرأ ففاته الركوع لغت ركعته وتخلف بلاعذر فان اشتغل بسنة أوسكت أواستمع قراءة الامام قرأ وجوبا قدرها بعـد ركوع الامام وعذر فيتخلف ويدرك الركعة مالم يسبق بأكثر من ثلاثة أركان طويلة على ماقاله الشيخان كالبغوى فان ركع بدون قراءة بقدرها بطلت صلاته ولايصح اقتداؤه بمن يعتقد بطلان صلاته ولاقارىء بأمى يخل بحرف من الفاتحة كأرت بالثغ ولواقتدى بمن ظنه قارئا أوغيرمأموم فبان أميا أومأموما أعاد وكذا بمن جهله فى الجهرية ان أسر لاإن بان ذا حدث أونجاسـة خفية على المأموم بحيث لوتأملها لم يرها ويكره اقتداء بفاسق ومبتدع وان لم يوجـد أحد سواهما وكره تعمد مقارنة الامام بالأركان حتى السلام والتخلف عنه الى فراغ الركن وانفراد عن الصف ووقوف الذكر الفرد عن يسار الامام ، ووراءه ومحاذيا له ومتأخرا لا كثيرا .

اعلم أن الجماعة تتأدى أى يسقط إثم تركها مع هـذه المكروهات لكن لايحصل الثواب عليها كمع سائر مايكره من حيث الجماعـة ، وقال بعضهم انتفاء الفضيلة يلزمه الخروج عن المتابعة حتى يصير كالمنفرد ولايصح له الجماعة .

باب صلاة الجمعة

قال الله تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعـة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلـكم خير لـكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلـكم تفلحون ـ .

وأخرج القضاعى وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجمعة حج الفقراء » . والشافعى وأحـمد عن سعد بن عبادة « سيد الأيام عند الله يوم الجمعـة وهو أعظم من يوم النحر ويوم الفطر وفيه خمس : خصال فيه خلق الله آدم وفيه أهبط من الجنة الى الأرض وفيه توفى وفيه ساعة لايسأل العبد فيها شيئا الاأعطاه اياه مالم يسأل إثما أوقطيعة رحم وفيه تقوم الساعة ، ومامن ملك مقرب ولاسماء ولا أرض ولاريح ولاجبل ولاحجر الاوهو مشفق من يوم الجمعـة » . ومسلم وأبوداود عن أبى موسى الأشعرى « أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان ساعة الاجابة ما بين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة » . وأحمد والترمذى عن ابن عمر « مامن مسلم يموت يوم الجمعة أوليـلة الجمعة الاوقاه الله تعالى فتنة القبر أعاذنا الله منها » . والطبرانى عن أبى سعيد « ان الله كتب عليكم الجمعة فى مقامى هـذا فى ساعتى هذه فى شهرى هذا فى عامى هذا الى يوم القيامة من تركها بغير عذر مع امام عادل أوامام جائر فلاجمع له شمله ولابورك له فى أمره ، ألاولاصلاة له ألاولاحج له ألاولابر له ألاولاصدقة له » . وأبوداود والحاكم عن طارق ابن شهاب « الجمعـة حق واجب على كل مسلم فى جماعة الاعلى أربعة عبد مملوك أوامرأة أوصبى أومريض » . وأحـمد ومسلم عن أبى هريرة « من توضأ يوم

الجمعة فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة واستمع وأنصت غفر له ما بينه و بين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا » . وأحمد والحاكم عن أبي الجعد « من ترك ثلاث جمع متهاونا بها طبع الله على قلبه » . والطبراني عن أسامة بن زيد « من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كتب من المنافقين » .

وحكى الدينوري عن الأوزاعي . قال : كان عند صياد ، وكان يخرج فى الجمعة لا يمنعه مكان الجمعة من الخروج نخسف به و ببغلته فى الأرض نخرج الناس ، وقد ذهبت بغلته فى الأرض فلم يبق منها الا أذنها وذنبها .

وحكى ابن أبي شيبة عن مجاهد : أن قوما خرجوا فى سفر حين حضرت الجمعة فاضطرم عليهم خباؤهم نارا من غير نار يرونها . قال اليافعي بلغنا ان الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة تشريفا لهذا الوقت .

وحكى الأوزاعي عن ميسرة بن حليس : أنه مر بمقابر باب توماء وقائد يقوده ، وكان مكفوفا . فقال : السلام عليكم أهل القبور أنتم لنا سلف ، ونحن لكم تبع ورحمنا الله وإياكم وغفر لنا ولكم وردّ الله الروح فى رجل منهم فأجابه . فقال : طوبى لكم يا أهل الدنيا حين تحجون فى الشهر أربع مرات . قال والى أين يرحمك الله ؟ قال الى الجمعة أفما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة .

[تنبيهان : أحدهما] أن أداء صلاة الجمعة مع الجماعة على غير ذوى الأعذار فرض عين اجماعا فمن استحل تركها وهو مخالط للمسلمين كفر ومن ثم لو قال انسان أصلى ظهرا لا جمعة قتل على الأصح .

ثانيهما أنه يحرم على من تلزمه الجمعة كمقيم لم يتوضأ انشاء سفر بعد فجرها ولو للطاعة .

وأخرج أحمد وابن حبان عن ابن عباس « اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤوسكم وان لم تكونوا جنبا ومسوا من الطيب » . وابن أبي شيبة عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه « من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وخطاياه . فاذا أخذ فى المشى كتب له بكل خطوة عشرون حسنة » . والديلمي عن أبي هريرة « الغسل فى هذه الأيام واجب يوم الجمعة ويوم الفطر ويوم النحر ويوم عرفة » . وأبو داود والترمذي عن أوس بن أوس « من غسل واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع فأنصت ولم يلغ كان له بكل خطوة يخطوها من بيته الى المسجد عمل سنة أجر صيامها وقيامها » . وأحمد وأبو داود عن أبي سعيد « من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومس من طيب ان كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتى يأتى المسجد ولم يتخط رقاب الناس ، ثم ركع ما شاء الله أن يركع ، ثم أنصت اذا خرج الامام فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته كان كفارة لما بينها وبين الجمعة التى قبلها » . والبزار « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل الخروج الى الصلاة » . والطبراني عن أبي الدرداء « ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة » .

والشيخان عن أبي هريرة « اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون الناس على قدر منازلهم الأول فالأول ، فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر ، ومثل المهجر كمثل الذى يهدى بدنة ، ثم كالذى يهدى بقرة ، ثم كالذى يهدى الكبش ثم كالذى يهدى الدجاجة ، ثم كالذى يهدى البيضة » . وأحمد والطبراني عن الأرقم « ان الذى

يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين اثنين بعد خروج الامام كالجارّ قصبه : أى أمعاءه فى النار » . والترمذى وابن ماجه « من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم » . وأحمد وأبو داود عن سمرة « احضروا الجمعة وادنوا من الامام ، فان الرجل لايزال يتباعد حتى يؤخر فى الجنة وان دخلها » . وأحمد عن ابن عباس « مثل الذى يتكلم يوم الجمعة والامام يخطب مثل الحمار يحمل أسفارا والذى يقول له أنصت لاجمعة له » . وأبو داود والترمذى عن معاذ بن أنس « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحبوة يوم الجمعة والامام يخطب » . وابن أبى شيبة عن كعب قال « الصدقة تضاعف يوم الجمعة » . وابن زنجويه عن ابن المسيب بن رافع قال « من عمل خيرا فى يوم الجمعة ضعف له بعشرة أضعاف فى سائر الأيام ومن عمل شرا فمثل ذلك » . والبيهقى عن أبى سعيد « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له مابينه و بين العتيق » . وهو عن أبى هريرة «من قرأ ليلة الجمعة حمٓ الدخان و يسٓ أصبح مغفورا له » . وابن زنجويه عن وهب بن منبه قال « من قرأ ليلة الجمعة سورة البقرة وآل عمران كان له نور مابين غريبا وعجيبا ، وغريبا العرش ،وعجيبا أسفل الأرضين » . وابن مردويه عن عائشة رضى الله عنها «ألا أخبركم بسورة ملأت عظمتها مابين السماء والأرض ، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ، ومن قرأها يوم الجمعة غفرله مابينه و بين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أىّ الليل شاء ، وهى سورة أصحاب الكهف » . والدارمى عن مكحول « من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل » . وهو عن كعب « اقرءوا سورة هود يوم الجمعة » . والطبرانى عن أبى أمامة « من قرأ حمٓ الدخان فى ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتا فى الجنة » . وابن أبى شيبة عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما « من قرأ بعد الجمعة فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس سبع مرات حفظ مابينه و بين الجمعة الأخرى » . وفى رواية ضعيفة « غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وأعطى من الأجر بعدد كل من آمن بالله واليوم الآخر » . وابن السنى عن أنس « من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة : أستغفر الله الذى لاإله إلاهو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله تعالى له ذنوبه ولوكانت مثل زبد البحر » . وهو عن ابن عباس « من قال بعد مايقضى الجمعة : سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة غفر الله تعالى له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب » . والخطيب عن جابر « لودعى بهذا الدعاء على شىء بين المشرق والمغرب فى ساعة من يوم الجمعة يعنى ساعة الاجابة الااستجيب لصاحبه : لا إله إلاأنت ياحنان يامنان يابديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام » . والبيهقى عن أبى هريرة « أكثروا من الصلاة علىّ فى كل يوم جمعة ، فان صلاة أمتى تعرض علىّ فى كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم علىّ صلاة كان أقربهم الىّ منزلة » . والدارقطنى وحسنه العراقى « من صلى علىّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة ، قيل يارسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبى الأمىّ وتعقد واحدة » . وأبو نعيم « من صلى علىّ يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لوقسم ذلك النور بين الخلق كلهم لوسعهم » . والبيهقى « أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فمن فعل ذلك كنت له

شهيدا أوشفيعا يوم القيامة » . وفى رواية « من صلى صلاة العصر من يوم الجمعة فقال قبل أن يقوم من مكانه : اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما وكتبت له عبادة ثمانين سنة » . والبيهقى « أكثروا من الصلاة علىّ ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى علىّ صلاة صلى الله عليه وسلم بها عشرا » ، وأبو داود والنسائى « ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علىّ من الصلاة فيه ، فان صلاتكم معروضة على »

وحكى أن خلاد بن كثير كان فى النزع فوجد تحت رأسه رقعة مكتوب فيها هذه براءة من النار لخلاد بن كثير فسألوا أهله ما كان عمله ؟ فقال أهله كان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم جمعة ألف مرة : اللهم صل على محمد النبي الأمى . نسأل الله القدير بجاه النبي البشير أن يكتب لنا البراءة من النار والخلود فى دار القرار .

فصل : فى شروط صحة الجمعة

شروط صحتها ستة : وقوعها جماعة بنية امامة واقتداء وبأربعين مكلفا ذكرا حرا متوطنا وبأبنية مجتمعة ووقوع الصلاة كلها فى وقت ظهر وعدم تعدد الا لعسر اجتماع وتقديم خطبتين بالعربية وان لم يفهموا . وأركانهما حمد الله وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظهما ووصية بالتقوى ولو أطيعوا الله فى كلّ وقراءة آية مفهمة فى أحداهما ودعاء للمؤمنين بأخروى فى ثانية . وشرط جلوس بينهما بطمأنينة وموالاة عرفا بين أركانهما وبينهما وبين الصلاة وطهر وستر وقيام لقادر ، ويجب اسماع الأربعين الذين تنعقد بهم الجمعة أركانهما ، وأن يتأخر احرام من لا تنعقد بهم الجمعة عن احرام من تنعقد بهم .

[فرع] من له مسكنان ببلدين فالعبرة بما كثرت فيه اقامته فيما فيه أهله وماله . فان استوى فى الكل فبالمحل الذى هو فيه حالة اقامة الجمعة .

باب ما يحرم على الرجل من استعمال حرير صرف وحلى نقد ومن تشبه بالنساء

أخرج أبو داود والنسائى عن على رضى الله عنه « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فجعله فى (1) يمينه وذهبا فجعله فى يساره ثم قال : ان هذين حرام على ذكور أمتى » . والحاكم « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة ، ومن شرب فى آنية الذهب والفضة لم يشرب بها فى الآخرة ، ثم قال لباس أهل الجنة : أى الحرير وشراب أهل الجنة : أى الخمر وآنية أهل الجنة : أى آنية النقد » . والشيخان « لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » . وروى النسائى قال ابن الزبير « من لبسه فى الدنيا لم يدخل الجنة » . قال الله تعالى ولباسهم فيها حرير — وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن عمر رضى الله عنه « انما يلبس الحرير فى الدنيا من لا خلاق له فى الآخرة » . والبزار عن حذيفة مرفوعا « من لبس ثوب حرير ألبسه الله ثوبا من النار يوما ليس من أيامكم ، ولكن من أيام الله الطوال » . وأحمد « من يستمتع

(1) هذه الرواية فيها عن والمعروف المروى «فى» فى موضعه . ا ه مصحح

بالحرير من يرجو أيام الله » : أي لقاءه وحسابه . وهو « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرا وذهبا » . والنسائي «أن رجلا قدم من نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من ذهب فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : انك جئتني وفي يدك جمرة من نار » . ومسلم « أنه صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال : يعمد أحدكم الى جمرة من نار فيجعلها في يده . فقيل للرجل بعد ماذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ خاتمك انتفع به ، فقال : والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم » . والبخاري « لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » . والأول جمع مخنث بفتح النون وكسرها ، وهو من فيه الانخناث : أي التكسر والتثني كما تفعله النساء ، وان لم يفعل الفاحشة الكبرى . والثاني المتشبهات من النساء بالرجال . وأبو داود والنسائي « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل» . والطبراني « أن امرأة مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدة قوسا . فقال : لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال » . وأبو داود «أتى رسول الله صلى الله عليه و لم بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مابال هذا ؟ قالوا يتشبه بالنساء فأمر به فنفي الى البقيع » .

وحكي عن القطب عبد القادر الجيلاني رحمه الله : أنه عطش في بعض سياحاته فرأى اناء من فضة معلقا في السماء فأدلي عليه في سحابة وسمع صوتا داخلها اشرب ياعبد القادر قد أحللنا لك المحرمات وأسقطنا عنك الواجبات . فقال رضي الله عنه ونفعنا به : اجتنبنا ياملعون لست أكرم على الله من نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يفعل له شيء من ذلك .

[تنبيهات . أحدها] أنه يحرم على الرجال استعمال الحرير وما أكثره وزنا منه لاظهورا ولو باتخاذه بطانة وبافتراشه بلاحائل أو اتخاذه سترا ، وكذا تزيين البيوت والمساجد به أو بمصوره وبغيرهما مكروه ، وكالحرير المزعفر والمعصفر .

[فرع] لو لم يجد لرجل الا ثوب حرير لزمته الصلاة فيه . قال الأسنوي : يلزم قطع مازاد من الحرير على قدر العورة ان لم ينقص أكثر من أجرة الثوب ، ويقدم الثوب المتنجس على الحرير في ستر العورة في غير الصلاة ، ويحرم انزال ثوبه أو ازاره عن كعبيه بقصد الخيلاء والا كره . وثانيها أنه يحرم عليه استعمال حلي ذهب أو فضة الا خاتما من فضة فيجوز ، بل يسن ، ويحرم تمويهه بالذهب ، وان لم يحصل منه شيء بالعرض على النار وكذا جعل شيء من ذهب داخل فصه الذي غطي بنحو بلور صاف ، ويحرم على المكلف ولو امرأة استعمال وتزيين باناء وان صغر منها ومكحلة ومرود وخلال وما يخرج به وسخ الأذن من ذهب أو فضة وكذا اقتناؤها . وثالثها أن تشبه الرجل بالنساء فيما يختص بهن عرفا غالبا من لباس أو كلام أو حركة وعكسه حرام ، فمن التشبه المحرم خضب الرجل يديه ورجليه بالحناء بغير عذر ، واستعمال الرجل الشبب والكوافي التي فيها خيوط الذهب ولو يسيرا لأنه من زينة النساء المختصة بهن ، فمن فعله من الرجال صار متشبها بهن ملعونا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومحروما من حلية الجنة ، ألبسنا الله تعالى منه وكرمه حلية الجنة .

باب عيادة المريض

أخرج مسلم «أن الله تعالى يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني . قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ . قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده » : أي لوجدت عنده ثوابي الذي لانهاية لعظمه . والطبراني « ان العائد يظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك » . والبخاري في الأدب « ثلاث كلهن حق على كل مسلم : عيادة المريض وشهود الجنازة وتشميت العاطس اذا حمد الله تعالى» . وأحمد «اذا عاد الرجل أخاه المسلم فان كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وان كان عشيا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح .

[تنبيه] ان العيادة مطلوبة اجماعا وانها سنة عين عند الجمهور وفرض كفاية عند بعض قدماء المالكية ، وصرح البخاري بوجوبها ، ولا يسن عيادة الفاسق المتجاهر بفسقه بل يكره أو يحرم لتصريحهم بحرمة ايناسه ولو بالجلوس معه . ويكره عيادة ذي بدعة دينية لا من عالم يترتب على عيادته له اغواء العامة على اتباعه وحسن طريقته فيحرم عليه ذلك ، وضابط المرض الذي يسن العيادة منه مايبيح ترك الجمعة ولو رمدا بأن يكون مشقة الخروج والمشي معه كمشقة المشي في الوحل ، فلا أثر لصداع ووجع ضرس خفيفين ، وقال متأخرو أئمتنا : إن العيادة يوم الجمعة أفضل منها في غيره ، ويسن للعائد أن يطيب نفسه بذكر بعض ثواب المرض والصبر عليه وأن يحصل مشتهاه ان لم يضره ، وأن لايعترض عليه في الأنين ، وقد غلطوا من أطلق كراهته نعم ان أمكنه أن يرشده بلطف الى أن الذكر أولى فعل ، وأن يسأل المريض الدعاء له لصحة الخبر بالأمر به ، وأنه كدعاء الملائكة . وصح أنه ﷺ كان اذا دخل على مريض قال : « لا بأس طهور ان شاء الله » : أي مرضك يطهر من الذنوب . وصح أيضا أن من قال « أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعافيك ويشفيك سبع مرات عند مريض لم يحضر أجله عافاه الله من مرضه » . وينبغي فتح الكاف في المؤنث مريدا الشخص اتباعا للفظ الوارد .

خاتمة في ثواب المريض

أخرج الشيخان «ما يصيب المؤمن من نصب : أي تعب ولا وصب : أي مرض ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» . وأبو داود «إن العبد إذا أصابه السقم ثم عافاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل ، وإن المنافق إذا مرض ثم عوفي كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم أرسلوه» . والبخاري « من يرد الله به خيرا يصب منه » أي يوجه إليه مصيبة ليثيبه . والطبراني « يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب ، ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ، ثم يؤتى بأهل البلاء لاينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان فيصب عليهم الأجر صبا حتى إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله » . وخبر « إذا مرض العبد ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . وخبر [illegible] « من كتم حمى

يوم أصابته أخرجه الله من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وكتب الله له براءة من النار وستر عليه كما ستر بلاء الله فى الدنيا » . وأحمد والطبرانى « ان الصداع والمليلة لايزالان بالمؤمن وان ذنوبه مثل أحد فما يدعانه وعليه من ذنوبه مثقال حبة من خردل » . والقضاعى « الحمى حظ كل مؤمن من النار وحمى ليلة تكفر خطايا سنة محرمة » : أى كاملة . وابن ماجه « الحمى كير من كير جهنم فنحوها عنكم بالماء البارد » . وأحمد والترمذى والنسائى « من قتله بطنه لم يعذب فى قبره » . وصح « من أصيب بمصيبة بماله أوفى نفسه فكتمها ولم يشكها الى الناس كان حقا على الله أن يغفر له » .

[تنبيه] اعلم أن الأئمة اختلفوا فى أن ثواب المريض هل على الصبر على مرضه ، أوعلى نفس مرضه ، والاصح فى ذلك أنه ان صبر أثيب على المرض والصبر ، وإلا لم يثب . هذا مادلت عليه الأحاديث . قال عز الدين بن عبد السلام : ان المصائب لاثواب فيها لأنها ليست من كسب العبد بل الثواب فى الصبر عليها لاغير . نعم فيها التكفير وإن لم يصبر اذ لايشترط فى المكفر أن يكون كسبا .

باب النياحة وتوابعها وسماعها

أخرج الشيخان عن أبى موسى الأشعرى أنه قال : أنا برىء ممن برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة : أى الرافعة صوتها بالندب والنياحة والحالقة : أى لرأسها عند المصيبة ، والشاقة : أى لثوبها » . وهما عن عبدالله بن مسعود «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » . والحاكم وابن حبان « ثلاثة من الكفر بالله : شق الجيب : أى طوق القميص والنياحة والطعن فى النسب » . وابن ماجه « النياحة من أمر الجاهلية وإن النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثيابا من قطران ودرعا من لهب النار » . والطبرانى « ان هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين فى جهنم صف عن يمينهم وصف عن يسارهم فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب » . وأبو داود عن أبى سعيد الخدرى قال « لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة » . وابن ماجه وابن حبان عن أبى أمامة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور » . وأبوداود عن امرأة من المبايعات قالت « كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ فى المعروف الذى أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لانخمش وجها ولا ندعو ويلا ولانشق جيبا ولاننتف شعرا » . والشيخان « الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه » . والترمذى « مامن ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : واجبلاه واسيداه ونحو ذلك إلا وكل الله به ملكين يلهزانه أهكذا كنت » . والبخارى عن النعمان بن بشير قال « أغمى على عبدالله بن رواحة فجعلت أخته تبكى واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ماقلت شيئا إلا قيل لى أنت كذلك ، فلما مات لم تبك عليه » . وفى رواية رواها الطبرانى « فقال يارسول الله أغمى على فصاحت النساء واعزاه واجبلاه ، فقام ملك معه مرزبة فجعلها بين رجلى ، فقال أنت كما تقول ؟ قلت لا ولو قلت نعم ضربنى بها » . والطبرانى «من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوبا أولطم خدا أوشق جيبا أونتف شعرا فكأنما

أخذ رمحا يريد أن يحارب به ربه » قال صالح المرى : نمت ليلة جمعة بمقبرة فرأيت الأموات خرجوا من قبورهم وتحلقوا ونزلت عليهم أطباق مغطاة وفيهم شاب يعذب فتقدمت فسألته فقال : لى والدة جمعت النوادب فأنا معذب بذلك فلاجزاها الله عنى خيرا وبكى ، ثم أمرنى أن أذهب اليها وأعلمنى بمحلها وأن أناشدها بترك هـذا العذاب العظيم الذى تسببت له فيه ، فلما أصبحت ذهبت إليها ورأيت عندها تلك النوادب ووجهها قد اسودّ من كثرة اللطم والبـكاء ، فذكرت لها ذلك المنام فتابت وأخرجت النوادب وأعطتنى دراهم لأتصدق بها عنه ، فأتيت المقبرة ليلة الجمعة على عادتى وتصدقت عنه بتلك الدراهم ، فنمت فرأيته وهو يقول لى جزاك الله عنى خيرا أذهب الله عنى العذاب ووصلت الىّ الصدقة فأخبر أمى بذلك ، فاستيقظت فذهبت إليها فوجدتها ماتت فحضرت الصلاة عليها ودفنت بجنب ولدها .

[تنبيه] قد أجمعت الأئمة على تحريم الندب ، وهو تعديد محاسن الميت كوا جلاه ، والنوح وهو رفع الصوت بالندب ، ومثله افراط رفعه بالبكاء وان لم يقترن بندب ولانوح وضرب نحو الخد والصـدر وشق نحو الجيب ونشر الشعر وحلقه ونتفه وتسويد الوجـه ، وإلقاء الرماد على الرأس والدعاء بالويل والثبور أى الهلاك ، وكل شىء فيه تغيير للزى كلبس مالايعتاد لبسه أصـلا أو على تلك الصفة وكترك شىء من لباسـه والخروج بدونه على خـلاف عادته . أما البـكاء السالم من كل ذلك فهو جائز قبل الموت وبعـده لـكن الأولى تركه بعده ومامر من أن الميت يعذب ببكاء أهله خالف الأئمة فيما إذا يحمل عليه ، والصحيح عنـدنا أنه محمول على ما إذا أوصى بذلك بخلاف ما إذا سكت فلم يأمر به ولم ينه ، وقيل انه اذا سكت ولم ينههم عن نحو النوح يعذب بذلك أيضا ، لأن سكوته رضا منـه به فعذب به كما لو أمر ، فمن أراد الخروج من ورطة هـذا القول ينبغى اذا نزل به مرض أن ينهاهم عن بدع الجنائز وغـيرها من المحرمات الشنيعة والقبائح الفظيعة ، وفقنا الله لمرضاته .

فصل فيما يقوله المريض للنجاة من العذاب

أخرج الترمذى والنسائى وابنا ماجه وحبان والحاكم عن أبى سعيد الخـدرى وأبى هريرة قالا : قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه فقال : لا إله إلا أنا وأنا أكبر ، وإذا قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، قال الله لا إله إلا أنا وحدى لاشريك لى ، وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال الله : لا إله إلا أنا لى الملك ولى الحمد ، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الله : لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى ، من قالها فى مرضه ثم مات لم تطعمه النار . وابن عساكر عن على كرم الله وجهه عن النبى ﷺ « كلمات من قالهن عنـد موته دخل الجنة : لا إله إلا الله الحليم الـكريم ثلاثا والحـمد لله رب العالمين ثلاثا تبارك الذى بيده الملك يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير » . والحاكم عن سعد بن أبى وقاص عنه صلى الله عليه وسلم « أيما مسلم قال فى مرضه : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين أربعين مرة فمات فى مرضه ذلك أعطى له أجر شـهيد ، وإن برئ برئ وقد غفرت له جميع ذنوبه » . وللطـبرانى « من قرأ سورة قل هو الله أحـد فى مرضه الذى يموت فيه مائة مرة لم يفتن فى قبره وأمن من

ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأجنحتها حتى يجيزونه من الصراط إلى الجنة» . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ألا أخبرك بأمر حق من تكلم به فى أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار . قلت بلى . قال : لااله الاالله يحيي ويميت ، وهو حي لايموت وسبحان الله رب العباد والبلاد ، والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال ، الله أكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان ، اللهم ان كنت أمرضتني لقبض روحي فى مرضي هذا فاجعل روحي فى أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وأعذني كما أعذت أولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى ، ان مت فى مرضك ذلك فالى رضوان الله والجنة ، وان كنت قد اقترفت ذنوبا تاب الله عليك » . وعن معاذ « من كان آخر كلامه لا له الاالله دخل الجنة » . وعن ابن عباس « افتتحوا على صبيانكم أول كلمة بلااله الاالله ، ولقنوهم عند الموت لااله الا الله ، فان من كان أول كلامه لااله الا الله وآخر كلامه لااله الا الله ، ثم عاش ألف سنة ماسئل عن ذنب واحد » . وعن معقل بن يسار « عن النبي صلى الله عليه وسلم اقرءوا على موتاكم يس » . وروى «مامن ميت يقرأ عنده يس الا هوّن الله عليه » ويستحب اذا احتضر الميت أن يقرأ عنده أيضا سورة الرعد فان ذلك يخفف عن الميت سكرة الموت وانه أهون لقبضه وأيسر لشأنه ، وذكر جماعة ان الامساك يسهل خروج الروح لاسيما كه صلى الله عليه وسلم عند موته . وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم « من أتاه ملك الموت وهو على وضوء أعطى الشهادة » .

فصل فى الصبر على المصائب

أخرج الشيخان «أن بنتا له ﷺ أرسلت اليه تدعوه وتخبره أن ابنها فى الموت . فقال صلى الله عليه وسلم للرسول ارجع اليها وأخبرها ان لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب » . والبخاري « مالعبدي المؤمن اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة » . وفى حديث «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فانها أعظم المصائب ، وكان القاضي حسينا من أكابر أئمتنا أخذ من هذا قوله الذى أقروه عليه يجب على كل مؤمن أن يكون حزنه على فراق أبويه كما يجب عليه أن يكون النبي ﷺ أحب اليه من نفسه وأهله وماله . وفى آخره «انما الصبر عند الصدمة الأولى » . أى انما يحمد الصبر عند مفاجأة المصيبة ، وأما بما بعد فيقع السلو طبعا ، ومن ثم قال بعضهم ينبغى للعاقل أن يفعل بنفسه أول أيام المصيبة ما يفعله الأحمق بعد خمسة أيام . وفى آخر «ان الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر »، وورد فى حديث « من قدم ثلاثة من اولاد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنا من النار » : فقال أبو الدرداء رضي الله عنه « قدمت اثنين . قال واثنين ، قال آخر انى قدمت واحدا . قال وواحدا ، ولكن ذلك فى أول صدمة » . وفى حديث مسلم « إن الأطفال دعاميص الجنة : أى حجاب أبوابها يتلقى أحدهم أباه أوقال أبويه فيأخذ بثوبه أوقال بيده فلا ينتهى حتى يدخله الجنة » . وفى خبر مسلم « انه مات ابن لأبى طلحة من أم سليم . فقالت لاتحدثه الا أنا ، فلما جاء قربت اليه عشاءه فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع قبل ذلك فوقع بها ، فلما رأته أنه قد شبع وأصاب منها قالت ياأبا طلحة أرأيت لوأن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم لهم

أن يمنعوهم قال لاقالت أم سليم : فاحتسب ابنك فغضب وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره . فقال بارك الله لكما فى ليلتكما » .

وروى أن ابن عمر ضحك عند دفن ابنه فقيل له أتضحك ؟ . فقال أردت أن أرغم الشيطان .

وقال أبو على الرازى : صحبت الفضيل ثلاثين سنة مارأيته ضاحكا ولا متبسما ولا مستبشرا الا يوم مات ابنه على فقيل له فى ذلك . فقال ان الله أحب أمرا فأحببته .

وحكى اليافعى عن أبى الحسن السراج : قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فبينما أنا أطوف واذا بامرأة قد أضاء حسن وجهها ، فقلت والله مارأيت الى اليوم قط نضارة وحسنا مثل هذه المرأة وما ذاك الا لقلة الهم والحزن فسمعت ذلك تقول منى ، فقالت كيف قلت ياهذا لرجل ؟ والله انى لوثيقة بالأحزان ومكلومة الفؤاد بالهموم والأشجان مايشركنى فيها أحد ، فقلت لها وكيف ذلك قالت ذبح زوجى شاة ضحى بها ولى ولدان صغيران يلعبان وعلى ثديى طفل يرضع فقمت لأصنع طعاما اذ قال ابنى الكبير للصغير الا أريك كيف صنع أبى بالشاة قال بلى فأضجعه وذبحه وخرج هاربا نحو الجبل فأكله ذئب فانطلق أبوه فى طلبه فأدركه العطش فمات فوضعت الطفل وخرجت الى الباب أنظر ما فعل أبوه فدب الطفل الى البرمة وهى على النار فألقى يده فيها وصبها على نفسه وهى تغلى فانسلخ لحمه على عظمه فبلغ ذلك بنتا لى كانت عند زوجها فرمت بنفسها الى الأرض فوافقت أجلها فأفردنى الدهر من بينهم فقلت لها فكيف صبرك على هذه المصائب العظيمة ؟ فقالت مامن أحد ميز الصبر والجزع الا وجد بينهما منهاجا متفاوتا فأما الصبر بحسن العلانية فمحمود العاقبة ، وأما الجزع فصاحبه غير معوض .

وحكى عن بعض المشايخ أنه رأى سفيان الثورى فى المنام ، فقال له كيف رأيت الموت ؟ . فقال : أما الموت فلا تسأل عن عظمته وشدته ، فقال أى الأعمال وجدته أنفع ؟ . فقال : كل عمل صالح أنفع ، ولكنى نجوت من الحساب باسترجاعى وصبرى عند مصيبة بولد لى مات ، فقال سبحانه وتعالى أنسيت وقد قبضت ثمرة فؤادك فاسترجعت وحمدتنى اذهب فقد غفرت لك سيئاتك وضاعفت حسناتك ورفعت درجاتك ، غفر الله سيئاتنا وضاعف حسناتنا ورفع درجاتنا .

[خاتمة] قال أصحابنا وغيرهم يتأكد لمن ابتلى بمصيبة بميت أوفى نفسه أو أهله وماله ، وان خفت أن يكثر — إنا لله وإنا اليه راجعون — : اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف على خيرا منها لما وعد الله تعالى من قال ذلك بأن عليهم صلوات من ربهم ورحمة وانهم هم المهتدون : أى للترجيع أو للمحنة والثواب . والخبر مسلم « إن قال ذلك آجره الله وأخلف له خيرا » . وخبر « مامن مسلم ولا مسلمة أصيب بمصيبة فذكرها وان طال عهدها فيسترجع الا جدد الله عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب » . وقال ابن جبير : لقد عطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعطه غيرهم — إنا لله وإنا اليه راجعون — ولو أوتيه لقاله يعقوب عليه السلام ولم يقل — يا أسفا على يوسف — جعلنا الله من الصابرين فى الضراء والشاكرين فى السراء .

فصل : فى التعزية

أخرج الترمذى عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من عزى مصابا فله مثل

أجره » وهو عن أبي برزة « من عزى ثكلى كسي برداء » . وابن ماجه والبيهقي عن عمرو بن حزم « مامن مؤمن يعزي أخاه بمصيبة الا كساه الله عزّ وجل من حلل الكرامة يوم القيامة » .

[تنبيه] ان التعزية وهي التصبير وذكر مايسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته مستحبة قبل مضي ثلاثة أيام من بعد الدفن وتكره بعد مضيها ، ويسن أن يعم بالتعزية جميع أهل الميت وأقاربه الكبار والصغار والرجال والنساء ، ويكره لهم الجلوس لها ، وصنع طعام يجمعون الناس عليه ، لما روى أحمد عن جرير بن عبدالله البجلي قال : كنا نعدّ الاجتماع الى أهل الميت وصنعهم الطعام بعد دفنه من النياحة ، ويستحب لجيران أهل الميت ولو أجانب ومعارفهم وان لم يكونوا جيرانا وأقاربه الأباعد وان كانوا بغير بلد الميت أن يصنعوا لأهله طعاما يكفيهم يوما وليلة وأن يلحوا عليهم في الأكل ، ويحرم صنعه للنائحة لأنه إعانة على معصية .

فصل في زيارة القبور

أخرج العقيلي عن أبي هريرة «قال أبو رزين يارسول الله ان طريقي على الموتى فهل لي كلام أتكلم به اذا مررت عليهم . قال : قل السلام عليكم ياأهل القبور من المسلمين والمؤمنين أنتم لنا سلف ، ونحن لكم تبع وانا ان شاء الله بكم لاحقون . قال أبو رزين هل يسمعون ؟ قال يسمعون ولا يستطيعون أن يجيبوا : أي جوابا يسمعه الحي ، قال : ياأبا رزين ألا ترضى أن تردّ عليك بعددهم الملائكة » . وابن أبي الدنيا والبيهقي عن محمد بن واسع قال : بلغني أن الموتى يعلمون بزوّارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده . والبيهقي عن محمد بن النعمان مرسلا « من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب بارا » . وروى عن النبيّ ﷺ أنه قال « آنس مايكون الميت في قبره اذا زاره من كان يحبه في الدنيا » . وأخرج مسلم عن أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة . فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون » ، وزاد ابن السني عن عائشة رضي الله عنها « اللهم لاتحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم » . وابن أبي شيبة عن الحسن . قال « من دخل المقابر ، فقال : اللهم رب الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني استغفر له كل مؤمن مات منذ خلق الله آدم » . وأخرجه ابن أبي الدنيا بلفظ « كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات » . والبيهقي عن بشر بن منصور قال : كان رجل يختلف الى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز . فاذا أمسى وقف على باب المقابر ، فقال : آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيآتكم وقبل الله حسناتكم لايزيد على هؤلاء الكلمات ، قال ذلك الرجل : فأمسيت ذات ليلة فانصرفت الى أهلي ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو فبينما أنا نائم اذا بخلق كثير جاءوني : فقلت من أنتم وماحاجتكم ؟ قالوا نحن أهل المقابر . قالوا انك عودتنا منك هدية عند انصرافك الى أهلك . قلت وما هي ؟ قالوا الدعوات التي كنت تدعو بها : قلت فاني أعود لذلك فما تركتها بعد . وقال محمد بن أحمد المروزي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : اذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب والاخلاص والمعوّذتين واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فانه يصل اليهم . فالاختيار أن يقول القارىء بعد فراغه : اللهم

أوصل ثواب ماقرأته الى فلان .

وحكى بعض أهل العلم : أن رجلا رأى فى النوم أهل القبور فى بعض المقابر قد خرجوا من قبورهم الى ظاهر المقبرة واذا بهم يلتقطون شيئا مايدرى ماهو قال فتعجب من ذلك ، ورأيت رجلا منهم جالسا لايلتقط معهم شيئا فدنوت وسألت ماالذى يلتقط هؤلاء ؟ . فقال يلتقطون مايهدى اليهم المسلمون من قراءة القرآن والصدقة والدعاء ، فقال فقلت له فلم لاتلتقط أنت معهم؟ . فقال أنا غنى عن ذلك فقلت بأى شيء أنت غنى قال بختمة يقرؤها و يهديها الى كل يوم ولدى يبيع الزلابيــة فى السوق الفلانى ، فلما استيقظت ذهبت الى السوق حيث ذكر فاذا شاب يبيع الزلابية ويحرك شفتيه فقلت بأى شيء تحرك شفتيك ؟ قال أقرأ القرآن وأهديه الى والدى فى قبره ، قال فلبثت مدة من الزمان ثم رأيت الموتى قد خرجوا من القبور كما تقدم ، واذا بالرجل الذى كان لايلتقط صار يلتقط فاستيقظت وتعجبت من ذلك ثم ذهبت الى السوق لأتعرف خبر ولده فوجدته قد مات .

وحكى أن بعض النساء توفيت فرآها فى المنام امرأة تعرفها ، فاذا عنــدها تحت السرير آنية من نور مغطاة فسألتها ماهذه الأوعية ؟ فقالت فيها هدية أهداها الى أبو أولادى البارحة ، فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميتة ، فقال قرأت البارحة شيئا من القرآن وأهديته اليها .

خاتمــة

أخرج أبوداود والنسائى عن ابن عباس قال « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » . وسلم « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من أن يجلس على قبر » . وابن منده عن القاسم بن مخيمرة قال : « لأن أطأ على أسنان رمح حتى تبيد من قدمى أحب إلى من أن أطأ على قبر ، وان رجلا وطئ على قبر فأن قبه ليقظان اذ سمع صوتا من القبر اليك عنى ولاتؤذينى » .

[تنبيهان : أحدهما] قال أصحابنا : تحرم الصلاة الى قبور الأنبياء والأولياء والشهداء والعلماء تبركا بذى القبر و إعظاما له و إيقاد السراج على القبور وتبركا وتعظيما به ان قل . وثانيهما قال جماعة من أصحابنا وتبعهم النووى فى شرح مسلم بحرمة الجلوس والوطء على القبر ، وجزم آخرون كالنووى فى غيره بالكراهة بلا حاجة ، وفقنا الله لطاعته وأمانا من سوابغ رضاه وهباته وجنبنا من موجبات سخطه وأليم عقوباته آمين

كتاب الزكاة

قال الله تعالى — وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة — سماهم مشركين ، وقال تعالى — ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة — ، وقال تعالى — والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون — وأخرج الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن صاحب ذهب ولا فضة لايؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت

له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره : أى يوسع جسمه لها كلها ، وإن كثرت كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة و إما الى النار ، قيل يارسول الله فالابل ، قال ولا صاحب ابل لايؤدى منها حقها ، ومن حقها حلبها يوم ورودها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار ، قيل يارسول الله فالبقر والغنم ، قال ولا صاحب بقر ولاغنم لا يؤدى منهما حقهما الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولاجلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة و إما الى النار » . والبخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه أى شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك » والشيخان عن الأحنف بن قيس قال : جلست الى ملأ من قريش ، فجاء رجل حسن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم ، ثم قال : بشر الكانزين برضف يحمى عليها فى نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه و يوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فيتزلزل ، ثم ولى فجلس الى سارية وتبعته وجلست اليه وأنا لا أدرى من هو . فقلت له لا أرى القوم الا قد كرهوا الذى قلت . قال انهم لا يعقلون شيئا » . والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها « ماخالطت الصدقة أوقال الزكاة مالا الا أفسدته » أى ماتركت فيه ولم تخرج منه الا أهلكته . والطبرانى عن أنس « مانع الزكاة يوم القيامة فى النار » . وصح عن ابن مسعود « أمرنا باقام الصلاة و إيتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له » ، وفى رواية عن عبد الله « من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فليس بمسلم ينفعه عمله » . وروى عن ابن عباس : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه ولم يحج أوتجب الزكاة فيه ولم يزك سأل الرجعة عند الموت . فقال له رجل اتق الله يا ابن عباس فانما يسأل الرجعة الكفار . فقال ابن عباس سأتلو عليك بذلك قرآنا . قال الله تعالى [وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق] أى أؤدى الزكاة [وأكن مع الصالحين] : أى أحج .

وحكى شيخنا ابن حجر رحمه الله تعالى أن جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبى سنان ، فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده ، قال قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه . قال محمد بن يوسف الفريابى فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجعلنا نعزيه ونسليه وهو لايقبل تسلية ولا عزاء فقلنا له أما تعلم أن الموت سبيل لابد منه ؟ قال بلى ولكن على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب فقلنا له هل أطلعك الله على الغيب ، قال لا ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس عنه وجلست عند قبره واذا صوت من قبره يقول آه أفردونى وحيدا أقاسى العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلى ، قال فأبكانى كلامه فنبشت التراب عنه لأنظر ما حاله واذا القبر يلتهب عليه نارا وفى عنقه طوق من نار فحملتنى شفقة الأخوة

ومددت يدى لأرفع الطوق من رقبته فاحترقت أصابعى و يدى ثم أخرج الينا يده فاذاهى سوداء محترقة . قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكى عن حاله وأحزن عليه ، فقلنا فما كان أخوك يعمل فى الدنيا ؟ قال كان لايؤدى الزكاة من ماله ، قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى ـ ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ـ .

خاتمة فى ذم البخل

أخرج ابن عدى « لايجتمع الايمان والبخل فى قلب رجل مؤمن أبدا » . وأبو يعلى « مامحق الاسلام محق الشح شىء » . والخطيب « يقولون أو يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أظلم عند الله من الشح يحلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله أن لايدخل الجنة شحيح ولا بخيل » . والديلمى « الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر » . والطبرانى والبيهقى « صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل » .

فصل فى زكاة الذهب والفضة

اعلم أنه تجب الزكاة فى الذهب اذا بلغ عشرين مثقالا ، وفى الفضة اذا بلغت مائتى درهم ، ففيهما يجب ربع عشرهما اذا تم حول بعد أن ملكهما وأنه لا يجوز له تأخيرها بعد تمامه ، لما رواه أحمد وابنا خزيمة وحبان والبيهقى عن ابن مسعود « ان لاوى الزكاة : أى مؤخرها من جملة الملعونين على لسان محمد صلى الله عليه وسلم » . ومن ثم جزم بعضهم بعده كبيرة فان أخرها وهو قادر على أدائها ضمنها ، ولو امتنع من أدائها جاحدا وجوبها كفر وقتل بكفره كما يقتل المرتد . وان منعها بخلا بها أخذت منه قهرا وعزر ، فان امتنع بمنعه قاتله الامام ، وأنه يشترط فى صرف الزكاة نية الزكاة مثل الصدقة المال المفروضة عند دفعها أو عزلها أو اعطائها الوكيل ، فلو تصدق بجميع ماله ولم ينو الزكاة لم تسقط زكاته ولا عنوها للمستحقين ، ولو أعطاها لكافر وعبد غير مكاتب أو مكفى بنفقة زوج أو قريب أو غنى ملك كفاية العمر الغالب أو وجد كسبا لائقا حلالا يقع موقعا من حاجته أو هاشمى أو مطلبى ومواليهما لم يقع عن الزكاة .

وحكى الحصنى : أنه كان بعض الناس يخرج زكاته ثلاث مرات ويقول يحتمل أن الذى أخذها غير مستحق ، ومن يقدر على هذه العقوبات ؟ فبادر يا ابن آدم الى تخليص ذمتك بأداء زكاة مالك قبل أن يأتى بغتة عذاب ربك .

فصل فى صدقة التطوع

أخرج الطبرانى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا فان الصدقة فكاككم من النار » . والشيخان عن عدى بن حاتم « اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » . والقضاعى عن أبى هريرة « الصدقة تمنع ميتة السوء » . والطبرانى عن عقبة ابن عامر « ان الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور ، وانما يستظل المؤمن يوم القيامة فى ظل صدقته » . والبيهقى عن أبى هريرة « من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار » .

والنسائى والحاكم عن ابن عمر « من أطعم أخاه الخبز حتى يشبعه ، وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق كل خندق سبعمائة عام » ، وفى رواية « مابين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام » . والنسائى عن ابن عباس « مامن مسلم كسا مسلما ثوبا الا كان فى حفظ الله تعالى مادام عليه منه خرقة » . والعقيلى عن ابن عمر « كم من حوراء عيناء ما كان مهرها الاقبضة من حنطة أومثلها من تمر » . وأبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى « أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمنا على عرى كساه الله يوم القيامة من حلل الجنة » . وأبوداود وابن حبان عن أبى سعيد « لأن يتصدق الرجل فى حياته وصحته بدرهم خير من أن يتصدق بمائة عند موته » . والشيخان عن حارثة « تصدقوا فسيأتى عليكم زمان يمشى الرجل بصدقته فيقول الذى يأتيه بها لوجئت بالأمس لقبلتها فاما الآن فلاحاجة لى فيها فلا يجد من يقبلها » . والبيهقى عن أبى هريرة « مافتح رجل باب عطية بصدقة أوصلة الا زاده الله بها كثرة ، ومافتح عبد باب مسألة يريد بها كثرة الازاده الله بها قلة » . والطبرانى عن أبى أمامة «لولا أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم » . والبيهقى عن ابن عمر « من سئل بوجه الله فأعطى كتب له سبعون حسنة » . وأحمد والترمذى عن سلمان بن عامر « الصدقة على المساكين صدقة ، وهى على ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة » . وابن حبان « صدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر ، وفعل المعروف يقى مصارع السوء » . وابن عدى عن أبى هريرة « أعطوا السائل وان جاء على فرس » . وهوعن جابر « اذا أتاكم السائل فضعوا فى يده ولوظلفا محرقا » . وابن عساكر عن ابن عمر « ماعلى أحدكم اذا أراد أن تصدق لله صدقة تطوع أن يجعلها عن والديه اذا كانا مسلمين فيكون أجرها لهما وله مثل أجورهما بغير أن ينقص من أجورهما شيئا » . والبزار « سبع تجرى للعبد وهو فى قبره ، من علم علما ، أو أجرى نهرا ، أوحفر بئرا ، أوغرس نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورث مصحفا ، أوترك ولدا يستغفر له بعد موته » . ومسلم عن أبى هريرة « أن النبى ﷺ قال : بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى سحابة يقول اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء فتتبع الماء فاذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له ياعبد الله ماأسمك ؟ . قال فلان الاسم الذى سمع فى السحابة . فقال له ياعبد الله لم تسألنى عن اسمى ؟ قال : انى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان الاسم فما تصنع فيها ؟ قال أما اذ قلت هذا فانى أنظر الى مايخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالى ثلثا وأرد فيها ثلثا » . وابن عساكر عن ابن عباس « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أتى سائل امرأة وفى فمها لقمة فأخرجت اللقمة فناولتها السائل فلم تلبث أن رزقت غلاما . فلما ترعرع جاء ذئب فاحتمله فخرجت تعدو فى أثر الذئب وهى تقول : ابنى ابنى فأمر الله تعالى ملكا الحق الذئب فخذ الصبى من فيه وقال : قل لأمه الله يقرئك السلام وقل لها هذه لقمة بلقمة » . وابن النجار عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل يأتى وكر طائر كلما أفرخ يأخذ فرخيه فشكا ذلك الطائر الى الله تعالى مايفعل به فأوحى الله تعالى اليه ان عاد فسأهلكه

فلما أفرخ خرج ذلك الرجل كما كان يخرج فلما كان فى طريق القرية لقيه سائل فأعطاه رغيفا كان معه يتغذاه ، ثم مضى حتى أتى الوكر فوضع سلمه ، ثم صعد فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران اليـه فقالا ربنا انك لاتخلف الميعاد وقد وعدتنا أنك تهلك هذا اذا عاد وقدعاد فأخذ فرخينا ولم تهلكه فأوحى الله اليهما ألم تعلما أنى لا أهلك أحدا تصدق فى يومه بميتة سوء» .

وحكى اليافعى عن جعفر بن سليمان قال : مررت أنا ومالك بن دينار بالبصرة ، فبينما نحن ندور فيها مررنا بقصر يعمل واذا شاب جالس مارأيت أحسن وجها منه واذا هو يأمر ببناء القصر وهو يقول افعلوا واصنعوا فقال لى مالك أما ترى الى هذا الشاب وحسن وجهه وحرصه على هذا البناء ما أحوجنى الى أن أسأل ربى يخلصه فلعله يجعله من شباب أهل الجنـة ، ياجعفر ادخل بنا اليه ، قال جعفر فدخلنا وسلمنا فردّ السـلام ولم يعرف مالـكا فلما عرفه قام اليه فقال ماحاجتك قال كم نويت أن تنفق على هذا القصر قال مائة ألف درهم ، قال ألاتعطينى هذا المال فأضعه فى حقه وأضمن لك على الله عزّ وجل قصرا خيرا من هذا القصر بولدانه وخدمه وقبابه وخيمه من ياقوتة حمراء مرصعا بالجواهر ترابه الزعفران وملاطه المسك أفسح من قصرك هذا لايخرب لم يمسه يدان ولم يبنه بان قال له الجليل كن فكان فقال شفنى الليلة وبكر علىّ غـدا فقال نعم ، قال جعفر فبات مالك وهو يفـكر فى الشاب ، فلما كان وقت السحر دعا فأكثر من الدعاء ، فلما أصبحنا غدونا فاذا بالشاب جالس فلما عاين مالـكا هش اليه ثم قال ماتقول فيما قلت بالأمس ؟ قال تفعل قال نعم فأحضر البدر ودعا بدواة وقرطاس ثم كتب : بسم الله الرحمن الرحيم هـذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان انى ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك بصفته كما وصفت والزيادة على الله واشتريت لك بهذا المـال قصرا فى الجنة أفسح من قصرك فى ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ، ثم طوى الـكتاب ودفعه الى الشاب وحملنا المـال فما أمسى مالك حتى مابقى عنده فوق مقدار قوت ليلة ، وما أتى على الشاب أربعون يوما حتى وجد مالك كتابا موضوعا فى المحراب عند ما انفتل من صلاة الغداة فأخـذه ونشره فاذا فى ظهره مكتوب بلا مداد ، هـذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار ووفينا الشاب القصر الذى ضمنت له وزيادة سبعين ضعفا ، قال فبقى مالك متعجبا وأخـذ الـكتاب فقمنا فذهبنا الى منزل الشاب فاذا الباب مسدود والبـكاء فى الدار فقلنا مافعل الشاب ؟ قالوا مات بالأمس فأحضرنا الغاسل فقلنا له أنت غسلته قال نعم ، قال مالك فحدثنا كيف صنعت ؟ قال : قال لى قبل الموت اذا أنامت وكفنتنى فاجعل هذا الـكتاب بين كفنى وبدنى فجعلت الـكتاب بين كفنه وبدنه ودفنته معه فأخرج مالك الـكتاب فقال الغاسل هـذا الـكتاب بعينه والذى قبضه لقد جعلته بين كفنه وبدنه بيـدى ، قال فـكثر البـكاء فقام شاب آخر فقال يامالك خـذ منى مائتى ألف دينار واضمن لى مثل هـذا . قال هيهات كان ما كان وفات مافات والله يحكم مايريد ، قال فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى ودعا له .

وحكى أيضا عن جعفر بن خطاب قال : وقف على سائل فقلت لزوجتى هل عندك شىء ؟ قالت أربع بيضات فقلت ادفعيهن للسائل ففعلت ؛ فلما انصرف السائل أتانى بعض الاخوان بمخلاة فيها بيض فقلت لزوجتى كم فيها من بيضة فقالت ثلاثون بيضة فقلت لها ويحك أعطيت السائل أربع بيضات وجاءك ثلاثون من حساب هذا فقالت هى أربعون الا أن عشرا مكسورات ،

وقيل فى هذه الحكاية كانت ثلاث من البيض الذى أعطت السائل صحيحات وواحدة مكسورة فجاء بكل واحدة منهن عشر على صفتها .

وحكى أيضا عن الشبلى قال : خرجت ذات يوم أريد البادية فرأيت شابا صغير السن نحيل الجسم أشعث أغبر عليه ثياب رثة وهو جالس فى الجبانة يمرغ خديه بين القبور وجعل يرمق السماء تارة بعد تارة ويحرك شفتيه وتسيل الدموع من عينيه وهو مستغرق فى الدعاء والذكر والاستغفار ولا يشغله شاغل عن التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد والتعظيم ، فلما رأيت الشاب على تلك الحالة مالت نفسى اليه وطابت على لقائه فتركت الطريق التى أروح عليها وقصدت نحوه ، فلما رآنى أقبلت اليه انهض من مكانه وقام يمشى هاربا منى فنهضت نفسى فى اتباعه لعلى ألحقه فلم أقدر على إدراكه فقلت له رفقا ياولى الله فقال الله فقمت بحقه الاماصبرت فأشار بأصبعه لاأفعل ولد الله فقلت ان كان حقا ماتقول فأرنى صدقك مع الله تعالى ، فنادى بصوت عال يا ألله فوقع فى الأرض مغشيا عليه فدنوت منه وحركته فاذا هو ميت من ساعته فوهمت من ذلك وتعجبت من حاله وصدقه مع الله تعالى وقلت ذلك فضل الله يختص برحمته من يشاء ، وقلت لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ، ثم تركته فى موضعه وسرت الى حى من أحياء العرب لآخذ فى جهازه واصلاح شأنه ، فلما رجعت اليه حجب عنى فطلبته فى المكان فلم أجد له أثرا ولاسمعت له خبرا فبقيت متحيرا وقلت حجب عنى هذا الشاب ومن سبقنى اليه فسمعت قائلا يقول لى : ياشبلى قد كفيت أمر الفتى وماتولاه الا الملائكة فعليك أنت بعبادة ربك وأكثر الصدقة من مالك فما بلغ الفتى مابلغ الا بصدقته يوما فى الدهر فقلت : سألتك الله الا أخبرتنى بصدقته يوما فى الدهر ماهى؟ فقال ياشبلى ان هذا الفتى كان ... منذ ... عاصيا ... فعرض الله عليه رؤيا أفزعته وقلقته وهو أنه رأى فى المنام ... تعبا ... ثم ... من ... النار فأخرجته حتى عاد كالفحمة السوداء فقام فزعا مرعوبا وخرج فارا بنفسه مشتغلا بعبادة ربه وله اليوم منذ رجع الى طاعة ربه اثنتا عشرة سنة وهو على حالة التضرع والخشوع ، لما كان أمس وقف له سائل سأله قوت يومه فخلع ثيابه وسلمها اليه ، ففرح السائل بذلك و... ودعا له بالمغفرة فأجاب الله دعاءه فيه ببركة الصدقة التى فرحه بها كما جاء فى الحديث « اغتنموا دعوة السائل عند فرحة قلبه بالصدقة » .

خاتمة فى مدح السخاء والجود

أخرج البخارى والبيهقى « السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدليات فى الدنيا ، فمن يأخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة ، والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدليات الى الدنيا فمن يأخذ بغصن من أغصانها قاده ذلك الغصن الى النار » . وابن عدى « الجنة دار الأسخياء » . والطبرانى « ان فى الجنة بيتا يقال له بيت الأسخياء » . والترمذى والبيهقى « السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ، والجاهل السخى أحب الى الله من عابد بخيل » . وقال سلمان الفارسى : اذا مات السخى قالت الأرض والحفظة يارب تجاوز

عن عبدك بسخائه فى الدنيا ، واذا مات البخيل قالت : اللهم احجب هذا العبد عن الجنة كما حجب عبادك عما فى يده من الدنيا ، وقد صح «أن رسول الله ﷺ كان أجود من الريح المرسلة» . وصح أيضا « أنه ﷺ لما مرض كان عنده سبعة دنانير فأمر عائشة أن تعطيها لعلى ليتصدق بها فاشتغلت بالتمريض صلى الله عليه وسلم فكان كلما أفاق أمر بذلك حتى أعطتها لعلى فأمست ليلة موته صلى الله عليه وسلم وليس عندها شىء فاحتاجت لمصباح ، فأرسلت الى امرأة من نسائه تطلب منها سمنا » . وقال عمر رضى الله عنه « أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندى فقلت اليوم أسبق أبا بكر رضى الله عنه ان سبقته يوما فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأبقيت لأهلك فقلت مثله ، وأتى أبو بكر رضى الله عنه بكل ماله ، فقال رسول الله ﷺ ماأبقيت لاهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لاأسابقك بشىء أبدا » . وروى الطبرانى : أن عمر رضى الله عنه أرسل مع غلامه بأربعمائة دينار لأبى عبيدة بن الجراح وأمره بالتأنى ليرى مايصنع فيها فذهب بها اليه فأعطاها له ، وتأنى يسيرا ففرقها كلها ، فرجع الغلام لعمر فأخبره ، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فأرسلها معه إليه وأمره بالتأنى كذلك ففعل ففرقها فاطلعت زوجته وقالت : نحن والله مساكين فأعطنا ، فلم يبق فى الخرقة الا ديناران فأعطاهما لها ، فرجع الغلام لعمر وأخبره فسر بذلك وقال : انهم اخوة بعضهم من بعض . وجاء بسند حسن : أن زوجة طلحة بن عبيد الله رأت منه ثقلا فقالت له مالك ؟ لعله رابك منا شىء فنعتبك . قال لا ولنعم حليلة المرء المسلم أنت ولكن اجتمع عندى مال ولا أدرى كيف أصنع . قالت وما يغمك منه ادع قومك فاقسمه بينهم . فقال ياغلام على بقومى ، فكان جملة ماقسم أربعمائة ألف . وفى الرياض النضرة أعطى طلحة اعرابيا سأله ثلثمائة ألف وباع أرضا من عثمان بسبعمائة ألف ، فحملها إليه ، فلما جاء بها قال ان رجلا يبيت عنده هذه فى بيته لايدرى مايطرقه من أمر الله ، فبات ورسله تختلف فى سكك المدينة حتى أسحر وما عنده منها درهم . وبعث عبد الله بن الزبير الى عائشة رضى الله عنها بمال فى غرارتين عدته ثمانون ومائة ألف درهم وهى صائمة ، فجعلت تقسم بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم فقالت لجاريتها هلمى فطورى . فجاءت بخبز وزيت فقالت لها الجارية : فما استطعت فيما قسمت فى هذا اليوم أن تشترى لنا لحما بدرهم ؟ قالت لاتعنفينى لو كنت ذكرتينى لفعلت . ووصل عبد الرحمن بن عوف أزواج النبى ﷺ بمال بلغ أربعين ألفا وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف ، ولمن بقى من أهل بدر لكل رجل أربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها وهى أيضا بخمسين ألف دينار وألف فرس فى سبيل الله وباع أرضا له من عثمان بأربعين ألف دينار ، فقسم ذلك المال فى بنى زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وتصدق على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف درهم ، ثم بأربعين ألف درهم ، ثم بأربعين ألف دينار ، ثم خمسمائة فرس فى سبيل الله ثم وردت له قافلة من تجارة بالشام فحملها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة ، فنزل جبريل فقال : ان الله يقرئك السلام ويقول لك أقرئ عبد الرحمن السلام وبشره بالجنة رضى الله عنهم وعنا معهم .

وحكى لما قدم امامنا الشافعى رضى الله عنه من صنعاء الى مكة كان معه عشرة آلاف

دينار، فقيل له تشترى بها ضيعة ، فضرب خيمة خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه أعطاه قبضة ، فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء . وقيل ان أمه قالت له لو دخلت ومعك درهم ماسلمت عليك . يابن آدم أنفق ينفق عليك ووسع يوسع عليك ولاتقتر فيقتر عليك واشتر بالفانى الباقى قبل أن تبلغ النفس التراقى .

فصل فى الضيافة

أخرج الديلمى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «اذا دخل الضيف على القوم دخل برزقه و إذا خرج خرج بمغفرة ذنوبهم » . وأبو الشيخ عن أبى قرصافة « إذا أراد الله تعالى لقوم خيرا أهدى اليهم هدية : الضيف ينزل برزقه ويرتحل برزقه وقد غفر الله لأهل المنزل » . وابن أبى الدنيا عن حبان بن أبى جندة « إن أسرع صدقة الى السماء أن يضع الرجل طعاما طيبا ، ثم يدعو اليه ناسا من اخوانه » . والحكيم الترمذى عن عائشة رضى الله عنها «إن الملائكة لاتزال تصلى على أحدكم مادامت مائدته موضوعة » . والحاكم عن أبى هريرة « من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار » . وهوعن جابر « من ذبح لضيفه ذبيحة كانت فداء له من النار» . والشيخان عن أبى هريرة « جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال إنى مجهود ، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ماعندى إلا ماء ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك لاوالذى بعثك بالحق ماعندى إلا ماء ، فقال : من يضيف هذا الليلة ؟ فقال رجل من الأنصار أنا يارسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته أكرمى ضيف رسول الله ﷺ » وفى رواية « قال لامرأته هل عندك شيء ؟ قالت لا إلا قوت صبيانى قال فعلليهم بشيء فاذا أرادوا العشاء فنوميهم وإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج وأريه أنا نأكل فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين ، فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله بصنيعكما بضيفكما الليلة ، فأنزل الله ــ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ــ » .

وحكى اليافعى عن الشيخ أبى الربيع المالقى أنه قال : سمعت بامرأة من الصالحات فى بعض القرى اشتهر أمرها ، وكان من دأبنا أن لانزور امرأة فدعت الحاجة إلى زيارتها للاطلاع على الكرامة التى اشتهرت عنها وكانت تدعى بالفضة ، فنزلنا القرية التى هى فيها فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شيء ومضينا إليها وسلمنا عليها ، ثم قلنا لها نريد أن نرى هذه البركة التى ذكرت لنا عن هذه الشاة التى عندكم ، فأخذنا الشاة وحلبناها فى القدح فشربنا لبنا وعسلا ، فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة ، فقالت نعم كانت لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شيء ، فحضر العيد فقال لى زوجى وكان رجلا صالحا نذبح هذه الشاة فى هذا اليوم قلت له لاتفعل فانه قد رخص لنا فى الترك والله يعلم حاجتنا إليها ، فاتفق أن استضاف بنا فى ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا قرى فقلت له : يارجل هذا ضيف وقد أمرنا باكرامه فخذ تلك الشاة فاذبحها . قال فخفنا أن يبكى عليها صغارنا فقلت له أخرجها من البيت الى وراء الجدار فاذبحها ، فلما أراق دمها قفزت شاة على الجدار فنزلت الى البيت فخشيت أن تكون قد انفلتت منه فخرجت لأنظرها ، فاذا هو يسلخ الشاة فقلت له يارجل عجبا وذكرت له

القصة ، فقال لعل الله أبدلنا خيرا منها فكانت تلك تحلب اللبن وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة إكرامنا الضيف .

فصل فى الزهد

قال الله تعالى ــ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب ــ . وأخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما . قال «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي . فقال كن فى الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل » وكان ابن عمر يقول اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك . وابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدى . قال « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم . فقال دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس قال ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » . والديلمى « اتركوا الدنيا لأهلها . فان من أخذ منها فوق مايكفيه أخذ حتفه وهو لايشعر » . والترمذى « الزهادة فى الدنيا ليس بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لاتكون بما فى يدك أوثق بما فى يد الله وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك » . والقضاعى «الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن والبطالة تقسى القلب » . والطبرانى « تفرغوا من هموم الدنيا مااستطعتم فانه من كانت الدنيا أكثر همه أفشى الله ضيعته وجعل فقره بين عينيه ، ومن كانت الآخرة أكثر همه جمع الله تعالى أمره وجعل غناه فى قلبه وما أقبل عبد بقلبه الى الله إلا جعل الله قلوب المؤمنين تفدو اليه بالود والرحمة ، وكان الله بكل خير اليه أسرع » . والشيخان . قلت عائشة رضى الله عنها : « ماشبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض » . والترمذى عن عبد الله بن مسعود « نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر فى جنبه فقلنا يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء . فقال مالى وللدنيا ما أنا فى الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » . وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت « لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى أحد وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ، ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها فأعطى ، ولقد كنت أبكى له رحمة مما أرى وأمسح بيدى على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول ياعائشة مالى وللدنيا اخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ماهو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى أستحى ان ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى غدا دونهم ومامن شىء أحب الى من اللحوق باخوانى واخلائى . قالت فما أقام بعد الا شهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم » .

وروى أن سليمان عليه السلام كان مع ماأعطى من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله ، وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير ، فقيل له مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض . قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع . وقال عروة بن الزبير . لقد تصدقت

عائشة رضى الله عنها بخمسين ألفا وان درعها لمرقع .

وحكى اليافعى أن ملكا من ملوك الأمم السالفة بنى مدينة وتانق وتغالى فى حسنها وزينتها ثم صنع طعاما ودعا الناس وأجلس أناسا على أبوابها يسألون كل من خرج هل رأيتم عيبا فيقولون لا : حتى جاء ناس فى آخر الناس عليهم أكسية فسألوهم : هل رأيتم عيبا فقالوا عيبين اثنين فحبسوهم ودخلوا على الملك فأخبروه بما قالوا . فقال ما كنت أرضى بعيب واحد فائتونى بهم فأدخلوهم عليه فسألهم عن العيبين ماهما ؟ فقالوا تخرب ويموت صاحبها . قال : أفتعلمون دارا لاتخرب ولايموت صاحبها قالوا له نعم فذكروا له الجنة ونعيمها وشوقوه اليها وذكروا النار وعذابها وخوفوه منها ودعوه الى عبادة الله عزوجل فأجابهم الى ذلك وخرج من ملكه هاربا الى الله تعالى .

[تنبيه] إن الزهد تحقيق برودة الدنيا على قلب العبد لأجل الله وعظيم ثوابه ، ومقدماته ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك ارادتها واختيارها . فاذا أتى بها العبد أورثت تلك الزهد تحقيق ، ثم الباعث على الترك والعرق ذكر آفات الدنيا وعيوبها . قال بعضهم : تركت الدنيا لقلة عنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها ، وقال الغزالى : القول البالغ فيه ماقاله شيخنا أبو بكر الوراق : ان الدنيا عدوة الله عزوجل وأنت محبه فى أحب [illegible] للدنيا والمحبين للآخرة . وروى الليث عن جرير قال : صحب رجل عيسى عليه السلام فقال يانبى الله أكون معك وأصحبك فانطلقا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقى رغيف فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف ، فقال للرجل من أخذ الرغيف ؟ قال لا أدرى فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها . قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه وشوى منه وأكل هو والرجل ، ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب . فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ قال ما أدرى قال ثم انتهيا الى نهر فأخذ عيسى بيد الرجل فمشا على الماء فلما جاوزا . قال أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ قال لا أدرى قال فانتهيا الى مفازة فجلسا فأخذ عيسى فجمع ترابا أورملا . وقال له كن ذهبا باذن الله فكان ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث . فقال لى ثلث وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف . فقال أنا أخذته . قال فكله لك وفارقه عيسى فانتهى اليه رجلان وهو فى المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه . فقال هو بيننا أثلاثا قال فابعثوا أحدكم الى القرية ليشترى طعاما . فقال الذى بعث لأى شىء تقاسم هؤلاء المال لأجعلن لهما فى الطعام سما فاقتلهما به وآخذ هذا المال جميعه فجعل فيه السم وقال صاحباه فى غيبته لأى شىء تقاسمه المال اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال نصفين فجاء فقتلاه ثم أكلا الطعام فماتا وبقى المال فى المفازة وأولئك الثلاثة قتلى حوله فمر عيسى عليه السلام بهم وهم على تلك الحالة . فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها .

خاتمة فى فضل الفقر والفقراء

أخرج ابن ماجه عن ابن عمر « يامعشر الفقراء ألا أبشركم أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام » . وأبو نعيم عن أبى سعيد « ليبشر فقراء المؤمنين بالفوز

يوم القيامة قبل الأغنياء بمقدار خمسمائة عام هؤلاء فى الجنة يتنعمون وهؤلاء يحاسبون » . ومسلم عن ابن عباس « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » . وابن عساكر « ان أطولكم فى الدنيا حزنا أطولكم فرحا فى الآخرة وان أكثركم شبعا فى الدنيا أكثركم جوعا فى الآخرة » . وهو وأبونعيم عن أبى هريرة « ان من الذنوب ذنوبا لايكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة يكفرها الهموم فى طلب المعيشة » . وابن عساكر « ان الله تعالى لما خلق الدنيا أعرض عنها ، ثم قال : وعزتى وجلالى لأنزلنك الا فى شرار خلقى » . والترمذى « لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء » . والبيهقى « نزل جبريل فى أحسن ماكان يأتينى صورة . فقال : ان الله تعالى يقرئك السلام يامحمد ويقول لك انى قد أوحيت الى الدنيا أن تمرى وتكدرى وتضيق وتشددى الى أوليائى كى يحبوا لقائى فانى خلقتها سجنا لأوليائى وجنة لأعدائى » . ومسلم عن أبى هريرة . قال « خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة . فاذا هو بأبى بكر وعمر رضى الله عنهما . فقال : ماأخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالا الجوع يارسول الله . قال : وأنا والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما قوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار فاذا هو ليس فى بيته ، فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا . فقال لها رسول الله ﷺ أين [illegible] ؟ قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذجاء الأنصارى فنظر الى رسول الله ﷺ وصاحبيه ، ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر [illegible] [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن [illegible] وشربوا ، فلما أن شبعوا ورووا . قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر : والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم » . والبخارى عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه . أتى بطعام وكان صائما . فقال قتل أو توفى مصعب بن عمير وهو خير منى فلم يوجد له مايكفن فيه الابردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدا رأسه ثم بسط لنا من الدنيا مابسط لنا [illegible] أعطينا من الدنيا ماأعطينا قد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا ثم [illegible] يبكى حتى ترك [illegible] . وهو عن أبى هريرة قال : « لقد رأيتنى وانى لأخر فيما بين [illegible] رسول الله ﷺ [illegible] عائشة رضى الله عنها معشيا على فيجىء الجائى فيضع رجله على عنقى ويرى أنى مجنون [illegible] جنون ومابى الا الجوع » . وروى « أنه ﷺ كان يبيت هو وأهله [illegible] طاويا [illegible] عشاء » . وروى « أن جبريل عليه السلام نزل . فقال للنبى ﷺ ان [illegible] أن [illegible] هذا الجبل ذهبا [illegible] معك حيثما كنت ؟ فأطرق ساعة ، ثم قال : [illegible] دار من لادار له ومال من لامال له يجمعها من لاعقل له . فقال له جبريل [illegible] » . وروى عن الحسن البصرى أنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « [illegible] يوم القيامة [illegible] الله عز وجل اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل فى الدنيا [illegible] : [illegible] زويت عنك الدنيا لهوانك على ، ولكن لما أعددت لك من الكرامة [illegible] [illegible] الى هذه الصفوف وانظر الى من أطعمك أو كساك وأراد بذلك وجهى فخذ بيده [illegible] والناس يومئذ

قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل به ذلك فى الدنيا فيأخذ بيده ويدخله الجنة» .

وحكى القشيرى عن بعضهم أنه قال : رأيت كأن القيامة قد قامت ويقال أدخلوا مالك ابن دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لى أنه كان له قميص واحد ولمالك قميصان .

وحكى اليافعى عن الشيخ أبى محمد الجريرى قال : دخل علينا الرباط بعد صلاة العصر شاب مصفر اللون أشعث الشعر حاسر الرأس حافى القدمين فجدد الوضوء وصلى ثم جلس ووضع رأسه فى جيبه الى المغرب ، فلما صلى معنا المغرب جلس كذلك ، واذا رسول الخليفة يستدعينا فى دعوة فقمت الى الشاب وقلت له هل لك أن توافقنا الى دار الخليفة فرفع رأسه ، وقال ليس لى قلب الى دار الخليفة ، ولكن أشتهى عصيدة حارة فاطرحت قوله حيث لم يوافق الجماعة والتمس شهوة وقلت فى نفسى هذا قريب العهد بالطريقة لم يتأدب ومضيت الى دار الخليفة وأكلنا وشبعنا وتفرقنا آخر الليل ، فلما دخلت الرباط رأيت الشاب على تلك الحالة فجلست على سجادة ساعة فهجعت عيناى بالنوم واذا جماعة وقائل يقول : هذا رسول الله ﷺ والأنبياء كلهم عليهم السلام فدنوت اليه وسلمت عليه فولى وجهه عنى معرضا فكررت عليه ، وهو يعرض عنى ولا يجيب فخفت من ذلك ، فقلت يا رسول الله ماالذى أذنبت حتى تعرض عنى بوجهك . فقال فقير من أمتى اشتهى عليك شهوة فتهاونت به فاستيقظت مرعوبا وقمت نحو الفقير فلم أجده وسمعت صوت الباب فخرجت فى طلبه . فاذا هو به قد خرج فناديته يافتى اصبر حتى تحضر شهوتك التى طلبتها فالتفت الى وقال : اذا اشتهى فقير عليك شهوة ولا توصلها اليه حتى يتشفع اليك بمائة ألف نبى وأربعة وعشرين ألف نبى فلاحاجة اليها ومضى ، حشرنا الله فى زمرة المساكين وأدخلنا معهم الجنان آمين .

فصل فى المن بالصدقة

قال الله تعالى — يأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شىء مما كسبوا والله لايهدى القوم الكافرين — بين الله تعالى أن من تصدق بشىء من أنواع الصدقات اشترط لنيله ذلك الثواب العظيم الذى أعده الله للمتصدقين أن تسلم صدقته من المن بها على المعطى والأذى ، فالمن هو أن يعدد نعمته على الآخذ أو يذكرها لمن لايحب الآخذ اطلاعه . وقيل هو أن يرى لنفسه مزية على المتصدق عليه باحسانه ولذلك لاينبغى أن يطلب منه دعاء ولا يطمع فيه ، لأنه ربما كان فى مقابلة احسانه فيسقط أجره .

أخبرنا شيخنا قطب الوجود وشمس دائرة الشهود محمد البكرى عن جدته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها : كانت اذا تصدقت على أحد أرسلت على أثره رسولا يتبعه الى مسكنه ليتعرف هل يدعو لها فتدعو له بمثل دعائه لئلا يكون دعاؤه فى مقابلة الصدقة فينقص أجرها فلذا قال أصحابنا : يستحب للمتصدق أن يدعو للمتصدق عليه بمثل مادعا له . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كان أبى يقول اذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك يثقل عليه : أى لكونه يتكلف

لك قياما ونحوه لأجل إحسانك اليه فكف سلامك عنه ، والأذى هو أن ينهره أو يعيره أو يشتمه فهـذا كالمن مسقط للثواب كما أخبر الله تعالى . وأخرج مسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عـذاب أليم : المسبل ازاره ، والمنان الذى لايعطى شيئا الامنه ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» . والحاكم « ثلاثة لايقبل الله منهم يوم القيامة صرفا ولاعدلا عاق ومنان ومكذب بالقدر » . والنسائى « لايدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » .

[مهمات] . أخرج الطبرانى « يا أمة محمد والذى بعثنى بالحق لايقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون صلته ويصرفها الى غيرهم ، والذى نفسى بيده لاينظر الله اليـه يوم القيامة » . وهو أيضا « مامن ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله فضلا أعطاه الله إياه فيبخل عليه الا أخرج الله له من جهنم حية يقال لها شجاع يتلمظ فيطوق به » والتلمظ تطعم مايبقى فى الفم من آثار الطعام . والشيخان « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولايزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا سلعة بعـد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصـدقه وهو على غير ذلك ، ورجل بايع اماما لايبايعه الا لدنيا ، فان أعطاه منها وفى وان لم يعطه منها لم يف » ، وفى رواية « يقول الله اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضـل مالم تعمل يداك » . وابن ماجه «قالت عائشة يارسول الله ماالشىء الذى لايحل منعه قال الماء والملح والنار » . وأخرج أبو داود والحاكم « من يتكفل لى أن لا يسأل الناس شيئا أتكفل له الجنـة » . وهما وأحمد « من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسـد فاقته ، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى اما بموت آجل أو غنى عاجل » . وأحمد عن أبى ذر « لاتسأل الناس شيئا ولاسوطك وان سقط منك حتى تنزل اليـه فتأخذه » . والبيهقى « ليستغن أحدكم عن الناس بقضيب سواك » . والترمذى « ان المسألة لا تحل لغنى ولا لذى مرة أى قوة سوى : أى تام الخلق سالم من موانع الاكتساب الا لذى فقر مدقع : أى شديد أوغرم مفظع ، ومن سأل الناس ليثرى به ماله كان خموشا فى وجهه يوم القيامة ورضفا : أى حجارة محماة يأكله من جهنم ، فمن شاء فليكثر ومن شاء فليقل » . وأبو داود « من سأل وعنده مايغنيه فانما يستكثر من النار ، قالوا وما الغنى الذى لاينبغى معه المسألة ؟ . قال قدر مايغديه ويعشيه» يعنى أن من وجد غداء يومه وعشاءه يحرم عليه أن يسأل صدقة التطوع . وأما صدقة الفرض فلا يحرم سؤالها الا على من عنده كفاية بقية العمر الغالب على الراجح عندنا فيهما . قال بعضهم : انما يحرم سؤال الصدقة على من وجد غداء وعشاء على دائم الأوقات : أى للمدة الطويلة والزكاة على من وجد كفاية سنة . وقال أبو حنيفة : يجوز دفع الزكاة الى من يملك دون النصاب وان كان صحيحا مكتسبا ، لكن لايحـل السؤال لمن كان له قوت يومه . وأخرج البخارى عن عمر رضى الله عنـه « اذا جاءك من هـذا المال شىء وأنت غير مشرف ولاسائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك » . والشيخان عن عائشة رضى الله عنها « ياعائشة من أعطاك بغـير مسألة فاقبليه فانما هو رزق عرضه الله اليك » . والترمذى « من صنع اليـه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء » . وابن ماجه « ان الله يبغض السائل الملحف » أى الملح . والطبرانى « ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله مالم يسأل هجرا» أى فحشا أو أمرا قبيحا لايليق ، ويحتمل انه يراد مالم يسأل سؤالا قبيحا بكلام قبيح . وأحمـد

« ألا أخبركم بشر البرية ؟ قالوا بلى يارسول الله . قال الذى يسأل بالله ولا يعطى » . والطبرانى « ألا أحدثكم عن الخضر ؟ قالوا بلى يارسول الله . قال بينما هو ذات يوم يمشى فى سوق بنى إسرائيل أبصره رجل مكاتب . فقال تصدّق علىّ بارك الله فيك . فقال الخضر آمنت ماشاء الله من أمر يكون ماعندى شىء أعطيكه . فقال المسكين : أسألك بوجه الله لما تصدّقت علىّ فانى نظرت السماحة فى وجهك ورجوت البركة عندك . فقال الخضر آمنت بالله ماعندى شىء أعطيكه الا أن تأخذنى فتبيعنى . فقال المسكين وهل يستقيم هذا قال نعم أقول : لقد سألتنى بأمر عظيم أما انى لاأخيبك بوجه ربى بعنى قال فقدمه الى السوق فباعه بأربعمائة درهم فمكث عند المشترى زمانا لايستعمله فى شىء . فقال انما اشتريتنى لالتماس خير عندى فأوصنى بعمل . فقال أكره ان أشق عليك انك شيخ كبير ضعيف . قال ليس يشق علىّ قال قم فانقل هذه الحجارة وكان لاينقلها دون ستة نفر فى يوم فخرج الرجل لبعض حاجاته ثم انصرف وقد نقل الحجارة فى ساعة . فقال أحسنت وأجملت وأطقت مالم أرك تطيقه ، ثم عرض للرجل سفر فقال انى أحسبك أمينا فاخلفنى فى أهلى خلافة حسنة قال أوصنى بعمل قال انى أكره أن أشق عليك قال ليس يشق علىّ قال فاضرب من اللبن لبيتى حتى أقدم عليك . قال فمرّ الرجل لسفره قال فرجع الرجل وقد شيد بناءه . قال أسألك بوجه الله ماسبيلك وما أمرك ؟ . قال سألتنى بوجه الله ووجه الله أوقعنى فى هذه العبودية . فقال الخضر سأحدثك من أنا : أنا الخضر الذى سمعت به سألنى مسكين صدقة فلم يكن عندى شىء أعطيه فسألنى بوجه الله فأمكنته من رقبتى فباعنى وأخبرك أنه « من سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة جلده ولاحم له يتقعقع » . فقال الرجل آمنت بالله شققت عليك يانبى الله لو أعلم . قال لابأس أحسنت وأبقيت . فقال الرجل بأبى وأمى يانبىّ الله احكم فى أهلى ومالى بما شئت أو اختر فأخلى سبيلك . قال أحب أن تخلى سبيلى فأعبد ربى فخلى سبيله . فقال الخضر : الحمد لله الذى أوثقنى فى العبودية ثم نجانى منها » :

اللهم اجعلنا من المحسنين الى الاخوان والفائزين بالجنان آمين .

باب الصوم

قال الله تبارك وتعالى ــ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات ــ . وأخرج ابن ماجه والبيهقى عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ « شهر رمضان شهر كتب الله عليكم صيامه وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . وأحمد عن أبى هريرة « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدّم من ذنبه وماتأخر » وهو عنه « من أدرك رمضان وعليه من رمضان شىء فانه لايقبل منه حتى يصومه » . وأبو يعلى عن ابن عباس « عرا الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهنّ أسس الاسلام من ترك واحدة منهنّ فهو بها كافر : حلال الدم شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان » . وفى رواية « من ترك منهنّ واحدة فهو بالله كافر ولايقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله » . وأبو داود والنسائى والترمذى والبيهقى وابنا ماجه وخزيمة عن أبى هريرة « من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة رخصها الله له ولا مرض

لم يقضه صوم الدهر كله وان صامه » . قال على وابن مسعود رضى الله عنهما : من أفطر يوما من رمضان لايقضيه صوم الدهر . قال النخعى ان من أفطر يوما من رمضان يجب عليه ثلاثة آلاف يوم ، والذى عليه أكثر العلماء أنه يجزئ عن اليوم يوم ولو أقصر منه .

خاتمة فى سرد أحاديث تتعلق بالصوم

أخرج الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ان ربكم يقول : كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والصوم لى وأنا أجزى به والصوم جنة من النار ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وان جهل على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل انى صائم ، وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه » . وابن حبان والحاكم عن أبى هريرة « اذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادى مناد كل ليلة : ياباغى الخير أقبل وياباغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة » . وابنا خزيمة وحبان « أنه ﷺ صعد المنبر فقال آمين آمين آمين . قيل يارسول الله انك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين . فقال ان جبريل عليه السلام أتانى فقال : من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين » . ومحمد بن منصور السمعانى عن أنس « انما سمى رمضان لانه يرمض الذنوب » . والطبرانى والبيهقى عن عمر رضى الله عنه « ذاكر الله فى رمضان مغفور له وسائل الله فيه لايخيب » . والبيهقى عن عبد الله بن أبى أوفى « نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور » . والحاكم عن ابن عمر « لكل عبد صائم دعوة مستجابة عند افطاره أعطيها فى الدنيا أوادخر له فى الآخرة » . وفى المسند عن واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ أنه قال « أنزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من شهر رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان وأنزل الانجيل لثلاث عشرة مضين من رمضان ، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان » . وروى عن سعيد بن المسيب عن سلمان مرفوعا . قال « خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان . فقال : يأيها الناس قد أظلكم شهر مبارك فيه ليلة خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق من فطر فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء ، قالوا يارسول الله ليس كلنا نجد ما نفطر الصائم . قال رسول الله ﷺ يعطى الله هذا الثواب : من فطر صائما على تمرة أو شربة ماء أومذقة لبن وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، ومن خفف عن مملوكه غفر الله له وأعتقه من النار واستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لاغنى لكم عنهما : أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله

وتستغفرونه ، وأما اللتان لاغنى لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار ، ومن سقى صائما سقاه الله من حوضى شربة لايظمأ بعدها أبدا » . وفى رواية « من فطر صائما فى شهر رمضان من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليالى رمضان كلها وصافحه جبريل عليه السلام ليلة القدر ، ومن صافحه جبريل عليه السلام يرق قلبه وتكثر دموعه » . وروى سلمة بن شبيب عن ابن عباس مرفوعا « لله فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان عند الافطار ألف ألف عتيق من النار فاذا كان ليلة الجمعة أعتق الله فى كل ساعة منها ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار فاذا كان آخر ليلة من الشهر أعتق فى ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر الى آخره أعتقنا الله من النار » . وقال النخعى « صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة وركعة فيه خير من ألف ركعة والنفقة فيه مضاعفة كالنفقة فى سبيل الله » . وروى عن ابن مسعود أنه قال « اذا كان يوم القيامة وأراد الله بعبد خيرا أعطاه الله كتابه جهرا ، وقال له اقرأ سرا حتى لايفضحه بين خلقه فيقرأ كتابه سرا فلم يسمعه أحد فتقول الملائكة إلهنا هذه سيئة لم تسبق لأحد من العصاة وقد أوعدت من عصاك أن تعذبه وتحرقه بالنار ، فيقول سبحانه وتعالى : ياملائكتى انى أحرقته فى الدنيا بنار الجوع والعطش فى الحر الشديد فى شهر رمضان فلا أحرقه اليوم بالنيران وقد عفوت عنه وغفرت له ما سلف من الذنوب والعصيان ، وأنا الكريم المنان » .

وحكى عن بعض أهل العلم أنه قال « كان عندنا رجل اسمه محمد وكان لا يصلى الا قطعا ، فاذا دخل شهر رمضان زين نفسه بالثياب الفاخرة والطيب ويصوم ويصلى ويقضى مافاته . فقلت له فى ذلك . فقال : هذا شهر التوبة والرحمة والبركة عسى الله أن يتجاوز عنى بفضله فمات فرأيته فى المنام . فقلت له مافعل الله بك ؟ قال غفر لى لأجل حرمة شهر رمضان ، غفر الله لنا ولجميع المسلمين .

فصل فى أحكام الصوم

فرضه : نية ليلا لكل يوم من رمضان ، وأقلها نويت صوم رمضان والأكمل نويت صوم غد عن أداء فرض رمضان هذه السنة لله تعالى والتلفظ بها وترك مفطر نهارا .

وسننه : السحور ولو بتمر أحب ويحصل ولو بجرعة ماء ووقته من نصف الليل وتأخيره أولى مالم يقع فى شك قال رسول الله ﷺ « السحور كله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء فان الله وملائكته يصلون على المتسحرين » رواه أحمد . وقال ﷺ « خير خصال الصائم السواك » رواه البيهقى . وقال « اذا صمتم فاستاكوا بالغداة ولا تستاكوا بالعشى فانه ليس من صائم تيبس شفتاه بالعشى الا كان نورا بين عينيه يوم القيامة » رواه الطبرانى . وتعجيل فطر اذا تحقق الغروب وتقديمه على الصلاة وكونه بثلاث رطبات فتمرات فحسوات ماء ودعاء بعده وهو : اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وبك آمنت وعليك توكلت ورحمتك رجوت وإليك تبت ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله تعالى . قال رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل « قال الله أحب عبادى الى أعجلهم فطرا » رواه الترمذى . وقال صلى الله عليه وسلم « لاتزال أمتى على سنتى مالم ينتظروا بفطرهم طلوع النجم » رواه الطبرانى . ويسن فى رمضان اكثار تلاوة القرآن وصدقة

وتوسعة على العيال واحسان الى الأقارب والجيران وتهجد واعتكاف لاسيا عشر آخره ودعاء : اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى فى العشر الأواخر .

ويندب للصائم أن يكف نفسه عن الشهوات المباحة من التلذذ بمسموع أو مبصر أو ملموس أو مشموم كشم ريحان ونظر اليه ولمسه وأن يغتسل لنحو جنابة قبل الفجر وأن يحترز عن ذوق طعام أو غيره ومضغ نحو الخبز لطفل ولسانه عن الفحشاء .

ومفسداته : وصول عين جوفه واستقاءة واستمناء ووطء فى فرج مع تعمد واختيار وعلم بتحريمه وبكونه مفطرا ويجب مع القضاء الامساك فى رمضان على متعمد فطر وتارك نية ليلا ، ومن تسحر ظانا بقاءه أو أفطر ظانا الغروب فبان خلافه ومن بان له يوم ثلاثى شعبان انه من رمضان ومن سبقه ماء المبالغة فى مضمضة أو استنشاق لاعلى مسافر ومريض زال عذرهما بعد الفطر ولا على امرأة طهرت من حيض أو نفاس نهارا ، نعم يسن لهم الامساك بقية النهار فان خالفوا ندب اخفاء أكلهم عمن يجهل عذرهم ومما يبطل ثواب الصوم اجماعا الكذب والغيبة والمشاتمة لما قال رسول الله ﷺ « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخارى . وقال ﷺ « رب صائم ليس له من صيامه الا الظمأ » رواه النسائى . وورد فى حديث « ليس الصيام من الطعام والشراب انما الصيام من اللغو والرفث » . قال الحافظ أبو موسى المدينى : هو على شرط مسلم . قال بعض السلف : أهون الصيام ترك الطعام والشراب وقال : اذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار .

واعلم أن التقرب الى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل الا بعد التقرب بترك المحرمات ، فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل وان كان صومه مجزئا عند الجمهور بحيث لا يؤمر باعادته ، لكن قال الاوزاعى : يفطر بالكذب والغيبة لما قال رسول الله ﷺ « خمس خصال يفطرن الصائم وينقضن الوضوء : الكذب والغيبة والنميمة والنظر بشهوة واليمين الكاذبة » رواه الأزدى والديلمى عن أنس . وفى مسند الامام أحمد « أن امرأتين صامتا فى عهد رسول الله ﷺ فأجهدهما الجوع والعطش فى آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا الى رسول الله ﷺ تستأذنانه فى الافطار فأرسل اليهما قدحا وقال لهما قيئا فيه ما أكلتما فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا [1] ، وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه ، فتعجب الناس من ذلك فقال رسول الله ﷺ : هاتان صامتا عما احل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت إحداهما على الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم » .

وروى عن أبى مسعود الأنصارى أنه قال « مامن عبد صام رمضان فى انصات وسكوت وذكر الله وأحل حلاله وحرم حرامه ولم يرتكب فيه فاحشة إلا انسلخ من رمضان يوم ينسلخ وقد غفرت له ذنوبه كلها ويبنى له بكل تسبيحة وتهليلة بيت فى الجنة من زمردة خضراء فى جوفها ياقوتة حمراء فى جوف تلك الياقوتة خيمة من درة مجوفة فيها زوجة من الحور العين » .

اخوانى اهتموا بأمر صومكم واحذروا مما يبطله ويرده عليكم فقد قيل : إذا تعلق مظلوم بحسنات صوم ظالمه يقول الله سبحانه وتعالى « الصوم لى وأنا أجزى به » فلا تفسدوا مثل هذا

(١) الغريض : الطرى ه قاموس

العمل بترك المبالات بحدود الله عزّ وجلّ واتركوا فى رمضان المخالفة والجفاء فانه شهر الصفاء والمعاملة بالوفاء ، فطوبى لأقوام صاموا عن الشهوات وقاموا فى الخلوات يتلون من آيات ذكره صحفا ضاعف الله لهم بصيامهم أجرا ووعدهم فى الجنة قصورا وغرفا :

شهر الصيام لقد علوت مكرّما وغدوت من بين الشهور معظما
ياصائمى رمضان هذا شهركم فيه أباحكم المهيمن مغنما
يافوز من فيه أطاع إلهه متقربا متجنبا ما حرّما
ذا ويل كل الويل للعاصى الذى فى شهره أكل الحرام وأجرما

نسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا ممن حافظ على حدود صيام رمضان ففاز بالفردوس والجنان والقصور والحور العين الحسان .

فصل فى فضل العشر الأخير وليلة القدر والاعتكاف واحياء ليلتى العيد وصدقة الفطر

أخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان النبى ﷺ اذا دخل العشر الاخير شدّ مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله » . وفى رواية لمسلم عنها قالت « كان النبى ﷺ يجتهد فى العشر الأخير مالايجتهد فى غيره ، وكان النبى ﷺ يخص العشر الاواخر فى رمضان بأعمال لايعملها فى بقية الشهر » . وأخرج الديلمى عن أنس « إن الله تعالى وهب لامتى ليلة القدر ولم يعطها من كان قبلهم » . والطبرانى عن عبادة بن الصامت « التمسوها فى العشر الأواخر فانها وتر فى احدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو تسع وعشرين أو آخر ليلة ، فمن قامها ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر » . وهو عن واثلة « ليلة القدر ليلة بلجة لاحارة ولاباردة ولاسحاب فيها ولامطر ولاريح ولايرمى فيها بنجم ، من علامة يومها ان تطلع الشمس لاشعاع لها » . والنسائى عن عائشة رضى الله عنها قالت « قلت يارسول الله أرأيت ان علمت أى ليلة ليلة القدر ماأقول فيها ؟ . قال قولى : اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى » . وأخرج الديلمى عن عائشة « من اعتكف ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » وابن ماجه والبيهقى عن ابن عباس « المعتكف يعكف الذنوب ويجرى له من الأجر كأجر عامل الحسنات كلها » . وللشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده » . والبيهقى عن الحسن بن على رضى الله عنهما « من اعتكف عشرا فى رمضان كان كحجتين وعمرتين » . والطبرانى عن أبى أمامة « تمام الرباط أربعون يوما ، ومن رابط أربعين يوما لم يبع ولم يشتر ولم يحدث حدثا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . وأخرج ابن ماجه عن أبى أمامة « من قام ليلتى العيد محتسبا لله لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » . وابن عساكر عن معاذ « من أحيا الليالى الأربع وجبت له الجنة : ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر » . وأخرج الدارقطنى والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما « زكاة الفطر فرض على كل مسلم حر وعبد وذكر وأنثى من المسلمين صاع من تمر أوصاع من شعير » . وهما عن ابن عباس رضى

الله عنهما « زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » . وابن صصرى عن جرير « ان شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لايرفع الابزكاة الفطر » .

اخوانى مضى شهر رمضان وشهد على المسيء بالاساءة وعلى المحسن بالاحسان ، وحصل كل على ماقسم له من ربح وخسران فياحسرة المفرط لقد أضاع الزمان ، ويا خيبة المسوّف كأنه أخذ من الموت الأمان ، أوعلم ان القضاء يمهله الى صوم رمضان ثان ، هذا شهركم قد انتصب لكم مودّعا وسارمسرعا فأين البكاء لرحيله وأين الاستدراك لقليله وأين الاقتداء بفعل الخير ودليله ؟ فلله ما كان أطيب زمانه من صوم وسهر ، وما كان أصفى أوقاته من آفات الكدر ، وما كان ألذ الاشتغال فيه بالآيات والسور ، فياليت شعرى من قام بواجباته وسننه ومن اجتهد فى عمارة زمنه ومن الذى أخلص فى سره وعلنه ومن الذى خلص من آفات الصوم وفتنه رزقنا الله تعالى امتثال الفضائل واجتناب الرذائل ومنّ علينا بحسن القبول والثواب الجزيل آمين .

فصل فى صوم التطوع

أخرج البيهقى عن جابر . قال : قال رسول الله ﷺ عن ربه عزّوجل . « قال الله تعالى : الصيام جنة يستجن بها العبد من النار وهولى وأنا أجزى به » . والخطيب عن سهل بن سعد « من صام يوما تطوّعا لم يطلع عليه أحد لم يرض الله له بثواب دون الجنة » . والشيخان عن أبى سعيد « من صام يوما فى سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا » . والترمذى عن عمارة « الصائم اذا أكلت عنده المفاطير صلت عليه الملائكة » . وأخرج أحمد ومسلم عن أبى أيوب « من صام رمضان وأتبعه ستا من شوّال كان كصوم الدهر » . والطبرانى عن عمر رضى الله عنه « من صام رمضان وأتبعه ستا من شوّال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . وأخرج مسلم عن أبى قتادة « ان صيام يوم عرفة يكفر الذنوب سنتين سنة ماضية وسنة آتية » . وبوسعيد عن ابن عمر رضى الله عنهما « من صام يوم عرفة غفر له ماتقدّم من ذنبه وماتأخر » . والبيهقى عن الفضيل « من حفظ لسانه وسمعه وبصره يوم عرفة غفر له من عرفة الى عرفة » . وأخرج ابن أبى شيبة عن ابى هريرة « صوموا يوم عاشوراء هو يوم كانت الأنبياء يصومونه فصوموه » . ومسلم عن أبى قتادة « سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عاشوراء . فقال يكفر السنة الماضية » . وهو عن ابن عباس « لئن بقيت الى قابل لأصومن التاسع » . وأخرج أحمد والترمذى عن أبى ذر « من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله » . وهما وابن حبان عنه « اذا صمت من الشهر ثلاثا فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة » . والطبرانى عن ابن عباس « كان رسول الله ﷺ لايدع صوم أيام البيض فى سفر ولاحضر » . وأخرج أحمد وابن ماجه عن أبى هريرة « كان النبى ﷺ يصوم الاثنين والخميس فقيل يارسول الله انك تصوم الاثنين والخميس . فقال : ان يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم الا المتهاجرين يقول : دعهما حتى يصطلحا » . والترمذى عنه « كان ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس ، وقال : تعرض الأعمال فيهما فأحب أن تعرض أعمالى وأنا صائم » . وأخرج الترمذى وابن ماجه عنه « مامن أيام أحب

الى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذى الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر» . وأبوداود « أنه ﷺ كان يصوم تسع ذى الحجة » . ومسلم عنه « أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة فى جوف الليل ، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » . والبيهقى عن أنس «إن فى الجنة نهرا يقال له رجب أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر » . وهو والترمذى عنه « أفضل الصوم بعد رمضان شعبان لتعظيم رمضان وأفضل الصدقة صدقة فى رمضان » . والنسائى والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت « دخل علىّ النبىّ ﷺ ذات يوم ، فقال هل عندكم شىء فقلنا لا فقال انى اذا صائم » . وروى عن أنس بن مالك أنه قال «يخرج الصائمون من قبورهم يوم القيامة يعرفون بعرف صيامهم من أفواههم يخرج أطيب من ريح المسك تنقل اليهم الموائد والأباريق مختومة أفواهها بالمسك فيقال لهم كلوا فقد جعتم حين شبع الناس واشربوا فقد عطشتم حين روى الناس واستريحوا فقد تعبتم حين استراح الناس قال فيأكلون ويشربون ويستريحون والناس مشغولون فى الحساب فى عناء وظمأ» عن أبى سليمان الدارانى أنه صام يوما فى الحر ثم نام فرأى قائلا يقول : أتبيع ثواب صومك فى هذا اليوم بمائة دينار قال لا قال وبمائة ألف قال لا قال بجنة نعم أنف قال لا وعزة ربى وجلاله قال فبأى شىء تبيعه ؟ . فقال لا أبيع الثواب بالدنيا وما فيها ولكن أبيعه بالنظر الى المولى فقيل له صم فسوف تراه ان شاء الله تعالى .

وحكى اليافعى عن الشبلى أنه قال : كنت فى قافلة بالشام فخرج الأعراب فأخذوها وجعلوا يعرضونها على أميرهم فخرج جراب فيه سكر ولوز وأكلوا منه ولم يأكل الأمير فقلت له لم لا تأكل فقال أنا صائم فقلت تقطع الطريق وتأخذ الأموال وتقتل النفس وأنت صائم . فقال ياشيخ اترك للصلح موضعا ، فلما كان بعد سنين رأيته يطوف حول البيت وهو محرم كالشن البالى ، فقلت أنت ذلك الرجل ؟ فقال نعم ذلك الصيام أوقع الصلح بيننا رحمه الله ورحمنا معه . وهو أيضا عن سعيد بن أبى عروبة قال : حج الحجاج بن يوسف فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء ، وقال لحاجبه انظر من يتغدى معى وأسأله عن بعض الأمر فنظر نحو الجبل فاذا هو بأعرابىّ بين شملتين نائم فضربه برجله ، وقال ائت الأمير فأتاه . فقال له الحجاج اغسل يدك وتغد معى فقال انه دعانى من هو خير منك فأجبته قال ومن هو قال الله تبارك وتعالى دعانى الى الصوم فصمت قال فى هذا الحر الشديد ؟ قال نعم صمت ليوم هو أشد حرا من هذا اليوم قال فأفطر وصم غدا . قال ان ضمنت لى البقاء الى غد أفطرت . قال ليس ذلك الىّ . قال فكيف تسألنى عاجلا بآجل لا تقدر عليه . قال انه طعام طيب . قال لم تطيبه أنت ولا الطباخ انما طيبته العافية رضى الله عنه وعنا .

خاتمة فى فضل عاشوراء

أخرج النسائى عن على رضى الله عنه « ان كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم فانه شهر الله فيه يوم تاب الله على قوم ويتوب على آخرين» . والشيخان عن ابن عباس «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم : ماهذا اليوم الذى تصومونه ؟ فقالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه بصيامه » . ومسلم عن أبى قتادة « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عاشوراء . فقال يكفر السنة الماضية » . والبيهقى «صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود » . ورؤى بعض العلماء المتقدمين فى المنام فسئل عن حاله . فقال غفرلى بصيام يوم عاشوراء ذنوب ستين سنة .

وحكى اليافعى والناشرى فى ايضاحه من أعجب ماورد فى عاشوراء أنه كان يصومه الوحوش والهوام .

وحكى عن فتح بن شحرف أنه قال : كنت أفت للنمل الخبز كل يوم فلما كان يوم عاشوراء لم تأكله . وأخرج أبو موسى المدينى عن عبدالله بن عمر « من صام عاشوراء فكأنما صام السنة ، ومن تصدّق فيه كان كصدقة السنة » . والطبرانى والبيهقى عن أبى سعيد « من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه فى سنته كلها » . قال سفيان بن عيينة جربنا العمل بهذا الحديث خمسين سنة أوستين سنة فوجدناه كذلك .

وحكى اليافعى أنه كان فى الرىّ قاض غنى فجاءه فقير يوم عاشوراء فقال له أعزّ الله القاضى أنا رجل فقير ذو عيال ، وقد جئتك مستشفعا بحرمة هذا اليوم لتعطينى عشرة أمنان خبز وخمسة أمنان لحم ودرهمين فوعده القاضى بذلك الى وقت الظهر فرجع فوعده الى العصر . فلما جاء وقت العصر لم يعطه شيئا فذهب الفقير منكسر القلب فمرّ بنصرانى جالس بباب داره . فقال له بحق هذا اليوم اعطنى شيئا فقال النصرانى وماهذا اليوم فذكر له الفقير من صفاته شيئا . فقال له النصرانى اذكر حاجتك فقد أقسمت بعظيم الحرمة فذكر له الخبز واللحم والدرهمين فأعطاه عشرة أقفزة حنطة ومائة من لحم وعشرين درهما ، وقال هذا لك ولعيالك مادمت حيا فى كل شهر كرامة هذا اليوم فذهب الفقير الى منزله ، فلما جنّ الليل ونام القاضى سمع هاتفا يقول ارفع رأسك فرفع رأسه فأبصر قصرا مبنيا بلبنة من ذهب ولبنة من فضة وقصرا من ياقوتة حمراء يبين ظاهره من باطنه ، فقال إلهى ماهذان القصران ؟ فقيل له هذان كانا لك لوقضيت حاجة الفقير ، فلما رددته صارا لفلان النصرانى . قال فانتبه القاضى مرعوبا ينادى بالويل والثبور فغدا الى النصرانى . فقال له ماذا فعلت البارحة من الخير ؟ فقال وكيف ذلك فذكر له الرؤيا ، ثم قال له بعنى الجميل الذى عملته مع الفقير بمائة ألف درهم . فقال أيها القاضى كل مقبول غال لا أبيعه ولو بملء الأرض كلها أتبخل علىّ القصرين . فقال أتمنى لست بمسلم فقطع الزنار ، وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن دينه هو الحق .

وحكى أنه كان بمصر رجل تاجر فى التمر يقال له عطية بن خلف ، وكان من أهل الثروة ثم افتقر ولم يبق له سوى ثوب يستر عورته ، فلما كان يوم عاشوراء صلى الصبح فى جامع عمرو بن العاص ومن عادة هذا الجامع لايدخله النساء الا فى يوم عاشوراء لأجل الدعاء فوقف يدعو مع جملة الناس وهو بمعزل عن النساء فجاءته امرأة ومعها أطفال ، فقالت ياسيدى سألتك بالله الا مافرجت عنى وآثرتنى بشىء أستعين به على قوت هذه الأطفال فقد مات أبوهم وما ترك لهم

شيئا وأنا شريفة ولا أعرف أحدا أقصده ، وما خرجت فى هذا اليوم الاعن ضرورة أحوجتنى الى بذل وجهى ، وليس لى عادة بذلك . فقال الرجل فى نفسه : أنا ماأملك شيئا وليس لى غيرهذا الثوب وان خلعتــه انكشفت عورتى وان رددتها فأى عذر لى عند رسول الله صلى الله عليه وسـلم . فقال لهـا : اذهبي معى حتى أعطيك شيئا فذهبت معه الى منزله فأوقفها على الباب ودخل وخلع ثوبه واتزر بخلق كان عنـده ثم ناولهـا الثوب من شق الباب . فقالت له : ألبسك الله من حلل الجنة ولا أحوجك فى بقى عمرك الى أحد ففرح بدعائها وأغلق الباب ودخل بيته يذكر الله تعالى الى الليــل ، ثم نام فرأى فى المنام حوراء لم ير الراؤن أحسن منها و بيــدها تفاحة قد عطرت مابين السماء والأرض فناولته التفاحة فكسرها فخرج منها حلة من حلل الجنــة لاتساويها الدنيا ومافيها فألبسته الحلة وجلست فى حجره . فقال لهـا من أنت ؟ فقالت أنا عاشوراء زوجتــك فى الجنة قال فبم نلت ذلك ؟ . فقالت بدعوة تلك المسكينة الأرملة والأيتام الذين أحسنت اليهم بالأمس فانتبه وعنده من السرور مالايعلمه إلا الله تعـالى ، وقد عبق من طيبه المكان فتوضأ وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ، ثم رفع طرفه الى السماء . فقال إلهى ان كان مناى حقا ، وهــذه زوجتى فى الجنة فاقبضنى اليك فما استتم الكلام حتى عجل الله بروحه الى دار السلام .

واعلم أن مايفعله الناس يوم عاشوراء من الاغتسال ، ولبس الثياب الجـدد والاكتحال والطيب والاختضاب بالحناء وطبخ الأطعمة بالحبوب وصلاةركعات بدعة مذمومة ، فالسنة ترك ذلك كله ، لأنه لم يفعله رسول الله صلى الله عليــه وسلم وأصحابه ولا أحد من الأئمة الأربعــة وغيرهم ، وماروى فيها من الأحاديث فكذب موضوع وأن مايفعلى فى كثير من البلدان من ايقاد القناديل الكثيرة فى ليال معروفة من السنة بدعة قبيحة منكرة . وفقنا الله لا كتساب الفضائل واجتناب الرذائل .

باب الحج

قال الله تعالى ـ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ـ بوجدان الزاد والراحلة فاضلا عن دين ومؤن من يمونه ذهابا وإيابا . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا من حج لله فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه والعمرة الى العمرة كفارة لما بينهـما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » . وأبونعيم عن عبد الله بن مسعود « من جاء حاجا يريد به وجه الله فقـد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وشفع فيمن دعاله » . وأحمد وابن منيع وأبو يعلى عن جابر بن عبدالله « من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » . والطبرانى عن عبدالله بن جراد « حجوا فان الحج يغســل الذنوب كما يغسل الماء الدرن » . والترمذى والبيهقى عن على رضى الله عنه « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلاعليــه أن يموت يهوديا أونصرانيا » . وقال عمر رضى الله عنه « لقد هممت أن أبعث رجالا الى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ماهم بمسلمين » وقال سعيد بن جبير : مات لى جار موسر لم يحج فلم أصل عليه .

وحكى اليافعي أنه ركب جماعة من التجار في البحر متوجهين الى الحج فانكسر المركب وضاق وقت الحج وفيهم انسان معه بضاعة بخمسين ألفا فتركها وتوجه الى الحج فقالوا له لوأقمت في هذا المكان لعله يخرج لك بعض بضاعتك . فقال والله لوحصلت لى الدنيا كلها ما اخترتها على الحج ودعاء من يشهده من أولياء الله بعد أن رأيت منهم مارأيت قالوا ومارأيت منهم قال كنا مرة متوجهين الى الحج فأصابنا عطش في بعض الأيام وبلغت الشربة كذا وكذا ودرت في الركب من أوله الى آخره فلم يحصل لى ماء يبيع ولا غيره وبلغ العطش منا الجهد فتقدمت قليلا واذا أنا بفقير معه عكازة وركوة ، وقد ركز العكازة في ساقية بركة والماء ينبع من تحت العكازة ويجرى في الساقية الى البركة فجئت الى البركة فشربت وملأت قربتي ، ثم أعلمت الركب فاستقوا كلهم منها وتركوها وهى تتدفق . قال فهل يسمح بفوت مشهد يشهده هؤلاء القوم رضى الله عنهم . وهو أيضا عن على بن الموفق قال : جلست يوما في الحرم وقد حججت ستين حجة ، فقلت في نفسى الى متى أتردد في هذه المسالك والقفار ثم غلبتني عينى فنمت . فاذا أنا بقائل يقول يابن الموفق هل تدعو الى بيتك الا من تحب فطوبى لمن أحبه المولى وجلّه الى المقام الأعلى . وهو عن أبى عبد الله الجوهرى قال : كنت سنة في عرفات ، فلما كان آخر الليل نمت فرأيت ملكين نزلا من السماء . فقال أحدهما لصاحبه كم وقف هذه السنة قال صاحبه ستمائة ألف ولم يقبل منهم الا ستة أنفس . قال فهممت أن ألطم وجهى وأنوح على نفسى . فقال له مافعل الله في الجميع قال : نظر الكريم اليهم ... ووهب لكل ... ستمائة ألف وغفر لستة أنفس لستمائة ألف وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وهو عن ذى النون أنه قال : رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه ، فقلت انك تكثر الصلاة . فقال : أنتظر الاذن في الانصراف . قال فرأيت رقعة سقطت عليه مكتوبا فيها من الله العزيز الغفور الى العبد الصادق الشكور انصرف مغفورا لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ، قبل الله حجنا وغفر ماتقدم من كبائر ذنوبنا وماتأخر وتحمل تبعاتنا آمين .

[تنبيه] ان الحج والعمرة تجبان في العمر مرة على كل مسلم مكلف حر مستطيع بوجدان الزاد والراحلة ولو ببيع عقاره ، فاضلا عن مؤنة لائقة لمن يمونه ذهابا وإيابا وعن دين عليه ولو مؤجلا أو أمهل به الى ايابه على التراخى بشرط عزمه على الفعل ، فمن مات أو عضب ولم يحج بعد الاستطاعة تبين فسقه في آخر سنى الامكان ، وكذا فيما بعده في المعضوب الى أن يحج عنه . فما شهد به أو قضى فيه تبين بطلانه ، وكذلك تزويج موليته . قال الغزالى : من استطاع فأخر حتى أفلس لزمه كسب مؤنته أو سؤالها من زكاة أو صدقة ليحج والأمات عاصيا ، ويندب للغنى القادر أن لا يتركه في كل خمس سنين لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل ان عبدا صححت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة فمضى عليه خمسة أعوام لم يفد الى لمحروم » رواه البيهقى وابن حبان .

خاتمة في بيان فضل الحج

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يباهى بأهل عرفات الملائكة يقول :

يا ملائكتي انظروا الى عبادى شعثا غبرا أقبلوا يضربون إلىّ من كل فج عميق فأشهدكم أنى قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم وأعطيت محسنيهم جميع ماسألونى غير التبعات التى بينهم . فاذا أفاض القوم الى جمع ووقفوا وعادوا فى الرغبة والطلب الى الله تعالى يقول الله تعالى : ياملائكتى عبادى وقفوا فعادوا فى الرغبة والطلب فأشهدكم انى قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم وأعطيت محسنيهم جميع ماسألونى وكفلت عنهم بالتبعات التى بينهم » تحمل الله تبعاتنا وغفر كبائر ذنوبنا .

وروى «من أمّ البيت لاتضع ناقته خفا ولاترفعه الا كتب له به حسنة ومحى عنه خطيئة وركعتا الطواف كعتق رقبة من بنى اسمعيل ، والسعى كعتق سبعين رقبة ، والوقوف يغفر به الذنوب وان كانت بعدد الرمل وكقطر المطر وكزبد البحر ، وبكل حصاة من الجمار تكفير كبيرة من الموبقات والنحر مدخور عند الله وبكل شعرة حلقت حسنة ومحو خطيئة ، وبالطواف بعد ذلك يضع ملك يديه بين كتفيه فيقول اعمل فيما يستقبل وقد غفرلك مامضى » غفر الله لنا ماقدّمنا وماأخرنا . وروى « اذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فانه مغفور له » . وروى « أن آدم عليه السلام أتى البيت ألف أتية من الهند على رجليه لم يركب قط فيهن وما من نبىّ الا حج حتى هود وصالح » .

وحكى القاضى عياض أن قوما أتوا الى سعدون الخولانى بالمنستير فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقى أبيض اللون ، فقال لعله حج ثلاث حجج . قالوا كيف ذلك ؟ . قال حدثت أن « من حج حجة أدى فرضه ، ومن حج ثانية داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار » .

وحكى عن محمد بن المنكدر أنه حج ثلاثا وثلاثين حجة ، فلما كان فى آخر حجة حجها . قال وهو واقف بعرفات اللهم انى قد وقفت فى موقفى هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضى ، والثانية عن أبى والثالثة عن أمى وأشهدك يارب انى قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقفى هذا ولم يتقبل منه ، فلما دفع بعرفات ونزل بالمزدلفة نودى فى المنام : ياابن المنكدر أتتكرم على من خلق الكرم أتجود على من خلق الجود ، ان الله تعالى يقول لك : وعزتى وجلالى لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألفى عام .

نسأل الله الكريم الجواد أن يغفر لنا كبائر ذنوبنا ويتحمل تبعاتنا ويتقبل توبتنا .

فصل فى أحكام الحج

أركانه : احرام بنية نويت الحج وأحرمت به ، ووقوف بعرفة ، وطواف سبعا ، وسعى سبعا مبتدئا بالصفا الى المروة وعائدا منها الى الصفا ، وازالة شعرات من رأس وأفضلها الوقوف ، وعند بعض المحققين الطواف وغير الوقوف أركان للعمرة .

وواجباته : احرام من ميقات ، ومبيت بمزدلفة لحظة من نصف أخير من ليلة النحر ، ومبيت بمنى ليالى التشريق ، ورمى أيامها سبعا سبعا الى الجمرات ، وطواف وداع لغير مكى ونحو حائض ، ويجب بترك واحد منها فدية .

وشروط الطواف : طهارة ، وسترعورة ، وابتداء بالحجر الأسود ومحاذاته بكل بدنه ، وجعل البيت عن يساره .

ومحرمات الاحرام : وطء ، وقبلة ، ومباشرة بشهوة ، واستمناء ونـكاح وتطيب ودهن شعر وازالته وتقليم ظفر واصطياد وأكل ماصيد له ولبس رجل مخيطا وستر رأسه وستر امرأة شيئا من وجهها ، فان فعل شيئا ناسيا أوجاهلا بتحريمه . فان كان إتلافا كحلق شعر وقتل صيد وجبت الفدية أو تمتعا كلبس وتطيب فلا . ونقل النووى فى المجموع قول بعضهم: يندب أن يتشبه كل أحد بالمحرم فى عشر ذى الحجة بعدم ازالة شعر وظفر ، وقول آخرين : يندب التعريف فى يوم عرفة بالاجتماع بعد الظهر فى أى بلد كان للذكر والدعاء تشبها بأهل عرفة . ونقل الامام أحمد فعله عن الحسن وجماعة .

فصل فى فضل مكة

قال الله تعالى ـ ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ـ . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال «والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله الىّ ولولا انى أخرجت منك ماخرجت» . وروى « ماعلى وجه الأرض بلدة يرفع الله تعالى فيها الحسنة الواحدة بمائة ألف حسنة الامكة ، ومن صلى فيها صلاة رفعت له مائة ألف صلاة ، ومن صام فيها يوما كتب الله له صوم مائة ألف يوم ، ومن تصدق بدرهم كتب الله له مائة ألف درهم صدقة ، ومن ختم القرآن مرة واحدة كتب الله له مائة ألف ختمة ، ومن سبح الله تعالى فيها مرة كتب الله له مائة ألف بغيرها ، وليوم واحد فى حرم الله وأمنه أرجى لك وأفضل من صيام الدهر وقيامه فى غيرها من البلدان» . وروى «من صلى خلف المقام ركعتين غفرله ماتقدم من ذنبه وأعطى من الحسنات بعدد كل من صلى خلفه أضعافا وأمنه الله تعالى يوم القيامة من الفزع الأكبر وأمر الله عز وجل جبريل وميكائيل وجميع الملائكة أن يستغفروا له الى يوم القيامة» .

وروى « من طاف حول بيت الله سبعا فى يوم صائف شديد الحر حاسرا عن رأسه واستلم الحجر الأسود فى كل طوفة من غير أن يؤذى أحدا وقلّ كلامه الا من ذكر الله كتب له بكل قدم يرفعها سبعون ألف حسنة ومحى عنه سبعون ألف سيئة ورفع له سبعون ألف درجة وفضل الماشى على الراكب كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » . وروى « من طاف بالبيت خمسين مرة يعنى خمسين أسبوعا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . وروى « ان الحجر الأسود يشهد لمن استلمه رقبته من أهل الدنيا ، وأنه شافع مشفع ، وانه كان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك ولولا ذلك مامسه ذو عاهة الا شفى » وروى « لايدخل أحد الكعبة الا برحمة الله ولا يخرج منها الا بمغفرة الله عز وجل » . وروى « النظر الى الكعبة عبادة ومن نظر الى البيت ايمانا واحتسابا غفرله ماتقدم من ذنبه وماتأخر وحشره يوم القيامة من الآمنين » . وروى « من مرض بمكة يوما واحدا حرم الله جسده على النار » . وروى « مامن أحد يدعو عند الركن الأسود الا ستجيب له وكذلك عند الركن اليمانى » . وروى « ماعلى وجه الأرض

..رة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعا الا مكة : أولها جوف الكعبة ، والدعاء فيها مستجاب ، والدعاء عند الحجر الأسود مستجاب ، والدعاء عند الركن اليماني مستجاب ، والدعاء تحت الميزاب مستجاب ، والدعاء في الحجر مستجاب ، والدعاء في الملتزم مستجاب ، والدعاء خلف المقام مستجاب ، والدعاء عند بئر زمزم مستجاب ، والدعاء على الصفا مستجاب ، والدعاء على المروة مستجاب ، والدعاء في الموقف مستجاب ، والدعاء عند المشعر الحرام مستجاب ، والدعاء عند الجمرات الثلاث مستجاب » . وروى « يحشر الله تعالى من مقبرة مكة سبعين ألف شهيد يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر يشفع كل واحد منهم في سبعين رجلا قيل من هم يارسول الله ؟ . فقال الغرباء ومن مات في حرم الله تعالى أوحرم رسوله صلى الله عليه وسلم أومات بين مكة والمدينة حاجا أومعتمرا بعثه الله يوم القيامة من الآمنين ألاوان التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق » . كتب الله الكريم المنان البراءة لنا من النفاق والنيران وقبض أرواحنا في أحد الحرمين وحشرنا في زمرة شهداء حرمه الأمين وأدخلنا الجنة بغير حساب آمين آمين .

وحكى اليافعي عن سهل بن عبد الله قال : مخالطة الولي للناس ذل وتفرده عز قلما رأيت وليا لله الامنفردا . وان عبد الله بن صالح كان رجلا له سابقة وموهبة جزيلة ، وكان يفر من الناس من بلد الى بلد حتى أتى مكة فطال مقامه ، فقلت له لقد طال مقامك بها ، فقال لي لم لاأقيم بها ولم أر بلدا ينزل فيه من الرحمة والبركة أكثر من هذا البلد والملائكة تغدو فيه وتروح اني أرى فيه عجائب كثيرة وأرى الملائكة يطوفون بالبيت على صور شتى لايقطعون ذلك ، ولوقلت كل مارأيت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤمنين ، فقلت له أسألك بالله الا ماأخبرتني بشيء من ذلك ، فقال مامن ولي لله تعالى صحت ولايته إلا وهو يحضر هذا البلد في كل ليلة جمعة لايتأخر عنه فقيامي ههنا لأجل من أراه منهم ، ولقد رأيت رجلا يقال له مالك بن القاسم الجيلي وقد جاء وبيده غمرة ، فقلت له انك قريب عهد بالأكل ، فقال لي أستغفر الله ، فاني منذ أسبوع لم آكل ولكني أطعمت والدتي وأسرعت لألحق صلاة الفجر وبينه وبين الموضع الذي جاء منه تسعمائة فرسخ . أقول : وقد شاهدت تصديق ذلك من شيخي قطب الزمان وشمس دائرة العرفان أبي المكارم زين العابدين محمد البكري متعنا الله بطول بقائه ونفعنا به وبدعائه وحشرنا تحت لوائه ، وهو أن شيخي كان جالسا في ليلة من ليالي رمضان عام ست وستين وتسعمائة متوجها الى بيت الله ناظرا اليه وكنت أنا وجماعة من فقرائه وراءه فقام الشيخ رضي الله عنه على هيئة المتواضع المتأدب وقمنا معه ومارأينا عروض عارض للقيام ولامجيء أحد اليه . ثم جلس بعد ساعة فجلسنا فسألت بعض خواص أصحابنا الذي كان معنا في ذلك الوقت عن قيام الشيخ رضي الله عنه ، فقال ان أولياء الله يحضرون بهذا البيت ويجتمعون بأولياء الله تعالى وهذا من ذلك ، أدام الله النفع به في الدارين .

واعلم أن السيآت تضاعف في مكة كما تضاعف الحسنات فيها على ماروى مجاهد عن ابن عباس ، والمراد بالمضاعفة زيادة القبح والعذاب . وروى الثوري عن ابن مسعود « مامن رجل يهم بسيئة الا تكتب عليه ، ولوأن رجلا بعدن أبين هم أن يقتل رجلا بهذا البيت لأذاقه الله

عز وجل من عذاب أليم » . وقال جماعة من المفسرين تبعا لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس « ان من الظلم الذى يذيق الله صاحبه العذاب الأليم شتم الخادم فى الحرم » .

وحكى شيخنا ابن حجر نفعنا الله به : أنه وقع لبعض من يعرفه الذى كان على هيئة جميلة وفضل تام وتصوّن بالغ زلة بتقبيل امرأة عند الحجر فسخ مسخا كليا وصار بأرثّ هيئة وأقبح منظر وأفظع حالة بدنا ودينا وعقلا وكلاما .

وحكى أن بعض الطائفين نظر الى أمرد أو امرأة فسالت عينه على خده وان بعضهم وضع يديه على امرأة فالتصقتا وعجز الناس عن فكهما حتى دلهم بعض العلماء أنهما يرجعان الى محل معصيتهما ويبتهلان الى الله ويصدقان فى التوبة ، ففعلا ذلك ففرج الله عنهما .

وقصة اساف ونائلة مشهورة وهى أنهما زنيا فى البيت فمسخهما الله حجرين ، فنعوذ بالله من الزلات ونسأله أن يعصمنا من الفتن الى الممات انه أكرم كريم وأرحم رحيم .

فصل فى زيارة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وفضل المدينة النبوية

قال رسول الله ﷺ « من حج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى » . وقال صلى الله عليه وسلم « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » ، وقال « من حج الى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتبت له حجتان مبرورتان » ، وقال « من حج ولم يزرنى فقد جفانى » ، وقال «من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة» . وقال « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد من أمتى الا كنت له شفيعا يوم القيامة أو شهيدا» . وقال «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانى أشفع لمن يموت بها » . نسأل الله الكريم أن يرزقنا شفاعة نبيه ، والموت فى حرمه آمين .

وحكى أبو الحسن الصوفى قال : وقف حاتم الأصم على قبر النبى صلى الله عليه وسلم . فقال : انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين ، فنودى ياهذا ما أذنا لك فى زيارة قبر نبى صلى الله عليه وسلم الا وقد طهرناك ؛ ارجع ومن معك من الزوار مغفورا لكم فان الله عز وجل قد رضى عنك وعمن زار قبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فارض اللهم عنا معهم .

باب فضل القرآن

أخرج البيهقى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه » . والحاكم عن ابن مسعود « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » . وأحمد عن معاذ بن أنس « من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا » . وأحمد عن تميم « من قرأ بمائة آية فى ليلة كتب له قنوت ليلة » . والحاكم عن أبى هريرة « من قرأ فى ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين » . والديلمى عن عمرو بن شعيب « اذا ختم العبد القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك » . وأبو داود والنسائى عن أنس « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب

ولاريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرّ ولاريح لها ، ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك ان لم يصبك منه شئ أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يصبك من شرره شيء أصابك من دخانه » . وأحمد عن أبى هريرة « من استمع الى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة » . والطبرانى عن أنس « من علم ابنا له القرآن نظرا غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ، ومن علمه إياه ظاهرا فكلما قرأ الابن آية رفع الله بها للأب درجة حتى ينتهى الى آخر مامعه من القرآن » . والديلمى عن أبى أمامة « حامل القرآن حامل راية الاسلام ، ومن أكرمه فقد أكرمه الله ، ومن أهانه فعليه لعنة الله » . وأخرج الترمذى والنسائى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت علىّ أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها » . وأبو داود عن سعد بن عبادة « مامن امرئ تعلم القرآن ثم نسيه الا لقى الله يوم القيامة أجذم » .

وحكى اليافعى أن الامام أحمد بن حنبل قال : رأيت رب العزة فى منامى فقلت يارب بم يتقرب اليك المتقربون ؟ قال بكلامى فقلت بفهم أو بغير فهم ؟ قال بفهم و بغير فهم .

[تنبيهات : أحدها] ان تلاوة القرآن أفضل من سائر أنواع الذكر العام الذى لم يخص بوقت أو محل ، وهى نظرا ، وفى الصلاة و بالليل ونصفه الأخير و بين العشاءين و بعد الصبح وفى أفضل الأوقات أفضل .

[فرع] يسنّ ترتيلها حتى للأعجمى لكن لا يفهمه ، وهو التنقل من حرف الى حرف آخر متأنّ بالموفقة ، وحرف ترتيل أفضل من حرفى غيره . قال ابن عباس : لأن أقرأ سورة أرتلها أحب الىّ من أن أقرأ القرآن كله بغير ترتيل . قال بعضهم يسنّ الوقف على رأس كل آية وعليه أبو عمرو القارى . وينبغى أن يكون شأن القارئ الخشوع والتدبر والخضوع اذ هو المقصود المطلوب وبه تستنير القلوب . قال أنس بن مالك « رب تال للقرآن والقرآن يلعنه » . وورد فى التوراة « ياعبدى أما تستحى منى يأتيك كتاب بعض اخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لايفوتك منه شيء وهذا كتابى أنزلته إليك انظر كم فصلت لك من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه فكنت أهون عليك من بعض اخوانك ؟ ياعبدى قصد إليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أوشغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف وها أناذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض عنى بقلبك أجعلتنى أهون عليك من بعض اخوانك » تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

[فائدة] قال فى المجموع : الاشتغال بحفظ مازاد على الفاتحة أفضل من صلاة التطوع ، وأفتى بعض المتأخرين بان الاشتغال بحفظه أفضل من الاشتغال بفرض الكفاية من سائر العلوم دون فرض العين منها . وثانيها أن نسيان آية أوحرف منه ولو بالاشتغال عما هو أهمّ منه كتعلم العلم العينى كبيرة . وثالثها أنه يجب على من حفظه بعد البلوغ بصفة من اتقان أو توسط أو غيرهما

كأن يتوقف فيه أو يكثر غلطه أن يستمر على تلك الصفة التى حفظه عليها فيحرم عليه نقصها من حافظته . ورابعها انه يحرم تمزيق ما كتب فيـه قرآن عبثا و بلعه لا كله ولا شرب محوه وترك رفعـه عن الأرض ومـدّ الرجل اليـه ووضع نحو درهم فيـه وفى كتب علـم شرعى ويندب القيام له كالعالم .

وحكى يوسف المالـكى أن الامام أبا بكر بن فورك ما نام فى بيت فيه مصحف قط واذا أراد النوم انتقل عن المكان الذى فيه اعظاما لكتاب الله عزّ وجل .

فصل فى فضائل بعض السور والآيات

التى ورد فضلها فى الأحاديث غير الموضوعات

أخرج عبـد الله بن حيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « فاتحـة الـكتاب تعدل بثلثى القرآن » . وأحمد والترمذى عن أبى هريرة « والذى نفسى بيده ماأنزل الله فى القرآن ولا فى الزبور ولا فى الانجيـل ولا فى الفرقان مثلها ، يعنى أمّ القرآن وإنها السبع المثانى والقرآن العظيم » . وأحمد عن أبى أمامة « اقرءوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شـفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان كأنهما غمامتان أوغيابتان أوكأنهما فرقان من طير صوافّ تحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة فان أخـذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة » . والبيهقى عن الصلصال « من قرأ سورة البقرة توج بتاج فى الجنـة » . وابن مردويه والشيرازى عن ابن مسعود « أعظم آية فى كتاب الله آية الكرسى ، وأعدل آية فى القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخرها ، وأخوف آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خـيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، وأرجى آية فى القرآن قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحـمـة الله » . والحاكم عن أبى ذرّ « ان الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذى تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم وابناءكم فانها صـلاة وقراءة ودعاء » . والدارمى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه «من قرأ آخر آل عمران فى ليلة كتب له قيام ليلة » . وأحـمد عن معاذ بن أنس « آية العز : وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية » . والبيهقى عن ابن عباس « سورة الكهف تدعى فى التوراة الحائلة تحول بين قارئها و بين النار » . ومسلم عن أبى الدرداء « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » . وأحـمد والترمذى والنسائى والحاكم عن جابر « كان النبى ﷺ لاينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة ، وتبارك الذى بيده الملك » . والدارمى عن خالد بن معدان قال « اقرءوا المنجية وهى الم تنزيل فانه بلغنى أن رجلا كان يقرؤها مايقرأ شيئا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه قالت : رب اغفر له فانه كان يكثر قراءتى فشفعها الرب تعالى وقال : اكتبوا له بكل خطيئة حسـنة وارفعوا له درجة » . وقال أيضا « انها تجادل عن صاحبها فى القبر تقول : اللهم ان كنت من كتابك فشفعنى فيه وان لم أكن من كتابك فامحنى عنه وانها تكون كالطير تجعل جناحها عليه فتشفع له فتمنعه من عذاب القبر » وقال فى تبارك مثله . وعن أبى سعيد « من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن مرتين» وفى رواية البيهقى عن معقل بن يسار « من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له ماتقدم من

ذنبه فاقرءوها عند موتاكم » . وأبو نعيم عن ابن مسعود رضى الله عنه « من قرأ يس فى ليلة أصبح مغفورا له » . والبيهقى عن أبى هريرة « من قرأ يس كل ليلة غفر له » وفى رواية عنه « من قرأ يس فى يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له » . والدارمى عن عطاء بن أبى رباح قال « من قرأ يس فى صدر النهار قضيت حوائجه » . والبيهقى عن الخليل بن مرة قال « الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع يجىء كل حاميم منها يقف على باب من هذه الأبواب يقول : اللهم لاتدخل هذا الباب من كان يؤمن بى و يقرؤنى » . والترمذى عن أبى هريرة « من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » . وابن الضريس عن الحسن قال « من قرأ سورة الدخان فى ليلة غفر له ماتقدم من ذنبه » . والبيهقى والديلمى عن فاطمة رضى الله عنها « قارئ الحديد وإذا وقعت والرحمن يدعى فى ملكوت السموات والأرض ساكن الفردوس » . والبيهقى عن ابن مسعود « من قرأ سورة الواقعة فى كل يوم لم تصبه فاقة أبدا » . وابن عدى عن أنس « علموا نساءكم سورة الواقعة فانها سورة الغنى » . والترمذى والنسائى عن العرباض ابن سارية « كان النبى ﷺ يقرأ المسبحات فى كل ليلة قبل أن يرقد يقول : ان فيهن آية خير من ألف آية » . قال الحافظ ابن كثير هى قوله : هو الأول والآخر إلى عليم . وقال أبى بن كعب « أفضل المسبحات سبح اسم ربك الأعلى » . والبيهقى عن أبى أمامة « من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض فى ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجب الله له الجنة » . وأحمد وأبو داود والترمذى والحاكم وابنا عدى وحبان عن أبى هريرة « أن سورة فى القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك » وفى رواية أبى داود « تشفع » . والترمذى عن ابن عباس « قال ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر وهو لايحسب أنه قبر فاذا فيه انسان يقرأ فيه سورة تبارك الذى بيده الملك حتى ختمها ، فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب الله » . والحاكم عنه « وددت أن تبارك الذى بيده الملك فى قلب كل مؤمن » . والترمذى عن أنس « من قرأ اذا زلزلت عدلت نصف القرآن ، ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت ربع القرآن ، ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له بثلث القرآن » . والبيهقى عن ابن عمر « ألايستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية فى كل يوم ؟ قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر » . والشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ومالك وأحمد والطبرانى والبزار وأبو عبيد عن عشرة من الصحابة « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » . والعقيلى عن رجاء الغنوى « من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع » . وأحمد عن معاذ بن أنس « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له بيتا فى الجنة » . والبيهقى وابن عدى عن أنس « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفر الله له خطيئة خمسين عاما ما اجتنب خصالا أربعا : الدماء والاموال والفروج والأشربة » . والطبرانى عن فيروز « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فى الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار » اللهم اكتب لنا البراءة من النار . وورد فى سورة لم يكن « ان الله تعالى يقول لمن قرأها أبشر عبدى فوعزتى لأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى وفى العاديات أنها تعدل نصف القرآن وفى سورة النصر أنها تعدل ربع القرآن » وروى الجوينى فى تفسيره عن أبان

ابن أبي عياش قال حضرنا وفاة مورق العجلي ، فلما سجي وقلنا قد قضى رأينا نورا ساطعا قد سطع من عند رأسه حتى خرق السقف ، ثم رأينا نورا قد سطع عند رجليه مثل الأول ، ثم رأينا نورا سطع من وسطه فمكثنا ساعة ، ثم انه كشف الثوب عن وجهه فقال هل رأيتم شيئا قلنا له نعم. وأخبرناه ما رأيناه فقال تلك سورة السجدة قد كنت أقرؤها في كل ليلة وكان النور الذي رأيتم عند رأسي أربع عشرة آية من أولها والنور الذي رأيتم عند رجلي أربع عشرة آية من آخرها والنور الذي رأيتم في وسطي آية السجدة بنفسها صعدت تشفع لي وبقيت سورة تبارك تحرسني ، ثم قضى .

وحكى اليافعي قال : سمعت من بعض الصالحين في بعض بلاد اليمن ، أنه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس سمع في القبر ضربا ودقا عنيفا ، ثم خرج من القبر كلب اسود فقال له الشيخ : ويحك ايش أنت ؟ قال أنا عمل الميت . فقال هذا الضرب فيك أم فيه ؟ قال بل فيّ وجدت عنده سورة يس وأخواتها فحالت بيني وبينه وضربت وطردت . نسأل الله المنان أن يجنبنا عذاب القبر والنيران وأن يرزقنا الحور والجنان ببركة القرآن آمين .

باب أذكار الصباح والمساء

أخرج أحمد عن عبد الرحمن بن غنم قال : قال رسول الله ﷺ «من قال قبل أن ينصرف ويثني رجليه من صلاة المغرب والصبح : لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب له بكل واحدة عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات ، وكانت له حرزا من كل مكروه وحرزا من الشيطان الرجيم ولم يحلّ لذنب أن يدركه الا الشرك ، وكان من أفضل الناس عملا الارجلا يفضله يقول : أفضل مما قال وزاد النسائي : من قالهن من صلاة العصر أعطي مثل ذلك » . وأحمد والبخاري «سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا إله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفرلي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » . وأبوداود والترمذي «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا أصبح : اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور ، واذا أمسى قال : اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير » . وابن السني قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضى الله عنها «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به تقولي اذا أصبحت واذا أمسيت : ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين » . وأبوداود « اذا أصبح أحدكم فليقل أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين : اللهم اني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما قبله وشر ما بعده ، ثم اذا أمسى فليقل مثل ذلك » . وأبوداود «دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة ، فقال يا أبا أمامة مالي أراك جالسا في غير وقت الصلاة ؟ قال هموم لزمتني وديون يارسول الله ، قال أفلا أعلمك كلاما اذا قلته أذهب الله

همك وقضى عنك دينــك ؟ قلت بلى يارسول الله ، قال قل اذا أصبحت واذا أمسيت : اللهم انى أعوذ بك من الهمّ والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال فقلت فأذهب الله تعالى همى وقضى عنى دينى » . وابن السنى «جاء رجل الى أبى الدرداء ، فقال ياأبا الدرداء قد احترق بيتك ، فقال مااحترق لم يكن الله عزّ وجل ليفعل ذلك بكلمات سمعتهنّ من رسول الله ﷺ من قالها أوّل نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : اللهم أنت ربى لاإله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن لاحول ولاقوة الابالله العلىّ العظيم أعلم أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما : اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم» . وأخرجه من طريق آخر « أنه تكرر مجىء رجل اليه يقول أدرك دارك فقد احترقت وهو يقول مااحترقت لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قال حين يصبح هذه الكلمات لم يصبه فى نفسه ولا أهله ولا ماله شىء يكرهه ، وقد قلتها اليوم ثم قال انهضوا بنا فقام وقاموا معه فانتهوا الى داره وقد احترق ماحولها ولم يصبها شئ » . وفى رواية أخرى له «من قالها ثم مات دخل الجنة» . وهو «أن رجلا شكا الى رسول الله ﷺ أنه يصيبه الآفات . فقال رسول الله ﷺ قل اذا أصبحت : بسم الله على نفسى ومالى وأهلى فانه لايذهب لك شىء فقالهنّ الرجل فذهب عنه الآفات » . ومسلم وأبوداود « أما انك لوقلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ماخلق لم تضر » . وفى رواية ابن ماجه « ماضرّه لدغ عقرب حتى يصبح » . وأحمد وأبوداود « من قال حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه » . وابن السنى « اذا أصبحت فقل : اللهم أنت ربى لاشريك لك أصبحنا وأصبح الملك لله لاشريك له ثلاث مرّات واذا أمسيت فقل مثل ذلك فانهنّ يكفرن مابينهنّ » . والترمذى وأبو داود « مامن عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذى لايضرّ مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرّات لم يضرّه شئ ، وفى رواية : فجأة بلاء » . والترمذى « من قال حين يمسى ثلاث مرّات : أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ماخلق لم يضرّه حمة تلك الليلة » . وأبو داود « من قال حين يصبح أو يمسى : اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لاإله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار فمن قالها مرّتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار فان قالها أربعا أعتقه الله تعالى » . وابن السنى « من قال فى كل يوم حين يصبح وحين يمسى : حسبى الله لاإله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالى ماأهمه من أمر الدنيا والآخرة » . وابن حبان والحاكم « من قال اذا أصبح مائة مرّة واذا أمسى مائة مرّة سبحان الله وبحمده غفرت ذنوبه وان كانت أكثر من زبد البحر ، وفى رواية أبى داود سبحان الله العظيم وبحمده » . والترمذى « من قرأ حم المؤمن الى اليه المصير وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح » . وأبو داود « من قال حين يصبح فسبحان

الله حين تمسون وحين تصبحون الى وكذلك تخرجون أدرك مافاته في يومه ذلك ومن قالهن حين يمسى أدرك مافاته فى ليلته » . وابن السنى عن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال « وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية فأمرنا أن نقرأ اذا أمسينا واذا أصبحنا ـ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون ـ » . وهو والترمذى « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة » . وأبوداود والترمذى عن عبدالله بن خبيب « قال خرجنا فى ليلة مطر وظلمة شديدة فطلب النبى صلى الله عليه وسلم ليصلى بنا فأدركناه . فقال : قل ، فلم أقل شيئا ، ثم قال قل ، فلم أقل شيئا ، ثم قال قل : قلت يارسول الله ما أقول ؟ قال قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شىء » .

باب مايقال عند النوم والاستيقاظ منه

أخرج البخارى عن أبى هريرة قال « وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام وذكر الحديث ، وقال اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى فانه لن يزال معك من الله حافظ ولايقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبى ﷺ صدقك وهو كذوب وذاك شيطان » . والشيخان «لآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما فى ليلة كفتاه » . وهما «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ثم مسح بهما مااستطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» . وأبوداود والترمذى عن نوفل قال : قال لى رسول الله ﷺ « اقرأ قل ياأيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك » أعاذنا الله من الشرك والنفاق . والترمذى « من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله الذى لاإله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله تعالى له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر ، وان كانت عدد النجوم ، وان كانت عدد رمل عالج ، وان كانت عدد أيام الدنيا » . وابنا حبان والسنى « من قال حين يأوى الى فراشه : لاإله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم سبحان الله والحمد لله ولاإله الا الله والله أكبر غفرت ذنوبه ولوكانت مثل زبد البحر » . والشيخان عن على رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال له ولفاطمة رضى الله عنهما اذا أويتما الى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين ، قال على رضى الله عنه ماتركته منذ سمعته منه ﷺ قيل له ولا ليلة صفين ؟ قال ولا ليلة صفين » . وللبخارى «كان ﷺ اذا أوى الى فراشه قال : باسمك اللهم أحيا وأموت باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ان أمسكت نفسى فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» . وللشيخان «اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم انى أسلمت نفسى اليك وفوضت أمرى اليك وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لاملجأ ولامنجا الا اليك آمنت بكتابك

الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت : اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك فان مت مت على الفطرة واجعلهن آخر ماتقول » . وابن السنى « من بات على طهارة ثم مات من ليلته مات شهيدا » . وأخرج البخارى « كان رسول الله ﷺ اذا استيقظ من النوم قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ماأماتنا واليه النشور » . وابن السنى « مامن رجل ينتبه من نومه فيقول : الحمد لله الذى خلق النوم واليقظة الحمد لله الذى بعثنى سالما سويا أشهد أن لا إله إلا الله يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير الاقال الله تعالى صدق عبدى » . وهو « مامن عبد يقول عند رد الله تعالى روحه : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير الا غفر الله تعالى ذنوبه ولوكانت مثل زبد البحر » . وأحمد « كان رسول الله ﷺ لاينام الا والسواك عنده رأسه فاذا استيقظ بدأ بالسواك » . ومسلم « من نام عن حزبه أو عن شىء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل » .

باب مايقال فى بعض الاحوال

أخرج ابن السنى « من لبس ثوبا فقال : الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه » . وهو والحاكم « كان رسول الله ﷺ اذا خرج من بيته قال بسم الله التكلان على الله لاحول ولاقوة الا بالله » . والشيخان « كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء قال : اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث » . وابنا ماجه والسنى « كان اذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى » . والترمذى « كان اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ، واذا خرج صلى على محمد وسلم ، وقال رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك » . وأبو داود والترمذى « من أكل الطعام ، وقال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة غفر له ماتقدم من ذنبه » . والترمذى والحاكم « من دخل السوق ، فقال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير ورفع بها صوته كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة » . والترمذى « من جلس فى مجلس وكثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك » . غفر الله لنا ماتقدم وماتأخر من كبائر ذنوبنا وسيآت أعمالنا .

[تنبيهات : أحدها] أنه يسن الأذكار الواردة أول النهار وآخره وعند النوم واليقظة ، فينبغى لمريد الخير الاعتناء بحفظها ومواظبتها وقد استوفاها الجلال السيوطى فى وظائف اليوم والليلة . وثانيها أن الاشتغال بالذكر الخاص بوقت أو محل بأن ورد الشرع به فيه ولو من طريق ضعيف أفضل من تلاوة القرآن لتنصيص الشارع عليه والذكر المخصوص الوارد عن بعض الصحابة كالوارد عنه صلى الله عليه وسلم . وثالثها أنه ينبغى للذاكر والداعى أن يتدبر مايذكر ويدعو به ويتعقل معناه ، قال الأسنوى وغيره من أتى بذكر أو دعاء مأثور غافلا عن معناه المعلوم له لولا الغفلة لايثاب عليه . وقال شيخنا ابن حجر تعاده الله برحمته فى العامى الذى لم يفهم المعنى يحتمل أن يثاب .

باب فى أذكار غير مقيدة بوقت

أخرج الترمذى وابن ماجه وصححه الحاكم عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى ، قال ذكر الله » . والترمذى والنسائى وابنا ماجه وحبان « أفضل الذكر لا إله إلا الله » . وأحمد ومسلم «أحب الكلام الى الله تعالى أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت » . وابن ماجه «عليكم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فانهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها » . وابن عدى « أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فانها من كنوز الجنة » . ومسلم « أن النبى ﷺ خرج من عند جويرية رضى الله عنها بكرة حين صلى الصبح ، وهى فى مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة ، فقال مازلت على الحالة التى فارقتك عليها ؟ قالت نعم ، فقال النبى ﷺ لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » . وللترمذى عن على رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ : ألا أعلمك كلمات اذا أنت قلتهن وعليك مثل عدد الذر خطايا غفر الله لك ، قل لا إله إلا الله العلى العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين » . وهو والحاكم عن على قال قال رسول الله ﷺ « ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل ثبير ذنبا أداه الله عنك ، قل اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك» . والشيخان «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد أفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه » . والخطيب وأبو نعيم وابن عبد البر « من قال فى يومه مائة مرة : لا إله إلا الله الملك الحق المبين كان له أمانا من الفقر وأنسا من وحشة القبر وفتحت له أبواب الجنة » . والبيهقى «ما من مسلم يقف عشية عرفة فيستقبل القبلة بوجهه ، ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير مائة مرة ، ثم يقرأ قل هو الله أحد مائة مرة ، ثم يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وعلينا معهم مائة مرة إلا قال الله تعالى : يا ملائكتى ما جزاء عبدى هذا أشهدكم أنى قد غفرت له وشفعته فى نفسه ولو سألنى عبدى هذا لشفعته فى أهل الموقف» ؛ وروى عن ابن عباس قال «الليل والنهار أربع وعشرون ساعة وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر كل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب اذا قالها فى كل يوم مرة » فكيف بمن يكثر من قول لا إله إلا الله ويجعلها شعاره .

اخوانى ان كنتم عاصين فقولوا : لا إله إلا الله ، فانها تكفر الذنوب والعصيان ، وان كنتم طائعين فجددوا ايمانكم بقول لا إله إلا الله . فانها تجدد الايمان وتورث الأمن والأمان والعفو

والغفران . وأخرج البغوى «استغفروا ربكم انى أستغفر الله وأتوب اليه كل يوم مائة مرة» . ومسلم «ولكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار» . وابن السنى «من استغفر الله فى كل يوم سبعين مرة غفر الله له سبعمائة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة عمل فى اليوم والليلة أكثر من سبعمائة ذنب» وأحمد والحاكم «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب» . وروى معروف الكرخى عن أنس بن مالك وابن عمر «أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال دلنى على عمل يدخلنى الجنة ، قال لا تغضب قال فانى لا أطيق ذلك ، قال فاستغفر الله عز وجل كل يوم بعد صلاة العصر سبعين مرة يغفر الله لك ذنوب سبعين عاما ، قال فان لم تأت علىّ ذنوب سبعين . قال يغفر لأقاربك» غفر الله لنا ولأقاربنا .

وحكى اليافعى عن بعض الصالحين أنه عبد الله عز وجل أربعين سنة ، فلما كان بعض الليالى أخذته دالة على الله عز وجل ، فقال إلهى أرنى ماقد أعددت لى من الحور العين فما استتم الكلام حتى انشق المحراب فخرجت منه حورية لو خرجت الى الدنيا لفتنتها ، فقال لها انسية أنت فأنشأت تقول :

شكوت الى المولى وقد علم الشكوى ... وأعطاك ما ترجو وقد كشف البلوى

وأرسلنى أنسا اليك وانني ... أناجيك طول الليل لو تسمع النجوى

فقال لها ياجارية لمن أنت ؟ قالت أنا لك ، فقال كم لى مثلك جويرية . قالت مائة جويرية ولكل جويرية مائة خادمة ، ولكل خادمة مائة وصيفة ، ولكل وصيفة مائة قهرمانة ففرح ، وقال ياجويرية هل أعطى أحد أكثر منى ، قالت يامسكين عطاؤك عطاء الطالبين الذين يقولون : أستغفر الله فيغفر لهم . ثم يستغفرون الله عند غروب الشمس فيغفر لهم ، غفر الله لنا ولوالدينا ولأحبابنا .

[تنبيه] اعلم أن أفضل الذكر لا إله إلا الله وأنه لا يساوى شيء من الأذكار هذا الذكر أصلا كما أخبر به النبى ﷺ ولهذا اجتمعت المشايخ الشوامخ قدس الله أرواحهم على اختيار هذه الكلمة الشريفة فعملوا بها فى السلوك والتسليك ، وقالوا ينبغى للمبتدى أن يقتصر عليها بعد الفرائض والسنن والرواتب من الصلوات فيشتغل سائر أوقاته بها الى مالا بد منه . قال النووى : والصحيح أن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب وحده والصحيح المختار أنه يستحب مد الذاكر قوله لا إله إلا الله لما فيه من التدبر ، فالمراد من الذكر حضور القلب فينبغى أن يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ، واذا ذكر الله تعالى وقلبه غافل عنه فهو غير ذاكر له بل ناس له بقلبه ومعلق بلسانه فينبغى توبته من ذلك ولزوم الاستغفار منه ، وقال بعضهم من قال الله وقلبه غافل عن الله فخصمه فى الدارين الله ، وقال القطب المحقق سهل بن عبد الله التسترى : لا أعرف معصية أقبح منه أعاذنا الله من الغفلة فى الذكر والصلاة ورزقنا الاخلاص والحضور فيهما .

باب فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ــ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ــ أخرج التيمى أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال « صلوا عليّ فان الصلاة عليّ كفارة لكم وزكاة فمن صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشرا » . وأحمد « أتاني آت من ربي عز وجل ، فقال من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها» . والطبراني « من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرا ، ومن صلى عليّ عشرا صلى الله عليه مائة ، ومن صلى عليّ مائة كتب الله له مابين عينيه براءة من النفاق ، وبراءة من النار وأسكنه يوم القيامة مع الشهداء » . وابن عساكر « أكثروا الصلاة عليّ فان صلاتكم عليّ مغفرة لذنوبكم ، واطلبوا لى الدرجة والوسيلة . فان وسيلتى عند ربى شفاعة لكم » . والترمذى عن أبى بن كعب « قال كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام ، فقال : أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه ، قال أبىّ فقلت يارسول الله انى أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتى ، قال ماشئت قلت الربع قال ماشئت ، وان زدت فهو خير لك ، قلت فالنصف ، قال ماشئت وان زدت فهو خير لك ، قلت فالثلثين . قال ماشئت ، وان زدت فهو خير لك ، فقلت أجعل لك صلاتى كلها ؟ قال اذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك » . والطبرانى « من ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة » . وابن أبى عاصم « ألا أخبركم بأبخل الناس ؟ قالوا بلى يارسول الله ، قال من ذكرت عنده فلم يصل عليّ ، فذلك أبخل الناس» . والنميرى وابن بشكوال موقوفا على أبى بكر رضى الله عنه قال « الصلاة على رسول الله ﷺ أمحق للخطايا من الماء للنار والسلام على النبى ﷺ أفضل من عتق الرقاب وحب رسول الله ﷺ أفضل من مهج الأنفس أو من ضرب السيف فى سبيل الله » . والطبرانى « من قال جزى الله عنا محمدا بما هو أهله أتعب سبعين ملكا ألف صباح » . وروى أن النبى ﷺ قال « ثلاثة تحت ظل الرحمن عز وجل يوم لا ظل الا ظله قيل من هم يارسول الله قال من فرج عن مكروب من أمتى ، ومن أحيا سنتى ، ومن أكثر الصلاة عليّ » . وعنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى عليّ فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمى فى ذلك الكتاب» . وروى التيمى عن زين العابدين أنه قال : علامة أهل السنة كثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر ابن الجوزى فى [سلوة الأحزان] أن آدم عليه السلام لما رام القرب من حواء طلبت منه المهر . فقال يارب ماذا أعطيها قال يا آدم صل على صفيى محمد ﷺ عشرين مرة ففعل . وقال كعب الأحبار : أوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام فى بعض ما أوحى اليه ياموسى أتحب أن لا ينالك من عطش يوم القيامة ؟ قال إلهى نعم ، قال فأكثر الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم . وروى « أن مسرفا من بنى اسرائيل لما مات رموا به فأوحى الله لموسى عليه السلام أن غسله وصل عليه فانى قد غفرت له . قال يارب وبم ذلك ؟ قال انه فتح التوراة يوما فوجد فيها اسم محمد ﷺ فصلى عليه فغفرته له بذلك » ، وفى شرف المصطفى لأبى سعيد « أن عائشة رضى الله عنها كانت تخيط شيئا فى وقت السحر فضلت الابرة وطفئ السراج فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت بضوئه ﷺ ووجدت الابرة . فقالت ما أضوأ وجهك يارسول الله قال ويل لمن لا يرانى . قالت ومن لا يراك ؟ قال البخيل . قالت ومن البخيل ؟ قال الذى لا يصلى عليّ اذا سمع باسمى » . وذكر أبو نعيم فى الحلية « أن رجلا مر بالنبى ﷺ ومعه ظبى قد

اصطاده فأنطق الله سبحانه الذى أنطق كل شيء الظبي . فقال يارسول الله إن لى أولادا وأنا أرضعهم وانهم الآن جياع فأمر هـذا أن يخليني حتى أذهب فأرضع أولادى وأعود . قال فان لم تعودى قالت ان لم أعد فلعنني الله كمن تذكر بين يديه فلا يصلي عليك . فقال النبي ﷺ أطلقها وأنا ضامنها فذهبت الظبية ثم عادت ، فنزل جبريل عليه السلام ، وقال يامحمد الله يقرئك السلام يقول : وعزتى وجلالى لأنا أرحم بأمتك من هذه الظبية بأولادها وأنا أردّهم اليـك كما رجعت الظبية اليك » الحمد لله الذى جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم تسليما .

[تنبيه] إن إكثار الصلاة على النبي ﷺ مع السلام مطلوب مرغب فيه فينبغي الحرص عليه كل حين ولو بأقل الصلاة ، وهو : اللهم صلّ على محمد وآله وسلم ولا يسمح أحد بعظم فضلها ويتركها الا متهاون بالدين وتحسينها مطلوب أيضا : لما روى ابن مسعود عن النبيّ ﷺ « اذا صليتم عليّ فأحسنوا الصـلاة فانكم لاتدرون لعلّ ذلك يعرض عليّ » الحديث ، والمراد بتحسينها أن يأتى الصلاة بأكملها وأفضلها ، فمن أفضل الكيفيات الواردة فى الصلاة على النبيّ ﷺ وأجمعها الـكيفية التى استنبطها وجمعها شيخنا ابن حجر نفعنا الله به وهى : اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك النبيّ الأمى وعلى آل محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد وبارك على محمد عبدك ورسولك النبيّ الأمى وعلى آل محمد وأزواجه أمهات المؤمـنين وذريته وأهل بيتـه كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد وكما يليق بعظيم شرفه وكماله ورضاك عنه وماتحب وترضى له دائما أبدا عدد معلوماتك ومداد كلماتك ورضاء نفسك وزنة عرشك أفضل صلاة وأكملها وأتمها كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون وسلم تسليما كذلك وعلينا معهـم . وقال شيخنا : أن هـذه الـكيفية قد جمعت الوارد فى معظم كيفيات التشهد التى هى أفضـل الـكيفيات وسائر ما استنبطه العلماء من الـكيفيات وزادت بزيادة بليغـة فتكون هى الأفضل على الاطلاق ، وقال العلامة الحافظ الشرجي وغيره : ان جميع الأذكار لاتفيد ولاتقبل الا مع حضور القلب الا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فانها تقبل ولو مع عدم حضور القلب ، وقال الشيخ الكبير قطب الأولياء أبو الحسن البكري رضى الله عنه : ينبغي للمرء أن لاتنقص صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خمسمائة فى كل يوم وليلة ولو بأقل الصلاة ، وقال أبوطالب المكى فى قوت القلوب : ينبغي أن لاينقص صلاته عنه عن ثلثمائة .

وحكى أن رجلا حج ، وكان يكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فى مواقف الحج وأعماله ، فقيل له ثم لم تشتغل بالدعاء ، فقال خرجت من خراسان للحج وولدى معى فمات والدى بالبصرة فكشفت عن وجهه فاذا هو صورة حمار فحزنت حزنا شديدا ، ثم أخذتنى سنة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فبشرنى بأن قد أزال عنه هذه الصورة وأخبرنى أنه كان يأكل الربا وآكله يقع له ذلك دنيا وأخرى ، ولكنه كان يصلى عليّ كل ليلة عند نومه مائة مرة ، فلما حصل له ذلك أخبرني به الملك الذى يعرض عليّ أعمال أمتي فسألت الله فشفعني فيه فاستيقظت ورأيت وجهه كالبدر ، ثم لما دفناه سمعت هاتفا يقول : ان سبب العناية التى حفت والدك الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فآليت أن لا أتركها على أيّ حال كنت فى أيّ مكان كنت .

وحكي أيضا : أنه توفى تاجر عن مال وابنين وثلاث شعرات من شعره ﷺ فاقتسما المال نصفين وشعرتين وبقيت واحدة فطلب الأكبر قطعها نصفين فأبى الأصغر اجلالا له صلى الله عليه وسلم . فقال له الأكبر أتأخذ الثلاث بحظك من المال ؟ قال نعم : ثم جعل الثلاث فى جيبه وصار يخرجها ويشاهدها ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، فعن قريب كثرماله وفنى مال الأكبر ، ولما توفى الصغير رآه بعض الصالحين ورأى النبى صلى الله عليه وسلم . فقال له قل للناس من كانت له الى الله حاجة فليأت قبر فلان هذا ويسأل الله قضاء حاجته ، فكان الناس يقصدون قبره حتى بلغ الى أن كل من مرّ على قبره راكبا ينزل ويمشى راجلا .

خاتمة فى ذكر منامات

رأى الشبلى رحمه الله فى المنام جارا له فقال : مرّت بى أهوال عظيمة ، وذلك أنه ارتج علىّ عند السؤال ، فقلت فى نفسى من أين أتى علىّ ألم أمت على الاسلام فنوديت هذه عقوبة اهمالك لسانك فى الدنيا ، فلما همّ بى الملكان حال بينى وبينهما رجل جميل طيب الرائحة فذكرنى حجتى فذكرتها ، فقلت له من أنت يرحمك الله . قال أنا شخص خلقت لكثرة صلاتك على النبىّ صلى الله عليه وسلم وأمرت أن أنصرك فى كل كرب . ورأت امرأة ولدها بعد موته يعذب فحزنت لذلك وبكت ثم رأته بعد ذلك وهو فى النور والرحمة فسألته عن ذلك . فقال : مرّ رجل بالمقبرة فصلى على النبى ﷺ وأهدى ثوابها للأموات فحصل نصيبى المغفرة . ورأى رجل من أهل شيراز أبا العباس أحمد بن منصور عليه حلة وعلى رأسه تاج مكلل بالجوهر . فقال له مافعل الله بك ؟ فقال : غفرلى وأكرمنى وتوجنى وأدخلنى الجنة . فقال له : بماذا ؟ قال بكثرة صلاتى على رسول الله ﷺ . وكان بعض الصالحين جعل على نفسه عددا معلوما يصلىّ على النبى صلى الله عليه وسلم عند النوم ، فأخذته عيناه ليلة فرأى النبى ﷺ داخلا عليه فامتلأ بيته نورا . فقال له : هات هذا الفم الذى يكثر الصلاة علىّ أقبله . قال فاستحييت فأدرت له خدّى فقبله فانتبهت فاذا البيت يفوح مسكا من رائحته ﷺ وبقيت رائحة المسك من قبلته فى خدى نحو ثمانية أيام . ورأى بعض الصالحين أباحفص الكاغدى . فقال : مافعل الله بك ؟ قال رحمنى وغفر لى وأدخلنى الجنة ، فقيل له بماذا ؟ قال لما وقفت بين يديه أمر الملائكة فحسبوا ذنوبى وصلاتى على النبى صلى الله عليه وسلم فوجدوها أكثر . فقال لهم المولى جلت قدرته : حسبكم ياملائكتى لاتحاسبوه واذهبوا به الى جنتى . اللهم أدخلنا الجنة بغير حساب بحق لشفيع لعاقب صلى الله عليه وسلم عدد ماذكره الذاكرون وعدد ماغفل عن ذكره الغافلون وسلم كذلك .

باب الشرك الأصغر وهو الرياء

قال الله تعالى — فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا — أى لايرائى بعمله . وأخرج أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر وهو الرياء : يقول الله يوم القيامة للمرائين اذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم ترا ءون فى الدنيا انظروا هل تجدون عندهم جزاء » . وابن حبان « ان أخوف

ماأخاف على أمتى الاشراك بالله : أما انى لست أقول تعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ، ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفية » . والطبرانى « ان أدنى الرياء شرك وأحب العبيد الى الله الأتقياء الأخفياء أى المبالغون فى ستر عبادتهم وتنزيهها عن شوائب الاعراض الفانية والاخلاق الدنية الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا شهدوا : أى حضروا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم » . وأبو نعيم والديلمى « ان الله حرم الجنة على كل مراء » . والديلمى « ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجدها من طلب الدنيا بعمل الآخرة » . والطبرانى « ان فى جهنم واديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادى فى كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك الوادى للمرائين من أمة محمد ﷺ لحامل كتاب الله تعالى وللمتصدق فى غير ذات الله وللحاج وللخارج فى سبيل غير الله » . وهو والبيهقى « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ثم أساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه » وابن ماجه « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر » . والديلمى « اياكم أن تخلطوا طاعة الله بحب ثناء العباد فتحبط أعمالكم » . ومسلم « قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه » . وسمويه « اذا كان يوم القيامة أتى بصحف مختمة تنصب بين يدى الله تعالى فيقول الله للملائكته : اقبلوا هذا والقوا هذا ، فتقول الملائكة وعزتك مارأينا فيها الاخيرا : فيقول نعم لكن كان لغيرى ولا أقبل اليوم الا ماابتغى به وجهى » . وأحمد ومسلم « ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه : أى الله نعمته فعرفها . قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جرىء أى شجاع ، فقد قيل ثم أمر به فيسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمته فعرفها . قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال كذبت : ولكنك تعلمت ليقال هو عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فيسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال فما عملت ؟ قال ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها لك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فيسحب على وجهه ثم ألقى فى النار » . والطبرانى والبيهقى « يؤمر بناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا الى قصورها والى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مارجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون . قال ذاك أردت منكم يا أشقياء كنتم اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم ، واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بأعمالكم خلاف ماتعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى ، وأجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى فاليوم أذيقكم العذاب مع ماحرمتم من الثواب . وروى الذهبى : سأل رجل رسول الله ﷺ . فقال : ما النجاة غدا ؟ قال ﷺ أن لا تخادع الله . قال وكيف نخادع الله ؟ قال أن تعمل بما أمرك الله ورسوله وتريد به غير وجه الله ، فاتقوا الرياء فانه الشرك بالله ، وان المرائى ينادى عليه يوم القيامة على رءوس الخلائق بأربعة أسماء يا كافر يافاجر ياغادر ياخاسر ضل عملك وبطل أجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن تعمل له يامخادع .

[تنبيهان : أحدهما] أن الرياء المذموم ارادة العامل بعبادته غير وجه الله تعالى كأن يقصد اطلاع الناس على عبادته حتى يحصل له نحو مال أوثناء ، وقد اختلف حجة الاسلام الغزالى وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام فيمن قصد بعمله الرياء والعبادة . فقال الغزالى : ان غلب باعث الدنيا فلاثواب له أو باعث الآخرة فالثواب له وان تساويا تساقطا فلاثواب أيضا . وقال ابن عبد السلام لاثواب مطلقا ورجحه الزركشى للأخبار الصحيحة كخبر «من عمل عملا أشرك فيه غيرى فأنا برىء منه هو للذى أشرك» . وثانيهما : أن العبد اذا عقد عبادته على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فان كان بعد تمام العمل لم يؤثر فيه ، لأنه تم على الاخلاص . فان تكلف اظهاره والتحدث به قصدا للرياء . قال الغزالى : فهذا مخوف ، وفى الآثار والأخبار مايدل على أنه يحبط العمل ، ثم قال الأقيس انه مثاب على عمله الذى انقضى ومعاقب على مراآته بطاعة الله ولو بعد فراغه منها .

وحكى أن رجلا أضاف سفيان الثورى وأصحابه . فقال : لأهله هاتوا الطبق لا الذى أتيت به فى الحجة الأولى ، بل فى الثانية . فقال سفيان الثورى هو مسكين أفسد بهذا حجتيه ، عافانا الله من الرياء . وورد أنه ﷺ قال لأبى بكر رضى الله عنه « الشرك أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شىء اذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره تقول : اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم تقولها ثلاث مرات » . وسئل بعض الأئمة من المخلص ؟ فقال الذى يكتم حسناته كما يكتم سيآته ، وسئل آخر ماغاية الاخلاص ؟ قال ان لا تحب محمدة الناس .

وحكى الشيخ شرف الدين يوسف فى مختصر الأحياء : أن من أخلص لله فى العمل وان لم يدر ظهرت آثار بركته عليه وعلى عقبه الى يوم القيامة ، كما قيل : لما أهبط آدم عليه السلام الى الأرض جاءته وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره فكان يدعو لكل جنس بما يليق به فجاءت طائفة من الظباء فدعا لهن ومسح على ظهورهن فظهر فيهن نوافج المسك ، فلما رأى بوقيها ذلك قلوا من أين هذا لكن ؟ فقلن زرنا صفى الله آدم فدعا لنا ومسح على ظهورنا ، فمضى الباقى اليه فدعا لهن ومسح على ظهورهن فلم يظهر لهن من ذلك شىء ، فقالوا قد فعلنا كما فعلتم فلم نرشيئا مما حصل لكم فقالوا أنتم كان عملكم لتنالوا كما نال اخوانكم وأولئك كان عملهم من غير شوب فظهر ذلك فى نسلهم وعقبهم الى يوم القيامة : اللهم ارزقنا الاخلاص واجعلنا من مخلصين .

باب الكبر والعجب

قال الله تعالى ـ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ـ . قال أبو حيان : علق حصول الدار الآخرة على مجرد عدم ارادة العلو فكيف بمن باشره ، وقال : ولافسادا بذكر لا ليدل على أن كلا منهما مقصود بمجرده . وعن على كرم الله وجهه «ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها» . ويحكى عن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأمانى . وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض . وأخرج مسلم وأبو داود عن رسول الله ﷺ « لايدخل النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من خردل من ايمان ولا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» .

وابن عساكر « إياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على أن لايسجد لآدم ، وإياكم والحرص فان آدم عليه السلام حمله الحرص على أن أكل من الشجرة ، وإياكم والحسد فان ابنى آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسدا فهو أصل كل خطيئة » . والنسائى والترمذى «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يسمى بولس يعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار ومن طينة الخبال » . وفى رواية « يسقون من طينة الخبال ، وهو عصارة أهل النار » . وأبو الشيخ « شرار أمتى المعجب بدينه المرائى بعمله ، المخاصم بحجته ، الرياء شرك » . وأبو نعيم « من حمد نفسه على عمل صالح فقد ضل شكره وحبط عمله » . وقال رسول الله ﷺ « إن فى النار توابيت يجعل فيها المتكبرون فيغلق عليهم » . وقال رسول الله ﷺ « من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » . وقال ﷺ « من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام » وقال أبو الدرداء « لايزال العبد يزداد من الله بعدا مامشى خلفه » وقال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام يوما للجن والانس والطير والبهائم : اخرجوا فخرج فى مائتى ألف من الأنس ومائتى ألف من الجن ، فرفع حتى سمع زجل الملائكة فى السموات ، ثم خفض حتى مست قدماه البحر ، فسمع صوتا : لوكان فى قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته . وسئل سليمان عليه السلام عن السيئة التى لاينفع معها حسنة ، فقال الكبر . وروى أن خليعا من بنى اسرائيل جلس إلى عابد ينتفع به فأنف من مجالسته وطرده فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أنه غفر للخليع وأحبط عمل العابد ، فالجاهل العاصى إذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا منه فقد أطاع ، فهو أطوع من العالم المتكبر والعابد المعجب . وقال الغزالى : كل من رأى نفسه خيرا من أحد من خلق الله فهو متكبر . وقال حمدون : من ظن أن نفسه خيرا من فرعون فقد أظهر الكبر ، أعاذنا الله من الكبر وحمانا من العجب .

خاتمة

فى ذم الخيلاء وفضل التواضع

أخرج البخارى « بينما رجل ممن كان قبلكم يجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل فى الأرض الى يوم القيامة » . وأحمد « من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان » . ومسلم « ان الله لاينظر الى من يجر ازاره بطرا لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر قيل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال ان الله جميل يحب الجمال » . وأخرج ابن أبى الدنيا « التواضع لايزيد العبد الارفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لايزيد العبد الاعزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لاتزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله عز وجل » . والترمذى والحاكم « من ترك اللباس تواضعا لله تعالى ، وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخير من أى حلل الايمان شاء يلبسها » . والبيهقى والخطيب « البذاذة والسلام برىء من الكبر » . وأبو نعيم « تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبار أهل الله وتخرجوا من الكبر » . والطبرانى « ان من التواضع لله تعالى

الرضا بالدون من شرف المجالس » . والبيهقي « ما استكبر من أكل معه خادمه وركب الحمار بالأسواق واعتقل الشاة فحلبها » . وهو « من حمل سلعته فقد برئ من الكبر » . وقال عروة ابن الزبير : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء ، فقلت يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا ، فقال لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فأحببت أن أكسرها ومضى بالقربة الى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها ، ورئى أبو هريرة ، وهو أمير المدينة على ظهره حزمة حطب ، وهو يقول طرقوا للأمير . وقيل لأبي يزيد : متى يكون الرجل متواضعا ؟ فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى أن فى الخلق من هو شر منه . وقال ابراهيم ابن شيبان : الشرف فى التواضع ، والعز فى التقوى ، والحرية فى القناعة .

وحكى بعضهم : رأيت عند الصفا رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان يعنفون الناس ، ثم رأيته ببغداد حافيا حاسرا طويل الشعر ، فقلت له ما فعل الله بك . قال ترفعت فى موضع يتواضع الناس فيه فوضعني حيث يترفع الناس ، اللهم ارزقنا التواضع وارفعنا به مكانا عليا .

باب الحقد والحسد

قال الله تعالى — أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله — . وأخرج ابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » والديلمي « الحسد يفسد الايمان كما يفسد [illegible] ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه » . والحاكم والديلمي « ان [illegible] والحسد فانهما يعدلان عند الله الشرك » . وأحمد والترمذي « دب اليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم » . وأخرج البيهقي « ان الله يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم عليه » . وابن زنجويه « تعرض أعمال بني آدم على الله كل يوم اثنين وخميس فيرحم الله المسترحمين ويغفر للمستغفرين ثم يذر أهل الحقد بحقدهم » . وورد « فعل المعروف يقي مصارع السوء » . ووعظ بعض الأئمة بعض الأمراء ، فقال إياك والكبر ، فانه أول ذنب عصى الله تعالى به ، ثم قرأ — واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس — وإياك والحرص ، فانه أخرج آدم من الجنة أسكنه الله جنة عرضها السموات والأرض [illegible] منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فحمله حرصه أن أكل منها فأخرجه الله من الجنة ، ثم قرأ — اهبطوا منها جميعا — الآية ، وإياك والحسد ، فانه حمل ابن آدم على أن قتل أخاه حين حسده ، ثم قرأ — واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين — وقيل : كان السبب فى قصتهما أن زوجة هابيل كانت أحسن من زوجة أخيه قابيل ، فحسده عليها حتى قتله .

وحكى أن بعض الصلحاء كان يجلس بجانب ملك [illegible] ويقول له : أحسن الى المحسن باحسانه ، فان المسيء سيكفيكه مساويه ، فحسده على قربه من الملك بعض [illegible] حتى

قتله فسعى به للملك ، فقال له انه يزعم أنك أبخر وأمارة ذلك أنك اذا قربت منـه يضع يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر ، فقال له انصرف حتى أنظر فخرج فدعا الرجل لمنزله وأطعمه ثوما فخرج الرجل من عنده وجاء للملك ، وقال مثل قوله السابق أحسن الى المحسن الى آخره كعادته ، فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منـه ريح الثوم ، فقال الملك فى نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق ، وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة أو صلة فكتب له بخطه لبعض عماله اذا أتاك صاحب كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الذى سعى به ، فقال : ماهذا الكتاب ، قال خط الملك لى بصلة ، فقال هبه لى ، فقال هو لك فأخذه ومضى الى العامل ، فقال العامل فى كتابك أن أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى أمرى حتى أراجع الملك ، قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ، ثم عاد الرجل الى الملك كعادته ، وقال مثل قوله فعجب الملك ، وقال مافعل الكتاب ؟ قال لقينى فلان واستوهبه منى فدفعته له ، فقال الملك انه ذكر لى أنك تزعم انى أبخر . قال ماقلت ذلك . قال فلم وضعت يدك على أنفك وفيك ، قال أطعمنى ثوما فكرهت أن تشمه ، قال صدقت ارجع الى مكانك فقد لقى المسىء اساءته . فتأملوا رحمكم الله شؤم الحسد وماجرّ اليه ، اللهم طهر قلوبنا من الحسد والحقد .

وحكى أبو نعيم عن يحيى الجمانى ، قال كنت فى مجلس سفيان بن عيينة فاجتمع عليه ألف انسان أو يزيدون أو ينقصون فالتفت فى آخر مجلسه الى رجل كان عن يمينه ، فقال قم حدث القوم حديث الحية ، فقال الرجل اسندونى فأسندناه وسالت جفون عينيه ، ثم قال ألا فاسمعوا وعوا ، حدثنى أبى عن جدى : ان رجلا كان يعرف بمحمد بن حمير وكان له ورع يصوم النهار ويقوم الليل فخرج ذات يوم يتصيد اذ عرضت له حية ، فقالت يامحمد بن حمير أجرنى أجارك الله ، فقال لها ممن ؟ قالت من عدوّ قد ظلمنى ، قال لها وأين عدوك ، قالت له من ورائى ، قال لها ومن أى أمة أنت ؟ قالت من أمة محمد صلى الله عليـه وسلم . قال ففتحت ردائى ، وقلت ادخلى فيه ، قالت يرانى عدوّى فشلت طمرى . فقلت ادخلى بين طمرى وبطنى . قالت يرانى عدوّى ، فقلت لها فما الذى أصنع بك ، قالت ان أردت اصطناع المعروف فافتح لى فاك حتى أنساب فيه ، قلت أخشى أن تقتلينى . قالت لا والله ماأقتلك الله شاهد علىّ بذلك وملائكته وأنبياؤه وحملة عرشه وسكان سمواته ان أنا قتلتك . قال محمد بن حمير ففتحت فىّ فانسابت فيـه ، ثم مضيت فعارضنى رجل معه صمصامة ، فقال لى يامحمد قلت وماتشاء . قال لقيت عدوّى ، قلت ومن عدوّك قال حية ، قلت اللهم لا واستغفرت ربى من قولى لا مائة مرة ، ثم مضيت قليلا فأخرجت رأسها من فىّ ، وقالت انظر مضى هـذا العدوّ فالتفت فلم أر أحدا قلت لم أر أحدا ان أردت ان تخرجى فاخرجى ، فقالت الآن يامحمد اختر واحدة من اثنتين : اما أن أفتت كبدك ، واما أن أثقب فؤادك فأدعك بلا روح ، فقلت سبحان الله أين العهد الذى عهدت اليمين الذى حلفت ماأسرع مانسيتيه ، قالت يامحمد لم نسيت العداوة التى كانت بينى وبين أبيك آدم حيث أخرجته من الجنة ، على أى شىء أردت اصطناع المعروف مع غير أهله . قلت لها ولابد أن تقتلينى ، قالت لابدّ من ذلك قلت فأمهلينى حتى أصير الى تحت هذا الجبل فأمهد لنفسى موضعا ، قالت شأنك ، قال محمد

فمضيت أريد الجبل ، وقد أيست من الحياة فرفعت طرفى الى السماء ، وقلت يالطيف يالطيف الطف بى بلطفك الخفى يالطيف بالقدرة التى استويت بها على العرش فلم يعرف العرش أين مستقرك منه الا كفيتنى هذه الحية ، ثم مضيت فعرضنى رجل طيب الرائحة نقىّ البدن ، قال لى سلام عليك . فقلت وعليك السلام يا أخى ، قال مالى أراك تغير لونك ، قلت من عدوّ قد ظلمنى ، قال وأين عدوّك ، قلت فى جوفى ، قال لى افتح فاك ففتحت فى فوضع فيه مثل ورقة زيتونة خضراء ، ثم قال امضغ وابلع فمضغت وبلعت فلم ألبث يسيرا الامغص بطنى ودارت فى بطنى فرميت بها من أسفل قطعة قطعة فتعلقت بالرجل ، فقلت له من أنت الذى منّ الله علىّ بك فضحك ، ثم قال ألا تعرفنى قلت اللهم لا ، قال يامحمد بن جبير انه لما كان بينك وبين الحية ما كان ودعوت بذلك الدعاء ضجت ملائكة السموات السبع الى الله عز وجل ، فقال : وعزتى وجلالى رأيت بعينى كل مافعلت الحية بعبدى وأمرنى الله سبحانه وتعالى بالنزول اليك ، وأنا يقال لى المعروف مستقرى فى السماء الرابعة أن انطلق الى الجنة وخذ ورقة خضراء وألحق بها عبدى محمد بن جبير يامحمد عليك باصطناع المعروف فان صنع المعروف يقى مصارع السوء وانه وان ضيعه المصطنع اليه لم يضع عند الله عز وجل .

باب الغضب

أخرج البيهقى وابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه « قال يامعاوية إياك والغضب فان الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل » . والخرائطى «اياكم والبغضاء فانها الحالقة » وابن شاهين « يقول الله : ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أمحقك فيمن أمحق» والحاكم « ان الغضب ميسم من نار جهنم يضعه الله على نياط أحدكم ألا ترى أنه اذا غضب احمرّت عينه واربدّ وجهه وانتفخت أوداجه » . والترمذى « للنار باب لايدخله الا من شفى غيظه بسخط الله » . والطبرانى « من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه » . وأحمد وأبو داود « ان الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما يطفأ بالماء النار . فاذا غضب أحدكم فليتوضأ» والطبرانى « لو يقول أحدهم إذا غضب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه غيظه » . وروى أن بعض الصحابة حمله الغضب على أن ارتدّ عن الاسلام ومات كافرا فتأمل شر الغضب ومايحمل عليه والعياذ بالله . وعن وهب بن منبه : أن راهبا فى صومعته أراد الشيطان أن يضله فعجز عنه فناداه ليفتح له ، فسكت . فقال ان ذهبت ندمت ، فسكت . فقال أنا المسيح فأجابه وقال : ان كنت المسيح فما أصنع بك ألست قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة ، فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك فأخبره أنه شيطان جاء ليضله فلم يستطع ، ثم قال له سلنى عما شئت أخبرك قال ما أريد أن أسألك عن شيء فولى الشيطان مدبرا فقال له الراهب ألا تسمعنى قال بلى قال أخبرنى أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم ؟ . قال الحدة ان الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة أعاذنا الله من شر الشيطان وشركه .

خاتمة فى فضل كظم الغيظ والعفو

أخرج أبو داود وابن أبى الدنيا « من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا

وإيمانا » . وابن عساكر « وجبت محبة الله على من أغضب فحلم » . وابن السني « ما أضيف شيء الى شيء أفضل من حلم إلى علم » . وابن شاهين « ما أعز الله بجهل قط وما أذل الله بحلم قط ولا نقصت صدقة شيئا من مال قط » . والترمذي « ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار ؟ قلنا بلى يارسول الله . قال تحرم على كل قريب هين لين سهل » . والخطيب « الحليم سيد فى الدنيا وسيد فى الآخرة كاد الحليم أن يكون نبيا » . وقال أنس « كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجذبه بردائه جذبة شديدة فنظرت الى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : يامحمد مر لى من مال الله الذي عندك فالتفت وضحك ، ثم أمر له بعطاء » .

وحكى اليافعي : أن الشيخ أبا عثمان الحيرى اجتاز بسكة وقت الهاجرة فألقى عليه رماد من سطح ، فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم فى الملقى . فقال أبو عثمان : لاتقولوا شيئا من استحق أن تصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب .

وحكى أيضا : أنه كان لبعض النساك شاة فرآها على ثلاث قوائم قال من فعل هذا بها ؟ فقال غلام له أنا . فقال لم ؟ قال لأغمك بها . فقال لا بل لأغمن من أمرك بها اذهب فأنت حر .

وحكى ايضا أنه قيل للاحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ . فقال من قيس بن عاصم المنقري . قيل وما بلغ ذلك من حلمه . قال : بينما هو جالس فى داره اذ جاءت خادمة له بشواء فسقط من يدها على ابن له فمات فدهشت الجارية . فقال لاروع عليك أنت حرة لوجه الله .

نسأل الله الكريم أن يطهر قلوبنا من الذنوب الباطنة ، ويرزقنا الأخلاق الحسنة آمين .

باب الغيبة

قال الله تعالى ـ يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولاتجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم ـ أخرج البيهقي والطبرانى وأبو الشيخ وابن أبي الدنيا عن جابر وأبي سعيد قالا : قال رسول الله ﷺ « إياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا . قيل له كيف ؟ قال : ان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه » . وأبو يعلى « أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ـ » . ومسلم وأبو داود « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال: ذكرك أخاك بما يكره ؟ قيل أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول . قال : ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته » . وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت « قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا : تعني قصرها قال : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » أى لأنتنته وغيرت ريحه . وابن أبي الدنيا عن سمية قالت « قالت لامرأة مرة وأنا عند رسول الله ﷺ ان هذه الطويلة الذيل . فقال القظى القظى : أى ارمى ما فى فيك فلفظت مضغة » أى قطعة من لحم . وأبو الشيخ « من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه يوم القيامة .

فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويكلح ويضج » . وابن أبي الدنيا « من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أذله الله في الدنيا والآخرة » . وأحمد عن جابر بن عبد الله قال « كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح منتنة فقال ﷺ : أتدرون ما هذه الريح هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين » . وهو عن ابن عباس قال « ليلة أسرى بنبيّ الله صلى الله عليه وسلم نظر في النار فاذا قوم يأكلون الجيف . فقال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس » . وقال الحسن : والله للغيبة أسرع فسادا في دين المؤمنين من الأكلة في الجسد. قال ابن عباس « اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك » . وقيل « يؤتى العبد يوم القيامة كتابه ولا يرى فيه حسنة فيقول أين صلاتي وصيامي وطاعتي ؟ فيقال ذهب عملك كله باغتيابك الناس » وقيل للحسن البصري : ان فلانا اغتابك ، فبعث إليه طبق حلوى وقال : بلغني أنك أهديت الىّ حسناتك فكافأتك .

وحكى القشيري عن أبي جعفر البلخي قال : انه كان عندنا شاب من أهل بلخ وكان يجتهد ويتعبد الا أنه كان يغتاب الناس ويقول فلان كذا وكذا فرأيته يوما عند المخنثين الغسالين ، فخرج من عندهم . فقلت يافلان ماحالك فقال تلك الوقيعة في الناس أوقعتني الى هذا ابتليت بمخنث من هؤلاء وأنا هو ذا أخدمهم من أجله وتلك الأحوال كلها قد ذهبت عني فادع الله لي لعل الله يرحمني .

وحكى اليافعي عن الجنيد أنه قال : كنت جالسا في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلي عليها فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس . فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه عن المسألة كان أجمل به ، فلما انصرفت الى منزلي وكان لي شيء من الأوراد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك ثقل عليّ جميع أورادي فسهرت وأنا قاعد فغلبني النوم فرأيت ذلك الفقير حتى جيء به على خوان كالشاة المشوية وقيل لي كل لحمه فقد اغتبته وكشف لي الحال فقلت ما اغتبته وانما قلت في نفسي شيئا ، فقيل لي ما أنت ممن يرضى منك بمثل هذا اذهب واستحل منه ، فلما أصبحت لم أزل في طلبه حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء عند تردده أوراق من البقل مما تساقط من غسل البقل ، فسلمت عليه فرد عليّ وقال تعود يا أبا القاسم ؟ قلت لا قال اذهب غفر الله لنا ولك .

[تنبيه] : ان الغيبة حرام اجماعا ، بل قال كثيرون انها كبيرة ، وقد نقل القرطبي المفسر وغيره الاجماع على أنها من الكبائر لما فيها من الوعيد الشديد ، لكن حمله بعضهم على غيبة أهل العلم وحملة القرآن وكذا استماعها والسكوت عليها مع القدرة على دفعها .

واعلم أن حد الغيبة المحرمة أن تذكر ولو بنحو اشارة وكتابة حتى باعمس غيرك غائب المحصور المعين للسامع حيا كان أو ميتا بما يكره عرفا أن يذكر به مما هو فيه بحضرته أو غيبته ، ويجب على من اغتاب أن يبادر الى التوبة بشروطها فيقلع ويندم ويستغفر للمغتاب ان لم يعلم به والا استحله منها ، فان تعذر لموته أو تعسر لغيبته استغفر الله له ولنفسه ولا يكفي تحليل وارثه .

باب النميمة

قال الله تعالى ـ ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم ـ . أخرج الشيخان عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة نمام » . والطبرانى « ليس منى ذوحسد ولانميمة ولا كهانة ولا أنامنه » . وأحمد «خيارأمتى الذين اذا رءوا ذكر الله وشرار أمتى المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون البرآء العيب » . وابن حبان فى صحيحه «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى . قال اصلاح ذات البين فان افساد ذات البين هى الحالقة» وصححه الترمذى ، ثم قال : ويروى عن النبى ﷺ « هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين » . وروى كعب «أنه أصاب بنى اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه الصلاة والسلام مرات فما أجيب فأوحى الله اليه انى لا أستجيب لك ولالمن معك وفيكم نمام قد أصرّ على النميمة . فقال : من هو حتى نخرجه من بيننا ؟ . فقال : ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا بأجمعهم فسقوا » . وقال عبدالله بن المبارك : ان ولد الزنا لا يكتم الحديث فعدم كتمه المستلزم للمشى بالنميمة دليل على أن فاعل ذلك ولد الزنا . وقيل: عمل النمام أضرّ من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة .

وحكى أنه نودى على بيع عبد ليس فيه عيب الا أنه نمام فاشتراه من استخف هذا العيب فلم يمكث عنده أياما حتى نمّ لزوجته أنه يريد التزوّج بغيرك أوالتسرى وأمرها أن تتخذ الموسى وتحلق بها شعرات من حلقه ليسحر بها فصدّقته وعزمت على ذلك فجاء اليه ونمّ له عنها أنها اتخذت له موسى وتريد ذبحك الليلة فتناوم لترى ذلك فصدّقه فتناوم فجاءت لتحلق . فقال صدق الغلام ، فلما أهوت الى حلقه أخذ الموسى منها وذبحها فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك النمام .

وحكى أيضا : أن رجلا ماتت أخته ، فلما دفنت سقط من جيبه فى قبرها ذهب كان معه فرجع ليلا ونبش القبر فوجده ممتلئا نارا فرجع الى أمه . فقال لها أخبرينى ما كانت تفعل أختى من المنكر . فقالت له لا أعرف منكرا الا أنها كانت تخرج ليلا فتستمع على أبواب الجيران مايقولون وتنمّ به فيقع بذلك بينهم فتنة . فقال : هو ذلك وأخبرها بالحال ، عافانا الله من ذلك بمنه

[تنبيه] قال الحافظ المنذرى اجمعت الأئمة على تحريم النميمة وأنها من أعظم الذنوب عندالله عزوجل ، وقد اتفق العلماء على أنها من الكبائر ، وهى نقل كلام بعض الناس الى بعض على وجه الافساد بينهم ، أما نقل الكلام نصيحة للمقول اليه فواجب .

خاتمة فى ذم النميمة

أخرج الشيخان «تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» . والطبرانى « ذو الوجهين فى الدنيا يأتى يوم القيامة وله وجهان من نار » . وهو والاصبهانى « من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار» . وقال الغزالى : ذو اللسانين من يتردّد بين متعادين ويكلم كلا بما يوافقه وقلّ من يتردّد بين متعادين الاوهو بهذه الصفة ؛ وهذا عين

النفاق والعياذ بالخلاق .

باب الكذب

قال الله تعالى ـ فنجعل لعنة الله على الكاذبين ـ وأخرج أحمد والشيخان والأربعة وغيرهم عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة صحيحة بلغت التواتر : قالوا «قال رسول ﷺ من كذب علىّ متعمدا فليتبوّأ مقعده من النار» . والشيخان « عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة ومازال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار ومازال العبد يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » . وهما «أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر » . وأحمد وأبو الشيخ « إياكم والكذب فان الكذب مجانب للإيمان » . والترمذى وأبونعيم « اذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلا من نتن ماجاء به» والحاكم « كفى بالمرء من الكذب أن يحدث بكل ماسمع وكفى بالمرء من الشح أن يقول : آخذ حق لا أترك منه شيئا » . وأحمد وأبو داود « ويل للذى يحدّث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له » . وأحمد « خمس ليس لهنّ كفارة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق و بهت المؤمن والفرار من الزحف ويمين صابرة يقتطع بها مالا بغير حق » . والبخارى «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ، ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صبّ فى أذنيه الآنك يوم القيامة » . وأحمد وابن أبى الدنيا « من قال لصبى تعال هاك ثم لم يعطه فهى كذبة » . وابن حبان عن عائشة رضى الله عنها . قالت « ما كان من خلق أبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ماطلع على أحد من ذلك بشىء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه أحدث توبة» .

وحكى اليافعى عن الشيخ أبى عبد الله محمد بن مقاتل . قال : كنت عند الشيخ عبد القادر رحمه الله ونفعنا به ، فسأله سائل علام بنيت أمرك ، قال على الصدق وما كذبت قط . قال رضى الله عنه : كنت صغيرا فى بلادنا فخرجت فى يوم عرفة وتبعت بقر حراثة فالتفتت الىّ بقرة وقالت ياعبد القادر : مالهذا خلقت ولا بهذا أمرت فرجعت فزعا الى دارنا وصعدت سطح الدار فرأيت الناس واقفين بعرفات فجئت الى أمى ، فقلت لها هبينى لله عزّ وجل وائذنى لى فى المسير الى بغداد أشتغل بالعلم وأزور الصالحين فسألتنى عن سبب ذلك فأخبرتها بخبرى فبكت أمى وقامت الى ثمانين دينارا أورثها أبى فتركت لأخى أربعين دينارا وخاطت فى دلقى تحت ابطى أربعين دينارا وأذنت لى بالمسير وعاهدتنى على الصدق فى كل أحوالى وخرجت ودّعت ، وقالت يا ولدى اذهب قد أودعتك الله عزّ وجل فهذا وجه لاأراه الى يوم القيامة وسرت مع قافلة صغيرة تطلب بغداد ، فلما تجاوزنا همدان وكنا بأرض كذا وكذا : ببلاد سماها خرج علينا ستون فارسا فأخذوا القافلة ولم يتعرض لى أحدهم فاجتاز بى أحدهم وقال لى يافقير مامعك . فقلت له أربعون دينارا . فقال وأين هى قلت مخاطة فى دلقى تحت ابطى وظن أنى استهزأت به فتركنى وانصرف ومرّبى آخر وقال مثل ماقال الأوّل فأجبته بجواب الاوّل وتركنى وانصرف وتوافيا عند مقدمهم فأخبراه بما

سمعاه مني . فقال عليّ به فأتي بي اليه ، واذا هم على تل يقسمون أموال القافلة . فقال لي ما معك فقلت له أربعون دينارا فقال وأين هي فقلت مخاطة في دلقي تحت ابطي فأمر بدلقي ففتح فوجد فيه الأربعين دينارا . فقال لي ما حملك على الاعتراف ، قلت ان أمي عاهدتني على الصدق وأنا لا أخون عهدها فبكى المقدم ، وقال أنت لم تخن عهد أمك ، وأنا في كذا وكذا سنة أخون عهد ربي فتاب على يدي . فقال : أصحابه له أنت كنت مقدمنا في قطع الطريق ، وأنت الآن مقدمنا في التوبة فتابوا كلهم على يدي وردوا على القافلة ما أخذوا منهم فهو أول من تاب على يدي ، نفعنا الله ببركته وحشرنا في زمرته .

[تنبيه] الكذب عند أهل السنة هو الاخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء أعلم ذلك وتعمده أم لا ، وأما العلم والتعمد فانما هما شرطان للاثم .

واعلم أنه قد يباح وقد يجب . فالضابط أن كل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان أمكن التوصل اليه بالكذب وحده فمباح ان أبيح تحصيل ذلك المقصود وواجب ان وجب تحصيل ذلك كما لو رأى معصوما اختفى من ظالم يريد قتله أو ايذاءه فالكذب هنا واجب لوجوب عصمة دم المعصوم وكذا لو سأله ظالم عن وديعة يريد أخذها فيجب انكارها وان كذب ، بل واستحلف جاز له الحلف ويورّي وإلا حنث ولزمه الكفارة قيل يلزم الحلف ومهما كان لا يتم مقصود حرب أو اصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه أو ارضاء زوجته الا بالكذب فيه فمباح ولو سأله السلطان عن فاحشة وقعت منه سرا كزنا أو شرب خمر فله أن يكذب ويقول ما فعلت ذلك وله أن ينكر أيضا سر أخيه . وحيث جاز الكذب فهل يشترط التورية او يجوز مطلقا ؟ قال شيخنا ابن حجر الذي ينبغي عدم وجوب التورية مطلقا . قال الغزالي ، الأحسن أن يورّي ، وهي أن يطلق لفظا وهو ظاهر في معنى ، وهو يريد معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ كما قال النخعي : اذا بلغ انسانا عنك شيء قلته فقل الله يعلم ما قلت من ذلك من شيء فيفهم السامع النفي ، ومقصوده بما أنه يعلم الذي . وهو مباح ان دعت اليه حاجة الا فمكروه وحرام ان توصل به الى باطل ودفع حق . قال الشافعي رضي الله عنه ومن الكذب الخفي أن يروي الانسان خبرا عمن لا يعرف صدقه من كذبه ، حشرنا الله في زمرة الصديقين ، وأوليائه المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله تعالى — والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر — قال الغزالي : أفهمت الآية أن من هجرهما خرج عن المؤمنين . وقال القرطبي : جعلهما الله فرقا بين المؤمنين والمنافقين . وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » . وفي خبر « الاسلام ثمانية أسهم : الاسلام : أي الشهادتان سهم ، والصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم ، وحج البيت سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهي عن المنكر سهم ، والجهاد في سبيل الله سهم ، وقد خاب من لا سهم له »

والأصبهانى « لاتزال لاإله الا الله تنفع من قالها ، وترد عنهم العذاب والنقمة مالم يستخفوا بحقها قالوا يارسول الله : وما الاستخفاف بحقها ؟ قال : يظهر العمل بمعاصى اللهفلاينكرولايغير » وهو أيضا « أيها الناس : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروه فلايغفر لكم ، ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لايدفع رزقا ولايقرب أجلا ، والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء » وأبوداود والترمذى « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » . ورزين « إن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهولايعرفه فيقول له مالك الى ومابينى وبينك معرفة فيقول كنت ترانى على الخطأ والمنكر ولاتنهانى » . والشيخان « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون يافلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكروآتيه » . والبيهقى « أوحى الله عزوجل الى جبريل عليه السلام : أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها . فقال : يارب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين . قال : فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر فى ساعة قط » .

[تنبيه] اعلم أن الأمر بواجبات الشرع والنهى عن محرماته واجب على كل مكلف من حر وقن ذكر وأنثى ولوغيره مسرع لقوت وجوبه كفاية ، وقد يكون فرض عين كأن كان بمحل لايعلمه غيره أولايقدر عليه غيره ، وانه ينكر باليد ، ثم ان عجز فبا لسان ؛ فلوقدر واحد باليد وآخر باللسان تعين على الأول الا أن يكون الرجوع لذى اللسان أقرب أوأنه يرجع له ظاهرا وباطنا ولا يرجع لذى اليد الاظاهرا فقط ، فيتعين على ذى اللسان فعليه أن يغيره بكل وجه أمكنه ولا يكفى الوعظ ممن أمكنه ازالته باليد ولا كراهة القلب لمن قدر على النهى باللسان فان عجز عن الانكار باللسان أولم يقدر وقدر على التعبيس والهجر والنظر شزرا لزمه ذلك ، ولا يكفيه انكار القلب ولا يسقط الانكار بالقلب عن مكلف أصلا اذ هوكراهة المعصية وهو واجب على كل مكلف ، بل ذهب جماعة منهم أحمد بن حنبل أن ترك الانكار بالقلب كفر والعياذ بالله ؛ اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين وأوليائك المقربين — الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون — آمين يارب العالمين .

باب الكسب

أخرج أحمد والطبرانى عن أبى بردة بن نيار . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الكسب بيع مبرور وعمل الرجل بيده » . والبيهقى عن معاذ « ان أطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا ، واذا ائتمنوا لم يخونوا ، واذا وعدوا لم يخلفوا ، واذا اشتروا لم يذموا ، واذا باعوا لم يطروا ، واذا كان عليهم لم يمطلوا ، واذا كان لهم لم يعسروا » . وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر « التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة » . والأصبهانى والديلمى عن أنس « التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة » . وسعيد بن منصور عن

نعيم بن عبدالرحمن مرسلا « تسعة أعشار الرزق فى التجارة ، والعشر فى المواشى » . والطبرانى عن ابن عمر « لوأذن الله تعالى فى التجارة لأهل الجنة لاتجروا فى البزوالعطر » . والخطيب عن أبى هريرة « عليك بالبزفان صاحب البز يعجبه أن يكون الناس بخير وفى خصب » وابنا ماجه وحبان « يامعشر التجار ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الا من اتقى الله وبرّ وصدق » . والطبرانى عن ابن عباس « من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له » . وأحمد والبخارى عن المقداد « ماأكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده » . وأحمد وابن ماجه عن عقبة ابن المنذر « ان موسى عليه السلام آجر نفسه ثمان سنين أو عشرا على عفة فرجه وطعام بطنه » . والخطيب وابن عساكر عن سهل بن سعد « عمل الأبرار من الرجال الخياطة ، وعمل الأبرار من النساء المغزل » . وأحمد وابن ماجه عن عائشة « اذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغيرله » .

[خاتمة] أخرج الطبرانى عن المقدام « اذا كان فى آخر الزمان لابدّ للناس فيها من الدراهم والدنانير يقيم الرجل بها دينه ودنياه » . وابن عساكر عن أنس « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا ، فان الدنيا بلاغ الى الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس » .

[تنبيه] أفضل المكاسب التجارة . وقال بعض المحققين : أفضلها الزراعة ، ثم الصناعة ، ثم التجارة .

فصل فى أركان البيع

أركان البيع : عاقدان ومعقود عليه وصيغة وشرط فيها لفظ يدل على الايجاب والقبول كبعتك وملكتك ، وهو لك وهبتك بكذا وكاشتريت هذا وتملكت ورضيت وقبلت بكذا بلاتخلل فصل طويل بينهما ولا كلام أجنبى ، وان قل ؛ وينعقد بالكتابة كخذه وجعلته لك بكذا لا بمعاطاة لكن اختار النووى كجمع متقدمين الانعقاد بكل ما يعده الناس بيعا عرفا ، وفى العاقدين تكليف واختيار وإسلام من يشترى له ما كتب فيه قرآن ولو آية ، وان أثبتت لغير الدراسة أو كتب علم شرعى أورقيق مسلم أومرتد وعدم حرابة من يشترى له آلة حرب كترس ودرع وخيل ؛ وفى المعقود عليه طهارته فبيع نجس العين باطل . وان أمكن طهره بالاستحالة ، وكذا متنجس لايطهر بالغسل ، ويجوز نحو المعافة بالمتنجس أواقتناء الكلب لنحو حراسة وتربية الزرع بنجس ، والنفع فيبطل بيع مالا ينفع كحبتى نحو حنطة أوزبيب ويحرم أخذ حبة وخلال من حق غيره ويجب ردهما وكنز مستحيل ولا يصح بيع السم إلا ان نفع قليله كالافيون ، والولاية على المعقود عليه بملك أوغيره فيبطل بيع الرهن عنده فضوليا ، وان أجازه المالك وقدرة تسليم المبيع فلايصح بيع مغصوب لغير قادر على انتزاعه ولا آبق وضال ، وان عرف مكانه ولا بيع السمك فى بركة واسعة بحيث يحتاج أخذه منها الى كثير كلفة والعلم به فبيع أحد نحو الثوبين باطل ورؤية المتعاقدين ما قد عاين عينه فبيع مالم يره أحدهما واشتراؤه باطل ، وان بالغ فى وصفه . وكذا رهنه واجارته وهبته .

فصل فى الربا

قال الله تعالى ــ الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ــ وقال تعالى ــ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ــ : أى فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا فيجب على حكام الشريعة اذا علموا من شخص تعاطى الربا أن يعزّروه بالحبس وغيره إلاأن يتوب فان كانت له شوكة ولم يقدروا عليه الا بنصب حرب نصبوا آلة الحرب والقتال كما قاتل أبو بكر رضى الله عنه مانعى الزكاة ، وأما فى الآخرة فلا يعلم أنواع عذابهم الا الملك المنتقم .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا السبع الموبقات : قالوا يارسول الله وماهن ؟ قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الابالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » . وأحمد بسند صحيح والطبرانى عن عبد الله بن حنظلة « درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية » . وابن أبى الدنيا والبيهقى عن رجل من الصحابة قال « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال : ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ستة وثلاثين زنية يزنيها الرجل » . والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين والبيهقى « الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه » . والطبرانى « اياكم والذنوب التى لاتغفر الغلول فمن غلّ شيئا أتى به يوم القيامة ، وأكل الربا : فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط : ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ الذين يأكلون الربا الى المس ــ » . والاصبهانى عن أبى سعيد الخدرى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما أسرى بى مررت بقوم بطونهم بين أيديهم كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة : أى طريق آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا . قال فيقبلون مثل الابل المنهومة لايسمعون ولايعقلون ، واذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة . قال صلى الله عليه وسلم فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون الربا » . وفى رواية « بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم » . ومسلم عن جابر « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال وهم سواء » . وروى أحمد عن كعب الأحبار أنه قال « لأن أزنى ثلاثة وثلاثين زنية أحب الىّ من أن آكل درهما ربا » . وقال ابن عباس « انه لايقبل من آكل الربا صدقة ولاجهاد ولاحج ولاصلة » . وقال أيضا « من عاد بالربا يستتيب فان تاب والاضرب عنقه » . وأخبرنا شيخنا ابن حجر نفعنا الله به أنه كان فى صغره يتعاهد قبر والده للقراءة عليه فخرج يوما بعد

صلاة الصبح بغلس فى رمضان ، وقال أظن أن ذلك كان فى العشر الأخير بل فى ليلة القدر ، فلما جلس على قبره وقرأ شيئا من القرآن ولم يكن فى المقبرة أحد غيره ، فاذا هو سمع التأوه العظيم والأنين الفظيع بآه آه آه ، وهكذا بصوت أزعجه من قبر مبنى بالنورة والجص له بياض عظيم فقطع القراءة واستمع فسمع صوت ذلك العذاب من داخله ، وذلك الرجل المعذب يتأوه تأوها عظيما بحيث يقلق سماعه القلب و يفزعه فاستمع اليه زمنا ، فلما وقع الاسفار خفى حسه عنه فمر به انسان ، فقال له الشيخ هذا قبر من ؟ فقال هذا قبر فلان أدركه الشيخ وهو صغير وكان ارجل المعذب على غاية من ملازمة المسجد والصلاة فى أوقاتها والصمت عن الكلام ، وهذا كله شاهده وعرفه منه فكبر على الشيخ الأمر جدا لما علمه من الأحوال التى كان ذلك الرجل متلبسا بها فى الظاهر فسأل واستقصى الذين يطلعون على حقيقة أحواله فاخبروه أنه كان يأكل الربا فانه كان تاجرا ، ثم كبر و بقى معه شئ من الحطام فلم ترض نفسه الظالمة الخبيثة أن تأكل من جنبه حتى يأتيه الموت ، بل سوّل له الشيطان المعاملة بالربا حتى لاينقص ماله فأوقعه فى ذلك العذاب الأليم حتى فى رمضان حتى فى ليلة القدر . اتركوا عباد الله الربا الذى قال فيه نبيكم صلى الله عليه وسلم انه كالزنا بأمه وانه كستة وثلاثين زنية ، وإن آكله لايغفر له ، ولاتقتدوا بالأشقياء المغرورين فانهم غدا يعلمون مايحل بهم من أنواع العذاب الأليم بشئ فان يسير » ، اللهم اغفر لنا ماقدمنا وما أخرنا وماأسررنا وما أعلنا واهدنا الى الصراط المستقيم آمين .

[تنبيه] ان الربا حرام اجماعا وهو من الكبائر المهلكة وكفر مستحله ، واعلم انه انما يجرى فى نقد وماقصد لطعم ، فان بيع ربوى بجنسه شرط مماثلة وحلول وتقابض قبل التفرق أو بغير جنسه واتحدا علة شرط الأخيران . وقال أبو القاسم بن عبد بن الورّاق رأيت عبد الله بن أبى أوفى فى سوق الصيارفة ، فقال يامعشر الصيارفة أبشروا ، قالوا بشرك الله بالجنة بم تبشرنا ياأبا محمد قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصيارفة ، أبشروا بالنار » . وفى قرض شيء بشرط جرّ نفع للمقرض فهذا هو المشهور الآن بين الناس واقع كثيرا . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا أقرض أحدكم أخاه قرضا فأهدى اليه طبقا فلايقبل أوحمله على دابته فلا يركبها إلا أن يكون جرى بينه و بينه قبل ذلك » رواه ابن ماجه والبيهقى .

وحكى أنه كان لأبى حنيفة على يهودى مال كثير قرضا وأخذ يوما شيئا من طين جدار اليهودى وترب به ورقة ناسيا دينه عليه ، فلما تذكره أبرأه عن جميع ذلك المال حذرا من أن يكون ذلك ربا ، ومن الحيلة فى الربا وغيره حرام عند مالك وأحمد بن حنبل ، وقال بعضهم : ورد أن أكلة الربا يحشرون فى صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على اصطياد الحيتان التى نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت فحفروا لها حياضا تقع فيها يوم السبت حتى يأخذوها يوم الأحد . فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير ، وهكذا الذين يتحيلون على الربا أنواع الحيل ، فان الله تعالى لايخفى عليه حيل المحتالين والمخادعين .

فصل فى الاحتكار والتفريق بين الوالدة وولدها

أخرج أحمد والحاكم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطئ : أى آثم وقد برئت منه ذمة الله ورسوله » . وهما « من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » . وابن عساكر « من احتكر طعاما على أمتى أربعين يوما وتصدق به لم يقبل منه » . والطبرانى « بئس العبد المحتكر ان أرخص الله الأسعار حزن ، وان أغلاها فرح » . والحاكم « من دخل فى شىء من أسعار المسلمين يغلى عليهم كان حقا على الله أن يقذفه فى جهنم رأسه أسفله » . والاصبهانى « ان طعاما ألقى على باب المسجد فخرج عمر رضى الله عنه ، وهو أمير المؤمنين يومئذ ، فقال ماهذا الطعام ؟ . فقالوا طعام جلب الينا أوعلينا ، فقال له بعض الذين معه ياأمير المؤمنين قد احتكر . قال ومن احتكره ، قالوا احتكره فروخ وفلان مولى عمر بن الخطاب . فأرسل اليهما فأتياه ، فقال ماحملكما على احتكار طعام المسلمين ، فقالوا ياأمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع ، فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس ، فقال عند ذلك فروخ ياأمير المؤمنين ، فانى أعاهد الله وأعاهدك على أن لاأعود فى احتكار طعام أبدا فتحول الى ر مصر . وأما مولى عمر فقال نشترى بأموالنا ونبيع فزعم أبو يحيى أحد رواته انه رأى مولى عمر مجذوما مشدوخا » . وأخرج أحمد والترمذى عن أبى أيوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فرق بين الوالدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة » . وابن ماجه « لعن الله من فرق بين الوالدة وولدها وبين الأخ وأخته » .

[تنبيهان : أحدهما] ان الاحتكار المحرّم هو أن يمسك مااشتراه فى الغلاء لاالرخص من الأقوات ولوتمرا وزبيبا بقصد أن يبيعه بأغلى ممااشتراه عند اشتداد الحاجة اليه ، وألحق الغزالى بالقوت كل مايعين عليه كاللحم والفواكه وصرح القاضى بكراهة الاحتكار فى الثياب . وثانيهما أن التفريق بين الوالدة وولدها الغير المميز لسفر أوجنون بنحو بيع لغير من يعتق عليه حرام ، وان رضيت الأم الابالعتق والوقف ويبطل ذلك التصرف ، والأب والجد والجدة وان بعد كالأم عند فقدها ويحرم التفريق أيضا بالسفر بين الأمة وولدها الغير المميز وبين الزوجة وولدها بخلاف المطلقة ويحرم بيع ولد البهيمة مالم يستغن عن اللبن أولم يقصد الذبح وبطل ، وبحث السبكى حرمة ذبح أمه مع بقائه ويحرم بيع نحو العنب ممن علم أوظن أنه يتخذه مسكرا للشرب والحشيشة ممن يعلم أنه يستعملها والأمرد ممن عرف بالفجور به ولوباستفاضة والديك للمهارشة والكبش للمناطحة وكل مايؤدى الى معصية ولوظنا .

فصل فى الغش فى البيع وغيره

أخرج مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا » . وهو والترمذى عنه « أنه صلى الله عليه وسلم مر على صبرة

طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا ، فقال ماهذا ياصاحب الطعام . قال أصابته السماء : أى المطر يارسول الله . قال أفلا تجعله فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا » .
وابن ماجه « من باع عيبا لم يبينه لم يزل فى مقت الله ولم تزل الملائكة تلعنه » والبيهقى والأصبهانى عن أبى هريرة موقوفا عليه « أنه مر بناحية الحرة ، فاذا بانسان يحمل لبنا يبيعه فنظر اليه أبو هريرة ، فاذا هو قد خلطه بالماء ، فقال له أبو هريرة كيف تكون اذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن ؟ » . وحكى الغزالى فى الاحياء أن شخصا كانت له بقرة يحلبها ويخلط فى لبنها ماء ويبيع فجاء سيل فغرق البقرة ، فقال بعض أولاده ان تلك المياه المتفرقة التى صببناها فى اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة .

وحكى شقيق البلخى : أنه كان لأبى حنيفة شريك فى التجارة يقال له بشر فخرج بشر فى تجارته بمصر فبعث اليه أبو حنيفة سبعين ثوبا من ثياب خز فكتب اليه ان فى الثياب ثوب خز معيبا بعلامة كذا ، فاذا بعته فبين للمشترى العيب ، قال فباع بشر الثياب كلها ورجع الى الكوفة ، فقال أبو حنيفة هل بينت ذلك العيب الذى فى الثوب الخز ، فقال بشر نسيت ذلك العيب ، قال فتصدق أبو حنيفة بجميع ماأصابه من تلك التجارة الأصل و الفرع جميعا ، قال وكان نصيبه من ذلك ألف درهم ، وقال مال قد دخلت فيه الشبهة فلاحاجة لى به .

[تنبيه] ضابط الغش المحرم أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع أومشتر فيها شيئا لو اطلع عليه من يريد أخذها لما أخذها بذلك المقابل ، فيجب عليه أن يعلمه به ، ويجب أيضا على أجنبى علم بالسلعة عيبا أن يخبر مريد أخذها ، وان لم يسأل عنها كما يجب عليه اذا رأى انسانا يخطب امرأة ، وعلم بها أوبه عيبا أو رأى انسانا يريد أن يخالط آخر لمعاملة أو صداقة أوقراءة نحو علم وعلم بأحدهما عيبا أن يخبره به ، وان لم يستشره فلا يكفى فى تبيين العيب هو معيب مثلا ولا اعلم انهمته بالعيب .

فصل فى إنفاق السلعة بالحلف الكاذب

أخرج مسلم عن أبى ذر « ثلاثة لاينظر الله اليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم . قال فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات . فقلت خابوا وخسروا من هم يارسول الله . قال : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » . وللطبرانى والبيهقى « ثلاثة لاينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : أشمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته لايشترى إلا بيمينه ولا يبيع الا بيمينه » . ومسلم « إياكم وكثرة الحلف فى البيع فانه ينفق ثم يمحق » . والطبرانى « يامعشر التجار إياكم والكذب » . وابن حبان عن أبى سعيد قال « مر أعرابى بشاة فقلت تبيعها بثلاثة دراهم ؟ فقال لاوالله ، ثم باعها فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال باع آخرته بدنياه » .

فصل فى بخس نحو الكيل والوزن والذرع

قال الله تعالى [ويل] أى شدة عذاب أو واد فى جهنم من شر أوديتها ولو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره [للمطففين] الذين يزيدون لأنفسهم من أموال الناس ببخس الكيل

أو الوزن [الذين إذا اكتالوا على الناس] أى منهم لأنفسهم [يستوفون] الكيل [وإذا كالوهم أو وزنوهم] أى اكتالوا أو وزنوا لهم [يخسرون] أى ينقصون الكيل والوزن [ألا يظن] أى يتيقن [أولئك] الذين يفعلون ذلك [أنهم مبعوثون ليوم عظيم] أى هوله وعذابه [يوم يقوم الناس لرب العالمين] ى من قبورهم حفاة عراة . قال السدى : سبب نزول هذه الآية « أنه ﷺ لما قدم المدينة كان بها رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر . فأنزل الله الآية » . وأخرج الترمذى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لأصحاب الكيل والوزن « انكم قد وليتم أمرين هلك فيهما الأمم السالفة » . وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر قال : أقبل رسول الله ﷺ فقال « يامعشر المسلمين خمس خصال اذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة فى قوم قط فيعلنوا بها الافشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا الكيل والميزان إلا أخذوا بالسنين : وهى العام المقحط الذى لاتنبت الارض فيه شيئا وقع مطر أولا ، وشدة المؤنة ، وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله لاسلط الله عليهم عدوّا من غيرهم ، فأخذوا بعض مافى أيديهم ، ولم يحكم أئمتهم بغير كتاب الله وتخيروا فيما أنزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم » . وقال عكرمة : أشهد أن كل كيال ووزان فى النار . فقيل له ان ابنك كيال ووزان . فقال اشهد انه فى النار . وقال على رضى الله عنه : لاتلتمس الحوائج ممن رزقه فى رؤوس المكيال وألسن الموازين . وما أحسن قول من قال : لويل ثم الويل لمن يبيع بحبة ينقصها جنة عرضها السموات والأرض ويشترى بحبة يزيدها واديا فى جهنم يذيب جبال الدنيا وما فيها .

وحكى اليافعى عن مالك بن دينار : أنه دخل على جار له احتضر ، فقال : يامالك جبلان من النار بين يدى أكلف الصعود عليهما . قال مالك فسألت أهله عن حاله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ، ثم سألت الرجل ، فقال مايزداد الأمر الاشدة فمات فى مرضه .

وحكى أيضا عن بعضهم : أنه قال لبعض الناس وهو فى النزع وكان يعامل الناس بالميزان قل لا إله إلا الله ، فقال ما أقدر أن أقولها لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها . قال فقلت له أما كنت توفى الوزن . قال بلى ولكن ربما كان يقع فى الميزان شىء من الغبار ولا أشعر به . تفكروا عباد الله اذا كان هذا حال من لايشعر فى ميزانه بالغبار ، فكيف حال من يزن ناقصا . عجبا لمن يبيع جنة بحبة ينقصها ويشترى واديا فى جهنم بحبة يزيدها .

[تنبيه] ان البخس فيما ذكر حرام بل هو كبيرة كما صرحوا به ، ومن البخس المحرم مايعتاد فسقة التجار والبزازين فى ذرع الثياب ونحوها من طلب تشديد جرها حين البيع ، وارخائها حين الشراء فهم داخلون فى الوعيد الشديد .

فصل فى السماحة وإقالة النادم

أخرج البخارى عن جابر عن رسول الله ﷺ « رحم الله عبدا سمحا إذا باع وإذا

اشترى وإذا اقتضى » . وأحمد والترمذى عنه « غفر الله لرجل ممن كان قبلكم كان سهلا إذا باع ، سهلا إذا اشترى ، سهلا إذا اقتضى » . والبيهقى « عليك بأول السوم فان الربح مع السماحة » . وقال أبو عمر : كان الزبير تاجرا مجدودا فى التجارة يعنى محظوظا ، فقيل له بم أدركت فى التجارة ما أدركت ؟ قال إنى لم أشتر معيبا ولم أزد ربحا والله يبارك مايشاء .

وحكى أن السرى السقطى كان فى ابتداء أمره فى بغداد صاحب دكان وكان لا يزيد فى البيع والشراء إلا ربح نصف درهم لكل عشرة واشترى بستمائة دينار لوزا فغلا اللوز فجاء الدلال وقال بع بربح ثلاثة لكل عشرة . فقال لا أزيد الربح فوق نصف درهم لكل عشرة ولا أنقض عزمى ، فقال الدلال أنا أيضا لا أجيز بيع متاعك بالناقص فلا باع الدلال ولا نقض السرى عزمه . وأخرج البيهقى « من أقال نادما أقال الله عثرته يوم القيامة » .

وحكى عن بعض التجار الصالحين : أنه اشترى يوما عسلا بثلاثين ألف درهم ، فلما كان الغد أضعف ثمنه ربح ثلاثين ألف درهم أخرى ، فسمع ذلك البائع فندم على بيعه وتحسر ، فقال له بعض اخوانه أتحب أن نرجع إليك عسلك ولايفوتك ربحه ؟ فقال إى والله . فقال تبكر غدا وتصلى مع الشيخ صلاة الصبح ، فاذا سلم من صلاته وفرغ من دعائه فسلم عليه وقل إنى ندمت على بيعك العسل أمس ولا تزد على هذا شيئا . فقال نعم ثم بكر فصلى معه فى المسجد ، فلما فرغ قال له إنى ندمت على بيعك العسل . فقال لغلامه قم وأعطه جميع عسله . فقال له بعض الحاضرين قد صار ثمنه ضعف ماوزنت أترده عليه . فقال نعم إليك عنى سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « من أقال نادما بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة » ، أفلا أشترى إقالة عثرتى يوم القيامة بثلاثين ألف درهم فأخذ منه ثلاثين ألفا ورد العسل اليه .

[خاتمة] واعلم أنه يحرم البيع على البيع وهو بأن يقول للمشترى زمن الخيار رد هذا وأنا أبيعك أحسن منه بمثل ذلك الثمن أومثله بأنقص ، والشراء على الشراء وهو أن يقول للبائع زمن الخيار افسخ لأشترى منك هذا المبيع بأزيد ، والنجش وهو أن يزيد فى الثمن لا لرغبة بل ليخدع غيره ، والسوم على سوم الغير بغير اذنه وهوأن يزيد فى الثمن بعد أن يصير المبيع للمشترى أو يبيعه بأرخص منه .

فصل فى الدين ومطل الغنى

أخرج البخارى وابن ماجه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله » . والديلمى « صاحب الدين مغلول فى قبره لايفكه الا قضاء دينه» . والطبرانى « من اداّن دينا وهو ينوى أن يؤديه أداه الله عنه يوم القيامة ، ومن استدان دينا وهو لاينوى أن يؤديه فمات . قال الله عز وجل يوم القيامة أظننت أنى لا آخذ لعبدى بحقه فيؤخذ من حسناته فتجعل فى حسنات الآخر ، فان لم تكن له حسنات أخذ من سيآت الآخر فتجعل عليه » . وابن عدى « أيما رجل تزوج امرأة فنوى أن لايعطيها من صداقها شيئا مات يوم يموت وهو زان ، وأيما رجل اشترى من رجل بيعا فنوى أن لايعطيه من ثمنه شيئا مات يوم يموت وهو خائن ، والخائن فى النار » . وابن ماجه

باسناد حسن « من مات وعليه درهم أو دينار قضى من حسناته ، وليس ثم دينار ولا درهم » . والبخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي قتادة قال : « قال رجل يارسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عنى خطاياى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فلما أدبر ناداه ، فقال نعم الا الدين كذلك قال جبريل ، وقال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين » . وفى شرح السنة عن أبى سعيد الخدرى قال «أتى رسول الله ﷺ بجنازة ليصلى عليها ، فقال هل على صاحبكم دين ؟ قالوا نعم . قال هل ترك له من وفاء ؟ قالوا لا . قال فصلوا على صاحبكم ، قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : علىّ دينه يارسول الله ، فتقدم فصلى عليه وقال : فك الله رهانك من النار كما فككت رهان أخيك المسلم ، ليس من عبد مسلم يقضى عن أخيه دينه إلا فك الله رهانه يوم القيامة » . وفيه أيضا « أنه ﷺ ذكر رجلا من بنى اسرائيل سأل بعض بنى اسرائيل أن يسلفه ألف دينار ، فقال ائتنى بالشهداء أشهدهم ، قال كفى بالله شهيدا ، قال فائتنى بالكفيل ، قال كفى بالله كفيلا ، قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى ، فخرج بالبحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجله ، فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ، ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر ، فقال اللهم إنك تعلم أنى سألت فلانا ألف دينار ، فسألنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك ، وسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا ، فرضى بك ، وإنى جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له فلم أقدر وإنى استودعتكها فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده ، فخرج الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله ، فاذا بالخشبة التى كان فيها المال فأخذها لأهله حطبا ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الذى كان أسلفه فأتى بألف دينار وقال : والله مازلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه . قال هل كنت بعثت إلىّ شيئا ؟ ، قال أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه ، قال فان الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة فانصرف بالألف الدينار راشدا » وأخرج الشيخان « مطل الغنى ظلم فاذا أتبع أحدكم على ملىء فليتبع » . وابن حبان والحاكم « لىّ الواحد : أى مطل القادر على وفاء دينه يحل عرضه وعقوبته»

خاتمة فى إنظار المعسر

اخرج أحمد عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ « من أنظر معسرا أو وضع له : أى حط عنه دينه أو بعضه بالبراءة منه وقاه الله عز وجل من فيح جهنم » . وأحمد ومسلم « من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لاظل الاظله » . وأحمد وابن ماجه « من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فاذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة » . وأحمد والطبرانى « يدعو الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يقف بين يديه فيقال : يابن آدم فيم أخذت هذا الدين ، وفيم ضيعت حقوق الناس ؟ فيقول يارب انك تعلم أنى أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم ألبس ولم أضيع ولكن اماحرق واما سرق واما وضيعة أى بيع بأقل مما اشترى به . فيقول صدق عبدى أنا أحق من قضى عنك ، فيدعو الله بشىء فيضعه فى كفة ميزانه فترجح حسناته على

سيآته فيدخل الجنة بفضل رحمته » . والشيخان عن حذيفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان رجلا ممن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه فقال : هل عملت من خير ؟ . قال ماأعلم قيل انظر قال ماأعلم شيئا غير أنى كنت أبايع الناس فى الدنيا فأنظر الموسر وأتجاوز عن المعسر فأدخله الله الجنة » .

[تنبيهات : أحدها] أن الاستدانة مع نية عدم الوفاء أو مع عدم رجائه بان لم يضطر ولا كان له جهة ظاهرة يوفى منها والدائن جاهل بحاله حرام . وثانيها أن مطل الغنى بعد مطالبته بالدين بغير عذر حرام ؛ وصرح جماعة من أئمتنا بأن من امتنع من قضاء دينه مع قدرته عليه بعد أمر الحاكم له به للحاكم أن يشدد عليه فى العقوبة فينخسه بحديدة الى أن يؤدى أو يموت . وثالثها أنه يحرم على من عليه دين حال السفر بغير اذن غريمه حيث لم يعلم رضاه وان كان به رهن أو ضمين فلا يترخص كعدم آتى بقصر لاجمع وافطار وتنفل سائرا وسقوط جمعة وأكل ميتة لاضطرار ويجوز لغريمه لو ذميا منعه من السفر حتى يوفيه أو يوكل فيه من ماله الحاضر لاان كان الدين مؤجلا وإن قصر أجله . ورابعها أن من ثبت اعساره حرم حبسه وملازمته ووجب انظاره الى ميسرة .

باب فى ذم المكس

أخرج أحمد وأبوداود والحاكم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لايدخل الجنة صاحب مكس » . وأحمد والطبرانى عن أبى الخير قال عرض مسلمة بن مخلد وكان أميرا على مصر على رويفع بن ثابت أن يوليه العشور . فقال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان صاحب المكس فى النار » . وأحمد وابن عبد الحكم عن مالك ابن عتاهية . قال سمعت رسول ﷺ يقول « اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه » . وأحمد عن الحسن ابن أبى عاص أنه استعمل كلاب بن أمية على أيله وعثمان بن أبى العاص فى أرضه فأتاه عثمان فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان بالليل ساعة يفتح فيها أبواب السماء فينادى مناد هل من سائل فأعطيه ، هل من داع فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له ، وان داود عليه السلام خرج ذات ليلة . فقال لايسأل الله أحد حاجته الا أعطاه الا أن يكون ساحرا أوعشارا فدعا كلاب بقرقور فركب فيه فانحدر الى ابن عاص . فقال دونك عملك قال لم قال حدثنى عثمان بكذا وكذا » . والطبرانى عن عثمان بن أبى العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد : هل من داع فيستجاب له ، هل من سائل فيعطى ، هل من مكروب فيفرج عنه فلايبقى مسلم فيدعو بدعوة الا استجاب الله له الا زانية تسعى بفرجها أوعشارا » . وأبونعيم عن زيد بن أرقم قال «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض سكك المدينة فمررنا بخباء أعرابى فاذا ظبية مشدودة فقالت يارسول الله ان هذا الأعرابى صادنى فلا هو يذبحنى فأستريح ولاهو يتركنى فأذهب ولى خشفان فى البرية ، وقد تعقد هذا اللبن فى أخلافى ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطلقتك أترجعى . قلت نعم والاعذبنى الله عذاب العشار فأطلقها فذهبت ، ثم رجعت» وورد من حديث على أخرجه الطبرانى فى الكبير بلفظ

«ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن سهيلا ثلاث مرات فانه كان عشر الناس فسخه الله شهابا» أنبئت عمر أبي عن أبي الحسن عن مجاهد في قوله تعالى — ولا تقعدوا بكل صراط توعدون — قال نزلت في المكاسين ، وأنشدكم لنفسي :

اقتل أولى المكس ولا تكترث　　ان حللوا ذلك أو حرموه
فان خير الخلق أوصى بان　　اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه

أعاذنا الله من شرهم وحمانا من فتنتهم . وذكر ابن الجوزي في كتاب مواعظ الملوك أن كسرى خرج في بعض أيامه للصيد فانقطع عن أصحابه وأظلته سحابة فمطرت مطرا شديدا حال بينه وبين جنده فمضى لايدري أين يذهب فانتهى الى كوخ فيه عجوز فنزل عندها وأدخل فرسه فقبلت ابنتها ببقرة فدعتها فاحتلبتها فرأى كسرى لبنها كثيرا . فقال : ينبغي أن نجعل على كل بقرة خراجا فهذا حلاب كثير ، ثم قامت في آخر الليل تحلبها فوجدتها لا لبن فيها فنادت يا أماه قد أضمر الملك لرعيته سوءا ، قلت وما ذلك ؟ قالت ان البقرة ماتبض بقطرة لبن ، قالت لها امكثي فان عليك ليلا فأضمر كسرى في نفسه العدل والرجوع عن ذلك العزم ، فلما كان آخر الليل قالت لها أمها قومي احتلبي فقامت فوجدت البقرة حافلا . فقالت يا أماه قد والله زال مافي نفس الملك من الشر ، فلما ارتفع النهار جاء أصحاب كسرى فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها اليه فأحسن اليهما ، وقال كيف علمتما ذلك ، قالت العجوز : انا بهذا المكان منذ كذا وكذا فما عمل فينا بعدل الا أخصبت أرضنا واتسع عيشنا ، وما عمل فينا بجور الا ضاق عيشنا وانقطع مواد النفع عنا .

[تنبيه] ان المكس حرام اجماعا ويكفر من استحله أو قال انه حق السلطان معتقد أنه حق وقال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام بأنه يحرم على من يعرف الكتابة والحساب كتابة حساب المكس ان قصد اعانة الظلمة الذين لعنهم الله ورسوله .

باب الظلم

قال الله تعالى — ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار — وقال الله تعالى — يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولاتقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما . ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا — وقال — ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع — . وأخرج الشيخان عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « في خطبته بمنى في حجة الوداع : ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم لا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » . ومسلم من أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال « ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا » . وأحمد والبيهقي عن ابن عمر « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » . والشيخان عن أبي موسى « ان الله ليملي للظالم فاذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان

أخذه أليم شديد » . ومسلم عن أبي هريرة « أتدرون من المفلس من أمتي قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع ، فقال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، فيأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا فيعطى هـذا من حسناته ، وهـذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبـل أن يقضى ماعليـه أخذ من خطاياهم فطرحت عليـه ، ثم طرح في النار » . والطيالسي والبزار عن أنس « الظلم ثلاثة فظلم لايغفره الله وظلم يغفره وظلم لايتركه فأما الظلم الذى لايغفره فالشرك . قال الله تعالى ــ ان الشرك لظلم عظيم ــ وأما الظلم الذى يغفره الله فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذى لايتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين لبعضهم من بعض » . وأحمد والشيخان عن عائشة ، وعن سعيد ابن زيد « من ظلم قيد شبر من الأرض :أي قدره طوّقه من سبع أرضين » أي يخسف الله به الأرض فتصير البقعة في عنقه كالطوق . وأحمد وابن حبان عن يعلى بن مرة « أيما رجل ظلم شبرا من الأرض كلفه الله أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضـين ، ثم يطوّقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس » . وأحمد والطبراني « من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه طوّقه من سبع أرضين لايقبل منه صرف ولا عـدل » . والديلمي عن حذيفـة « الظلمة وأعوانهم في النار » . وأبوداود « من حمى مؤمنا من منافق آذاه ، قال بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم » الحديث . والخطيب عن علي رضى الله عنه « اتق دعوة المظلوم ، فانما يسأل الله تعالى حقه وان الله لايمنع ذا حق حقه » . والطيالسي عن أبي هريرة رضى الله عنه « دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه » . وروى عن عبدالله بن أنيس . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعـد كما يسمعه من قرب : أنا الملك الديان الذى لاينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولاينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحـدا ، قلنا يارسول الله كيف ، وانما نأتي الله حفاة عراة . قال بالحسنات والسيآت جزء ولا يظـلم ربك أحدا » . وعن ابن عباس قال « يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤس الخلائق هـذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه . قال فتفرح المرأة أن يكون لها حق على ابنها أو أخيها ، ثم قرأ ــ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ــ . قال فيغفر الله من حقه ما يشاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فيقضى فينصب العبد للناس ، ثم يقول الله لأصحاب الحقوق ائتوا الى حقوقكم . قال فيقول العبد يارب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم حقوقهم فيقول الله لملائكته خذوا من حسناته فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر طلبته فان كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله حتى يدخل الجنة بها ، وان كان عبدا شقيا ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله خذوا من سيآتهم فأضيفوه الى سيآته ثم صكوا له صكا الى النار » .

وحكى اليافعي عن بكير صاحب الشبلي . قال لما حضرت الوفاة الشبلي قال عليّ درهم مظلمة تصدقت عنه بألوف فما عليّ شيء أعظم منه .

وحكى أيضا عن عمرو بن دينار . قال كان رجل من بني اسرائيـل على ساحل البحر فرأى

رجلا وهو ينادى بأعلى صوته الامن رآنى فلايظلمن أحدا . قال فدنا منه . وقال ياعبد الله ماخبرك ؟ فقال اعلم أنى كنت رجلا شرطيا فجئت يوما الى هذا الساحل فرأيت صيادا قد صاد سمكة فسألته أن يهبها منى فأبى فسألته أن يبيعها منى فأبى فضربت رأسه بسوطى وأخذتها منه قهرا ومضيت بها ، قال فبينما أنا ماش بها حاملها اذعضت على ابهامى فرمت أن أخلص ابهامى منها فلم أقدر فجئت الى عيالى فعالجوا أن يخلصوا ابهامى منها فلم يقدروا الابعد تعب شديد ، وقيل إنما تعلقت بابهامه عند ماقدمت اليه ليأكلها قال فأصبح ابهامى قد ورم وانتفخ ، ثم انتفخت فيه عيون من آثار أنياب هذه السمكة فذهبت الى طبيب محسن ، فلما نظر الى ابهامى قال هذه أكلة بلاشك وان لم تقطع ابهامك هلكت فقطعت ابهامى ثم ضربت على يدى فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم فقيل لى اقطع كفك فقطعتها وانتشر الألم الى الساعد وآلمنى شديدا ولم أطق القرار وجعلت أستغيث من شدة الألم ، فقيل لى اقطعها من المرفق فقطعتها فانتشر الألم الى العضد وضربت على عضدى أشد من الألم الأول فقيل لى اقطع يدك من كتفك والا سرى الألم الى جسدك كله فقطعتها ، فقال لى بعض الناس ماسبب ألمك فذكرت له قصة السمكة ، فقال لوكنت رجعت فى أول ما أصابك الألم الى صاحب السمكة فاستحللت منه واسترضيته ولا قطعت من أعضائك عضوا فاذهب اليه الآن واطلب رضاه قبل أن يصل الألم الى بدنك قال فلم أزل أطلبه فى البلد حتى وجدته فوقعت على رجليه أقبلهما وأبكى ، فقلت ياسيدى سألتك بالله الاعفوت عنى فقال لى من أنت ، فقلت أنا الذى أخذت منك السمكة غصبا وذكرت ماجرى على وأريته يدى فبكى حين رآها وقال ياأخى قد أحللتك منها لما قد رأيت بك من هذا البلاء ، فقلت ياسيدى سألتك بالله هل كنت دعوت على لما أخذتها منك ؟ قال نعم قلت : اللهم هذا يقوى على بقوته على ضعفى فأخذ منى مارزقتنى فأرنى فيه قدرتك ، قلت قد أراك الله قدرته فى وأنا تائب الى الله عما كنت عليه .

وحكى أيضا عن على بن حرب . قال خرجت أنا وبعض شباب الموصل الى الشط فركبنا فى زورق ، فلما بعدنا من البلد وتوسطنا البحر اذا سمكة كبيرة طفرت من الشط الى وسط الزورق فقام الشباب ونزلوا الى حافة الشط ليجمعوا حطبا برسم السمكة فنزلت معهم فبينما نحن نمشى على جانب الشط واذا بالقرب منا خربة فدخلنا اليها ننظر آثارها . واذا فيها شاب مكتوف وآخر مذبوح الى جانبه وبغل واقف عليه قماش فقلنا للشاب ماقصتك وماهذا المذبوح . فقال انى كنت مكتريا مع هذا المكارى صاحب هذا البغل فعدل بى الى هذا المكان وكتفنى كما ترون وقال لابد لى من قتلك فناشدته الله تعالى لا تظلمنى ولا تروع أمى ولا تعدمنى روحى ، ثم تأخذ منى القماش وأنت فى حل منه وحلفت له بالله تعالى انى لا أعلم به أحدا وماتركت شيئا أناشده به تعالى ، وهو لايفعل فمد يده الى سكين كانت فى وسطه يجذبها فتعسرت عليه أن تخرج من غلافها فمازال يجذبها الى أن خرجت بصعوبة فما أخطأت حلقه فذبحته فهو كما ترون وأنا على حالتى هذه قال فحللنا كتافه وأعطيناه البغل والقماش وراح ورجعنا الى الزورق ، فلما صعدنا طفرت السمكة الى الشط .

وحكى أيضا أن امرأة سراندبية كان لها دار بجوار قصر الملك ، وكانت تشين القصر وكلما رام الملك منها أن تبيع الدار أبت أن تبيعها منه فخرجت المرأة فى سفر فأمر الملك بهدمها ، فلما

جاءت المرأة من السفر فالت من هدم داري قيل لها الملك فرفعت طرفها الى السماء وقالت إلهي وسيدي ومولاي غبت أنا وأنت حاضر الضعيف معين وللمظلوم ناصر ، ثم جلست فخرج الملك فى موكبه ، فلما نظر اليها قال لها ماتنتظرين ؟ قالت أنتظر خراب قصرك فهزأ بقولها وضحك منها ، فلما جن عليه الليل خسف به وبقصره ووجد على بعض حيطان القصر مكتوب هذه الأبيات :

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... ومايدريك ماصنع الدعاء

سهام الليل لاتخطى ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء

وقد شاء الاله بما تراه ... فما للملك عندكم بقاء

حفظنا الله من شرور الظالمين ، وحمانا من مكايد الكافرين .

[تنبيه] ان الظلم هو وضع الشىء فى غير موضعه ، وقيل التصرف فى ملك الغير بغير اذنه . والغصب هو الاستيلاء على حق الغير وهما حرامان بالكتاب والسنة والاجماع فيكفر مستحلهما ولوحبة اجماعا . وروى أن عيسى عليه السلام مر بمقبرة فنادى رجلا منهم فاحياه الله ، فقال له من أنت ، فقال كنت حمالا أنقل للناس ، فنقلت يوما لانسان حطبا وكسرت منه خلالا تخللت به فأنا مطالب به مذ مت" ربنا اغفرلنا وتحمل تبعاتنا وارزقنا الاخلاص فى كل أمورنا ، وكما يحرم الظلم يحرم الاعانة عليه ولو بكلمة ، قال عليه الصلاة والسلام « من مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزل الله قدميه عن الصراط يوم تدحض فيه الأقدام » . وقال أبو هريرة « اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشياع الظلمة ، أين من لاق لهم دواة وبرى لهم قلما فيجمعون فى تابوت واحد ، ثم سيق بهم على رؤوس الخلائق الى جهنم » ورفعه بعضهم الى النبي صلى الله عليه وسلم . قال الأئمة : بلغنا أنهم يرون أنه ليس أحد أشد عذابا منهم لما يحل بهم من ضيق التابوت وشدة العذاب . وذكر أبو شبرمة أن منكرا ونكيرا أتيا رجلا الى قبره وقالا انا ضاربوك مائة ضربة ، فقال الميت انى كنت كذا وكذا وتشفع ببعض أعماله حتى حطا عنه عشرة ، ثم لم يزل يتشفع حتى حطا لجمع الاضربة فضرباه ضربة فالتهب القبر عليه نارا ، فقال لم ضربتمانى ، فقالا مررت بمظلوم فاستغاث بك فلم تغثه . فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع قدرته على نصره فكيف حال الظالم . وقال بعضهم : رأيت فى المنام رجلا ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته ، وهو فى حالة قبيحة ، فقلت له ماحالك ؟ فقال شر حال ، فقلت الى أين صرت ، فقال الى عذاب الله ، فقلت ماحال الظلمة عند ربهم . قال شر حال أماسمعت قول الله عز وجل — وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون — .

وحكى أنه جاء خياط الى سفيان الثورى ، فقال انى أخيط ثياب السلطان أفتراني من أعوان الظلمة ، فقال سفيان : بل أنت من الظلمة أنفسهم لكن أعوان الظلمة من يبيع منك الابرة والخيوط . ومن الظلم المحرم أن تظلم المرأة من نحو صداق أونفقة أوكسوة ، وهو داخل فى قوله صلى الله عليه وسلم «لى الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته» أى شكايته وتعزيره بالحبس والضرب وتأخير أجر الاجير أومنعه منه بعد فرغ عمله الذى شرط عليه الأجرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره» . رواه ابن ماجه . قال صلى الله عليه وسلم « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » . رواه الطبرانى .

وحكى أنه حجم حجام دواد الطائى فأعطاه دينارين ، فقلوا أسرفت ، فقال لادين لمن لامروءة له .

وحكى عن الشبلى ، قال قال لى خاطرى يوما أنت بخيل ، فقلت ماأنا بخيل ، فقال بلى أنت بخيل فقلت ماأنا بخيل فقال بلى أنت بخيل فنويت أن أول شىء يفتح على أعطيه أول فقير ألقاه فما تم هذا الخاطر حتى دخل على فلان سماه بخمسين دينارا فأخذتها وخرجت فأول من لقيت فقير ضرير أوقال اكمه بين يدى مزين يحلق شعره فناولته ذلك ، فقال أعطها المزين ، فقلت انها دنانير فرفع رأسه الى ، وقال أماقلنا لك انك بخيل فناولتها المزين ، فقال مزين قعد بين يدى هذا الفقير عقدت مع الله عقدا أن لا آخذ على حلاقته شيئا . قال فأخذتها وذهبت الى البحر فرميت بها فيه واستعمال العارية فى غير المنفعة التى استعارها لها واعارتها من غير اذن مالكها واستعمالها بعد المدة المؤقتة بها ، وقيل انه رجع ابن المبارك من مرو ورجع ابراهيم بن أدهم من بيت المقدس الى البصرة لرد تمرة اى الشام وفى قلم استعاره فلم يرده على صاحبه ، وكان حسان بن أبى سنان لاينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولايشرب باردا ستين سنة فرؤى فى المنام بعد مامات فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال خيرا الاأنى محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم أردها .

فصل فى أكل مال اليتيم

قال الله تعالى — ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا — . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا يارسول الله وما هى ؟ . قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الابالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » . والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة « أربع حق على الله أن لايدخلهم الجنة ولايذيقهم نعيمها : مدمن خمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه » والحاكم عن ابى موسى « ثلاثة يدعون الله عز وجل فلايستجاب لهم : رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل آخر مال فلم يشهد عليه ، ورجل آتى سفيها ماله . وقد قال الله تعالى — ولاتؤتوا السفهاء أموالكم — » وفى تفسير القرطبى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رأيت ليلة أسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل ، وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ، ثم يجعل فى أفواههم صخرا تخرج من أسافلهم . فقلت ياجبريل من هؤلاء . قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما » .

[تنبيه] ان أكل مال اليتيم من الكبائر المهلكة تنبه ، وظاهر كلامهم انه لافرق بين قليله وكثيره ولوحبة .

خاتمة

فى كفالة اليتيم والشفقة والسعى على الأرملة

أخرج البخارى « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » . وابن ماجه « من عال ثلاثة من أيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه فى سبيل الله وكنت أنا وهو فى الجنة اخوانا كما ان هاتين أختان وألصق أصبعيه السبابة والوسطى » . والترمذى « من قبض يتيما

من بين مسلمين الى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة ألبتة الا أن يعمل ذنبا لايغفر له » . وفى رواية « حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة » . وابن ماجه « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشرّ بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » . وحمزة بن يوسف وابن النجار « ان فى الجنة دارا يقال لها دار الفرح لايدخلها الامن فرح يتامى المؤمنين » . وأبو يعلى « أنا أول من يفتح له باب الجنة الا أنى أرى امرأة تبادرنى فأقول مالك ومن أنت ؟ فتقول أنا امرأة قعدت على أيتام لى » . والطبرانى « والذى بعثنى بالحق لايعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم وألان له فى الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله » . وأحمد « من مسح على رأس يتيم لم يمسحه الالله كانت له فى كل شعرة مرت يده عليها حسنات » . وروى « أن الله تعالى قال ليعقوب عليه السلام : ان سبب ذهاب بصره وانحناء ظهره وفعل اخوة يوسف به مافعلوه أنه أتاه يتيم مسكين صائم جائع ، وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ، ثم أعلمه الله أنه لن يحب شيئا من خلقه حبه لليتامى والمساكين وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين ففعل » . قال بعض السلف كنت فى بدء أمرى متكبرا منكبا على المعاصى فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد ، بل أكثر ، ثم نمت فرأيت الزبانية أخذونى أخذا منزعجا الى جهنم ، واذا باليتيم قد اعترضنى ، وقال دعوه حتى أراجع ربى فيه فأبوا واذا النداء : خلوا عنه فقد وهبناله ما كان منه باحسانه اليه فاستيقظت وبالغت فى اكرام اليتامى من يومئذ .

وحكى : أن رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى نواحى البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته لكثرة فسقه وتجافى الناس له فاستأجرت حمالين يحملونها الى المصلى فما صلى عليه أحد فحملوه الى الصحراء ليدفنوه ، وكان بالقرب من الموضع جبل فيه رجل من الزهاد الكبار فنزل ذلك الزاهد للصلاة عليه وانتشر الخبر فى البلد ، وقالوا نزل فلان ليصلى على فلان فخرج الناس فصلوا عليه مع الزاهد وتعجبوا من صلاته عليه ، فقال لهم : انه قيل لى فى النوم انزل الى الموضع الفلانى تر فيه جنازة رجل ليس معها الا امرأته فصلّ عليها ، فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد زوجته يسألها عن حاله وكيف كانت سيرته ، فقالت كان كما سمعت طول النهار فى الماخور مشغول بشرب الخمر ، فقال انظرى هل يعرض له شىء من أفعال الخير قالت لا والله إلا أنه كان يفيق كل يوم من سكره عند صلاة الصبح فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح . ثم يعود الى ماخوره يشتغل بشربه وطربه ، وكان لايخلو بيته من يتيم أو يتيمين يفضله على ولده وكان يفيق فى أثناء سكره ، فيبكى ويقول : إلهى أىّ زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعنى نفسه . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة « الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله ، وأحسبه قال وكالقائم لايفتر وكالصائم لايفطر » . وابن ماجه « الساعى على الأرملة كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار » .

وحكى انه كان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتد بهن الفقر الى أن رحلن من وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجد بلد مهجور فتركتهن فيه وخرجت تحتال لهن على القوت فمرت بكبير البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدقها ، وقال لابد أن تقيمى عندى

البينة بذلك ، فقالت انا غريبة فأعرض ، ثم مرت بمجوسي فشرحت له حالها بذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتت بها و بناتها الى داره فبالغ فى اكرامهن ، فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة والنبي صلى الله عليه وسلم معقود على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم ، فقال يارسول الله لمن هذا القصر ، فقال لرجل مسلم . قال أنا مسلم موحد . قال صلى الله عليه وسلم أقم عندى البينة بذلك فتحير فقص له صلى الله عليه وسلم خبر العلوية فانتبه الرجل فى غاية الحزن والكآبة اذ ردها ، ثم بالغ فى الفحص عنها حتى دل عليها بدار المجوسى فطلبها منه فأبى ، وقال قد لحقنى من بركاتهن ، فقال خذ ألف دينار وسلمهن الىّ فأبى فأراد أن يدرهه ، فقال له الذى تريده أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى النوم خلق لى ، فقال أنت لست بمسلم ، فقال أتفخر على باسلامك فوالله ما نمت أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ، ورأيت مثل منامك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العلوية و بناتها عندك ، قلت نعم يارسول الله . قال القصر لك ولاهل دارك فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن مالا يعلمه الا الله تعالى .

فصل فى الخيانة

قال الله تعالى ـ يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ـ . وقال تعالى ـ ان الله لايهدى كيد الخائنين ـ . وأخرج الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لاايمان لمن لاأمانة له ولاصلاة لمن لاطهور له ولادين لمن لاصلاة له وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد » . وأحمد وابن حبان عن أنس « لاايمان لمن لاأمانة له ولادين لمن لاعهد له » . والشيخان عن أبى هريرة « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن خان » . وأبو الشيخ عن أنس « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وان صام وصلى وحج واعتمر وقال انى مسلم . من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن خان » . وأبو يعلى والبيهقى عن النعمان بن بشير « من خان شريكا فيما ائتمنه عليه واسترعاه فأنا برىء منه » . والشيخان عن أبى حميد الساعدى . قال « استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدى الىّ فقام النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : مابال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدى الى فهلا جلس فى بيت أمه أو بيت أبيه فينظر أيهدى اليه أم لا ، فوالذى نفسى بيده لايأخذ أحد منكم شيئا الا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها يعار ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة ابطيه ، ثم قال : اللهم هل بلغت : اللهم هل بلغت » والبزار عن علىّ كرم الله وجهه قال « كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فطلع علينا رجل من أهل العالية ، فقال يارسول الله أخبرنى بأشد شىء فى هذا الدين وألينه ، فقال ألينه شهادة أن لااله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأشده ياأخا العالية الأمانة ، انه لادين لمن لاأمانة له ولاصلاة ولازكاة » الحديث . والترمذى عنه « اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء : اذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، و بر صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت

الأصوات فى المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمور ، ولبس الحرير ، واتخذت القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا أومسخا » . وصح عن ابن مسعود قال « القتل فى سبيل الله يكفرالذنوب كلها الا الخيانة » . وصح عنه صلى الله عليه وسلم « أنه كان يقول : اللهم انى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة ، فانها بئست البطانة ».

باب الوصية

أخرج أحمد وابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة ، واذا أوصى جار فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار ، وأن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » . وأبو داود والترمذى عنه « إن الرجل يعمل أوالمرأة بطاعة الله ستين سنة ، ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار » . وابن ماجه عن أنس « من فر من ميراث وارثه قطع الله ميراثه من الجنة » . وورد « من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة» . وروى النسائى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الاضرار فى الوصية من الكبائر » .

[تنبيه] قد صرح صلى الله عليه وسلم بأن ذلك من الكبائر ، ومن ثم صرح جمع من أئمتنا وغيرهم بذلك ، وقال ابن عادل فى تفسيره : اعلم أن الاضرار فى الوصية يقع على وجوه منها أن يوصى بأكثر من الثلث أو يقر بكل ماله أو ببعضه لأجنبى أو يقر على نفسه بدين لاحقيقة له دفعا للميراث عن الوارث أو يقر بأن الدين الذى كان له على فلان قد استوفاه منه أو يبيع شيئا بثمن رخيص أو يشترى شيئا بثمن غال كل ذلك لغرض أن لايصل المال الى الورثة ، ومن الاضرار فى الوصية أن يوصى على نحو أطفاله من يعلم من حاله أنه يأكل مالهم أو يكون سببا لضياعه لكونه لايحسن التصرف فيه أونحو ذلك ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عمن سواك آمين .

باب النكاح

قال الله تعالى ـ فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ـ . وأخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » . والبيهقى عن أبى أمامة « تزوّجوا فانى مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى » . وهو عن أبى هريرة « من أحب فطرتى فليستن بسنتى ، وان من سنتى النكاح » . وعن أنس « اذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله فى النصف الباقى » . وأحمد والشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبتل » . وابن عدى عن جابر « أيما شاب تزوج فى حداثة سنه عج شيطانه ياويلتى عصم منى

ديه » . وأحمد وابن أبي شيبة وابن عبد البر عن عكاف بن وداعة « انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له ألك زوجة ياعكاف . قال لا ، قال ولا جارية : قال لا ، قال وأنت صحيح موسر . قال نعم الحمد لله . قال فأنت اذا من اخوان الشياطين ، ان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا فاصنع كما نصنع ، فان من سنتي النكاح شراركم عزابكم ، وان أراذل موتاكم عزابكم ويحك ياعكاف تزوّج ، فقال عكاف يارسول الله لاأتزوج حتى تزوّجني من شئت . قال صلى الله عليه وسلم زوّجتك على اسم الله والبركة الكريمة بنت كلثوم الحميرى » . وللديلمي وأبو داود « من ترك التزوّج مخافة العيلة فليس منا » . وأحمد ومسلم عن ابن عمر « الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » . وابن ماجه عن أبي أمامة « مااستفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ان أمرها أطاعته ، وان نظر اليها سرّته ، وإن أقسم عليها أبرّته ، وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله » . والطبرانى عن ابن مسعود « تزوجوا الأبكار فانهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما وأرضى باليسير » . وأبو داود عن معقل بن يسار « تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الأمم » . والبيهقى عن أبى سعيد وابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه ، واذا بلغ فليزوّجه ، فان بلغ ولم يزوّجه فأصاب إثما فانما إثمه على أبيه » . وهو عن عمر رضى الله عنه « مكتوب فى التوراة من بلغت له ابنة اثنتى عشرة سنة فلم يزوّجها فأصابت إثما فاثم ذلك عليه » . والطبرانى وابن عساكر عن سلامة حاضنة السيد ابراهيم « أما ترضى احداكن أنها اذا كانت حاملا من زوجها ، وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم والقائم فى سبيل الله ، وان أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ماأخفى لها من قرة أعين ، فاذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم يمص من ثديها مصة الا كان لها بكل جرعة وبكل مصة حسنة ، فان أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهم فى سبيل الله » . وأبو داود عن ابن عمر « أبغض الحلال الى الله الطلاق» .

وحكى أبو العباس أحمد بن يعقوب : أنه رؤى معروف الكرخى فى النوم فقيل له ماصنع الله بك ؟ قال أباحنى الجنة غير أن فى نفسى حسرة انى خرجت من الدنيا ولم أتزوّج .

وحكى : أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزوّج فيأبى برهة من دهره فانتبه من نومه ذات يوم وقال : زوّجونى فزوّجوه فسئل عن ذلك . فقال لعل الله يرزقنى ولدا ويقبضه فيكون لى مقدمة فى الآخرة ، ثم قال : رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكنت من جملة الخلائق فى الموقف وبى من العطش والكرب ما كاد أن يقطع عنقى وكذا الخلائق فى شدة العطش والكرب فنحن كذلك اذا ولدان قد ظهروا بأيديهم أباريق من فضة مغطاة بمناديل من نور وهم يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس ويسقون واحدا بعد واحد ، فمددت يدى اليهم وقلت لبعضهم اسقنى فقد أجهدنى العطش ، فنظر الىّ وقال : ليس لك ولد فينا إنما نسقى آباءنا وأمهاتنا . فقلت من أنتم ؟ فقالوا : نحن أطفال المسلمين .

فصل فى أركان النكاح

أركان النكاح أربعة : الأوّل الايجاب والقبول ، فالايجاب كأنكحتك أو زوّجتك لا أحللتك ابنتى والقبول كنكحتها أوتزوّجتها أوقبلت أو رضيت نكاحها أو النكاح ، ولا يشترط فيهما العربية ولومع معرفتها ، لكن يشترط أن يترجم بما هو صريح فيه فى تلك اللغة ، ويشترط أن لا يطول فصل بينهما .

الثانى : الزوجان فيشترط فى المرأة خلوّها من نكاح وعدة وتصدق فيه حيث لم يعلم لها نكاح سابق أو ادّعت موت زوج غير معين أو طلاقه والا فلا ، وفى الزوج علمه بحلها له وفيهما التعيين فزوجتك احدى ابنتىّ أو زوّجت بنتى أحدكما باطل ولو مع الاشارة

الثالث : الولى وهو أب ثم أبوه فيزوّجان بكرا أو ثيبا بلا وطء كمن زالت بكارتها بنحو أصبع من كفء موسر بمهر المثل مطلقا بغير اذنها حيث لاعداوة لاثيبا بوطء الاباذنها نطقا بعد بلوغها وتصدق البالغة فى دعوى الثيوبة قبل العقد بيمين وان لم تتزوّج لابعده ولو أثبتت ، ثم أخ لأبوين ثم لأب ثم ابنهما كذلك ثم عم لأبوين ثم لأب ثم بنوهما ثم عم الأب ثم بنوه كذلك ، ثم معتق ثم عصابته ثم معتقه ثم عصباته فيزوّج المذكورون البالغة باذنها نطقا ان كانت ثيبا وإلا كفى سكوتها بعد استئذانها ولو لغير كفء ، ثم ان عدموا أوغاب أقربهم مرحلتين أو فقد أوعضل زوّج قاض أونائبه كفء بالغة فى محل ولايته حال التزويج لابغيره وان رضيت به فحكم عدل ولته أمرها أما تزويج اليتيمة فباطل اتفاقا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل » . وقال صلى الله عليه وسلم « لاتزوّج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها فان الزانية هى التى تزوج نفسها » .

الرابع : الشاهدان فيشترط كونهما رجلين حرين عدلين بصيرين سميعين يعرفان لسان المتعاقدين غير متعينين للولاية ويصح ظاهرا بمستورى عدالة اذا عقد لهما غير الحاكم ، ويندب استتابتهما قبل العقد احتياطا ويزول الستر بتفسيق عدل ولو تاب الفاسق عند العقد لم يصح به حالا كما لايصح تزويج عفيفة لفاسق تاب عند العقد قبل الاستبراء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نكاح الابولى مرشد وشاهدى عدل ، وما كان من نكاح على غير ذلك فهو باطل » .

فصل فى ذكر ما يجرى بين الزوجين

أخرج مسلم وأبو داود عن أبى سعيد الخدرى « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر أحدهما سرّ صاحبه » . وأحمد عن أسماء بنت يزيد « أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده فقال : لعل رجلا يقول مافعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها فأزم القوم : أى سكتوا فقلت : إى والله يارسول الله انهم ليفعلون وانهن ليفعلن . قال فلا تفعلوا فانما مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فغشيها والناس ينظرون » . وهو والبيهقى عن أبى الهيثم أنه ﷺ قال « السباع [1] حرام » .

(١) قوله السباع حرام : السباع بوزن كتاب كما فى القاموس . الجماع والفخار بكثرته اهـ

[تنبيه] ان افشاء الرجل سر زوجته والمرأة سر زوجها بأن يذكر كل منهما مايقع بينهما من أمور الاستمتاع وتفاصيل الجماع حرام ، وأما ذكر مجرد الجماع لغير فائدة فمكروه .

فصل فى منع أحد الزوجين حق الآخر

قال الله تعالى ـ وعاشروهن بالمعروف ـ . وقال الله تعالى ـ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ـ . قال ابن عباس : انى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى لهذه الآية . وقال بعضهم : يجب أن يقوم بحقها ومصالحها ويجب عليها الانقياد والطاعة له . والترمذى وصححه وابن ماجه « أن رسول الله ﷺ قال فى حجة الوداع بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ : ألا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ألا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن أن لايوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن فى بيوتكم من تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن » . والطبرانى والحاكم « حق المرأة على الزوج أن يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ، ولايضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر » الحديث . وهو « أيما رجل تزوج امرأة على ماقل من المهر أو كثر ليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها خدعها فمات ولم يؤد إليها حقها لقى الله يوم القيامة وهو زان » الحديث . والترمذى « إن من أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله ، خيركم خيركم لأهله » . وميسرة بن على والرافعى « ان الرجل اذا نظر الى امرأته ونظرت اليه نظر الله اليهما نظرة رحمة فاذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما فى خلال أصابعهما » . والطيالسى « حق الزوج على زوجته أن لاتمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب وأن لاتصوم يوما واحدا إلا باذنه إلا الفريضة ، فان فعلت أثمت ولم تقبل منها وأن لاتعطى من بيته شيئا إلا باذنه فان فعلت كان له الأجر وكان عليها الوزر وأن لاتخرج من بيته إلا باذنه فان فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى تتوب أو ترجع وإن كان ظالما » . والطبرانى « المرأة لاتؤدى حق الله حتى تؤدى حق زوجها كله ، لوسألها وهو على ظهر قتب لم تمنعه نفسها » . والحاكم وصححه « أن امرأة قالت للنبى ﷺ ان ابن عمى فلانا يخطبنى فأخبرنى ماحق الزوج على الزوجة فان كان شيئا أطيقه تزوجته قال من حقه أن لوسال من منخريه دم وقيح فلحسته بلسانها ما أدت حقه ولو كان ينبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها اذا دخل عليها لما فضله الله عليها . قالت والذى بعثك بالحق لا أتزوج مابقيت فى الدنيا » . وأحمد عن أنس رضى الله عنه قال « كان أهل البيت من الانصار لهم جمل يسقون عليه : أى يستقون عليه الماء من البئر وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وان الأنصار جاءوا الى النبى ﷺ فقالوا انه كان لنا جمل نسقى عليه الماء من البئر وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل ، فقام رسول الله ﷺ وقال لأصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل فى ناحية فمشى النبى صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الأنصار يارسول الله صار مثل الكلب نخاف عليك صولته . قال ليس على منه باس ، فلما نظر الجمل الى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين

يديه ، فأخذ ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله فى العمل . فقال له أصحابه يارسول الله هـذا بهيمة لا يعقل يسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك . قال لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها ، لو كان من قدمه الى مفرق رأسه قرحة تبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ماأدت حقه » . وروى « أنه ﷺ قال من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ماأعطى أيوب عليه السلام على بلائه ،ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله ثواب آسية امرأة فرعون » . وروى «أن رجلا جاء إلى عمر رضى الله عنه يشكو إليه خلق زوجته ، فوقف ببابه ينتظر خروجه فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لايرد عليها فانصرف الرجل قائلا : إذا كان هـذا حال امير المؤمنين فكيف حالى ، فخرج عمر فرآه موليا فناداه وقال : ماحاجتك ؟ . فقال ياأمير المؤمنين جئت أشكو اليك خلق زوجتى واستطالتها علىّ ، فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى . فقال ياأخى انى احتملتها لحقوق لها علىّ انها طباخة لطعامى ، خبازة لخبزى ، غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى وليس ذلك بواجب عليها ، ويسكن قلبى بها عن الحرام فانا أحتملها لذلك . فقال الرجل ياأمير المؤمنين وكذلك زوجتى ، قال فاحتملها فانما هى مدة يسيرة » .

وحكى أنه كان لبعض الصالحين أخ صالح وكان يزوره كل سنة ، فجاء مرة لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته من ؟ فقال أخو زوجك فى الله جاء لزيارته . فقالت ذهب يحتطب لارده الله وبالغت فى شتمه وسبه ، فبينما هو كذلك وإذا بأخيه قد حمل الأسد حزمة حطب وهو مقبل به فلما وصل أخاه سلم عليه ورحب به ، ثم أنزل الحطب من على ظهر الأسد ، وقال له اذهب بارك الله فيك ، ثم أدخل أخاه وهى تسبه فلا يجيبها فأطعمه ثم ودعه وانصرف على غاية التعجب من صبره عليها ، ثم جاء فى العام الثانى فدق الباب فقالت من ؟ قال أخو زوجك جاء يزوره . قالت مرحبا وبالغت فى الثناء عليه وأمرته بانتظاره ، فجاء أخوه والحطب على ظهره فأدخله وأطعمه وهى تبالغ فى الثناء عليهما ، فلما أراد مفارقته سأله عما رأى من حمل الاسد حطبه فى زمن تلك البذية اللسان ومن حمله الحطب هو على ظهره فى زمن هذه السهلة اللينة ، فما السبب فيه . فقال ياأخى توفيت تلك الشرسة وكنت صابرا على شؤمها وتعبها فسخر الله تعالى لى الأسد الذى رأيت يحمل الحطب بصبرى عليها ، ثم تزوجت هـذه الصالحة وأنا فى راحة فانقطع عنى الأسد فاحتجت أن أحمل على ظهرى لأجل راحتى مع هذه الصالحة .

فصل فى النشوز

قال الله تعالى ــ الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهنّ فعظوهنّ واهجروهنّ فى المضاجع واضربوهنّ فان أطعنكم فلاتبغوا عليهنّ سبيلا ان الله كان عليا كبيرا ــ وروى الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح» . وهما « والذى نفسى بيده ما من

رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء أى أمره وسلطانه ساخطا عليها حتى يرضى عنها أى زوجها » وابن حبان والبيهقى « ثلاثة لايقبل الله لهم صلاة ولا يرتفع لهم فى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع الى مولاه والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو » . والخطيب « أيما امرأة خرجت من بيتها بغير اذن زوجها كانت فى سخط الله حتى ترجع الى بيتها أو يرضى عنها زوجها » . وفى رواية « لعنها كل ملك فى السماء وكل شىء مرت عليه غير الجن والانس حتى ترجع » . وأحمد والطبرانى والبيهقى والحاكم « أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية وكل عين زانية » . وابن عدى وعساكر « اذا قالت المرأة لزوجها مارأيت منك خيرا قط فقد حبط عملها » . وأبو داود والترمذى « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة » . وأبو داود وابن ماجه « لايسئل الرجل فيما ضرب امرأته عليه » . وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » ، وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ولرسوله ولأزواجهن وكثرة تبهرجهن والتبهرج هو اذا أرادت الخروج من بيتها لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فان سلمت فى نفسها لم يسلم الناس منها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « المرأة عورة فاحبسوهن فى البيوت فان المرأة اذا خرجت الطريق قال لها أهلها أين تريدين قالت أعود مريضا وأشيع جنازة فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج ذراعها وما التمست المرأة وجه الله بمثل أن تقعد فى بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها » . وكان على رضى الله عنه يقول : ألا تستحيون ألا تغارون يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر اليهم وينظرون اليها . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير فى الهواء والحيتان فى الماء والملائكة فى السماء والشمس والقمر مادامت فى رضا زوجها ، وأيما امرأة غضب عليها زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأيما امرأة كلحت فى وجه زوجها فهى فى سخط الله الى أن تضاحكه ، وأيما امرأة خرجت من دارها بغير اذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع » . وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أربعة من النساء فى النار : امرأة بذية اللسان على زوجها ان غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وان حضر آذته بلسانها وامرأة تكلف زوجها مالا يطيق وامرأة لاتستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبهرجة : أى متجملة بلبس أفخر ثيابها وامرأة ليس لها الا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة فى الصلاة ولا فى طاعة الله ولا فى طاعة رسوله ولا فى طاعة زوجها » . وقال على كرم الله وجهه « دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم أنا وفاطمة فوجدناه يبكى بكاء شديدا فقلت له فداك أبى وأمى يارسول الله ما الذى أبكاك ؟ . قال ياعلى ليلة أسرى بى الى السماء رأيت نساء من أمتى يعذبن من أنواع العذاب فبكيت مما رأيت من شدة عذابهن ، رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلى دماغها ، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب فى حلقها ، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها الى ثدييها ويداها الى ناصيتها ، ورأيت امرأة معلقة بثدييها قد سلطت عليها الحيات والعقارب . ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون من العذاب ، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار فقامت فاطمة الزهراء ، وقالت ياحبيبى وقرة عينى ما كان عمل هؤلاء حتى وقع

عليهنّ العذاب . فقال صلى الله عليه وسلم يابنية : أما المعلقة بشعرها فانها كانت لاتغطى شعرها من الرجال ، وأما المعلقة بلسانها فانها كانت تؤذى زوجها ، وأما المعلقة بثديها فانها كانت تؤذى فراش زوجها ، وأما التى شد رجلاها الى ثديها و يداها الى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فانها كانت لاتغتسل من الجنابة والحيض وتستهزئ بالصلاة ، وأما التى رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فانها كانت نمامة كذابة ، وأما التى على صورة كلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فانها كانت منانة حسادة ، ويابنية الويل لامرأة تعصى زوجها» .

[تنبيه] اعلم أن النشوز الذى عده جماعة من الكبائر يتحقق بمنعها الاستمتاع وطأ أوغيره كلمس ولو بموضع عينه وبخروجها من المنزل بغير اذنه ولولموت أحد أبويها أو الى مجلس ذكر ونحو فضيلة لا لتعلم أحكام الحيض والنفاس وسائر العلم العينى ، بل يلزم عليها الخروج لتعلمها ويحرم عليه منعها عنه ان لم يكن عالما والا علمها وجوبا ، وبامتناعها من النقلة معه وباغلاقها الباب حين أراد الدخول اليها وبادعائها الطلاق ، فمتى صدر منها شىء من المذكورات ولولحظة لاتستحق نفقة ذلك اليوم وكسوة ذلك الفصل ولا قسما منه ، بل تستحق أن يهجرها الزوج فى المضجع الى أن تصلح ولو بلغ سنين وأن يضربها ولو بسوط وعصا وأن تلعنها الملائكة الأبرار الذين لايعصون الله طرفة عين وأن يعذبها الجبار فى دار الهوان . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» رواه الترمذى . وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلى الجنة من أىّ الأبواب شئت» رواه أحمد . وقال «ألا أخبركم بنسائكم فى الجنة ؟ قلنا بلى يارسول الله قال كل ودود ولود اذا غضبت أو أسىء اليها أوغضب زوجها قالت هذه يدى فى يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى» . رواه الطبرانى ، وقالت عائشة رضى الله عنها «يامعشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن جعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمى زوجها بحرّ وجهها» وينبغى لها أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف فى شىء من ماله الا باذنه ، بل قال جماعة من العلماء انها لاتتصرف أيضا فى مالها الا باذنه لأنها كالمحجورة له . وقال بعضهم : يجب على المرأة دوام الحياء من زوجها وغض طرفها قدّامه والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والقيام عند قدومه وعند خروجه وعرض نفسها عليه عند النوم وتعطرها له وتعهد الفم بالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرته وتركها فى غيبته وترك الخيانة عند غيبته فى فراشه وماله وإكرام أهله وأقاربه ورؤية القليل منه كثيرا ، وقال : وينبغى للمرأة الخائفة من الله أن تجتهد فى طاعة الله وطاعة زوجها وتطلب رضاه فهو جنتها ونارها .

فصل فى القسم

أخرج مسلم والنسائى عن ابن عمرو رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا» والطبرانى «ان الله تعالى كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال فمن صبر منهن ايمانا واحتسابا كان لها مثل أجر شهيد» . والترمذى والحاكم «من كانت عنده

امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » . والنسائي « من كانت له امرأتان يميل الى احداهما على الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » والمراد بقوله يميل الميل بظاهره بأن يرجح احداهما فى الأمور الظاهرة التى حرم الشارع الترجيح فيها لا الميل القلبي لخبر عائشة رضى الله عنها « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » يعنى القلب .

باب فى التهاجر

أخرج أحمد والطبرانى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يحل لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاث ليال فانهما ناكبان عن الحق : أى مائلان عنه ماداما على صرامهما وأولهما فيئا ، أى رجوعا الى الصلح يكون سبقه بالفيء كفارة له : وإن سلم فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان ، فان ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعا أبدا » . وأبو داود والنسائى « لا يحل لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاث ، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار » . والشيخان « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » وأخذ منه العلماء أن السلام يرفع إثم الهجر . ومسلم « تعرض الأعمال فى كل اثنين وخميس فيغفر الله عزّ وجل فى ذلك اليوم لامرئ لا يشرك بالله شيئا الا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء يقول : اتركوا هذين حتى يصطلحا » . وفى رواية « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقول انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا » . والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها « قالت دخل علىّ رسول الله ﷺ فوضع عنه ثوبيه ثم لم يستتم أن قام فلبسهما فأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنه يأتى بعض صويحباتى فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع بقيع الغرقد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، فقلت بأبى وأمى أنت فى حاجة ربك وانا فى حاجة الدنيا فانصرفت فدخلت حجرتى ولى نفس عال ولحقنى رسول الله ﷺ . فقال ما هذا النفس ياعائشة فقلت بأبى وأمى أتيتنى فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستهما فأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنك تأتى بعض صويحباتى حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع . فقال ياعائشة أكنت تخافين ان يحيف الله عليك ورسوله أتانى جبريل فقال هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب لا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ولا الى قاطع رحم ولا الى مسبل إزاره ولا الى عاق لوالديه ولا الى مدمن خمر . قال ثم وضع عنه ثوبيه ، ثم قال هذه ليلة النصف ياعائشة تأذنين لى فى قيام هذه الليلة ؟ فقلت نعم : بأبى أنت وأمى فقام فسجد طويلا حتى ظننت أنه قد قبض فقمت ألتمسه ووضعت يدى على باطن قدميه فتحرك ففرحت وسمعته يقول فى سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلما أصبح ذكرتهن له . فقال ياعائشة تعلميهن وعلميهن فان جبريل علمنيهن وأمرنى أن أرددهن فى السجود » .

[تنبيه] ان هجر أخيه المسلم فوق ثلاثة أيام حرام ... جماعة من العلماء ...

الكبائر إلا لعذر شرعي كبدعة أوفسق ولوخفيا ، وضابطه أنه متى عاد الى صلاح دين الهاجر أوالمهجور جاز والافلا .

باب عقوق الوالدين

قال الله تعالى — واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا — . قال ابن عباس يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب فلايغلظ لهما فى الجواب ولايحد النظر عليهما ولايرفع صوته عليهما بل يكون بين يديهما مثل العبد بين يدى سيده تذللا لهما . وقال تعالى — وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وقال — أن اشكرلى ولوالديك الى المصير — فانظر وفقنى الله وإياك كيف قرن شكرهما بشكره . قال ابن عباس : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لايقبل الله منها واحدة بغير قرينتها أحداها قوله تعالى — أطيعوا الله وأطيعوا الرسول — فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه . الثانية قوله تعالى — أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة — فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه . الثالثة قوله تعالى — أن اشكرلى ولوالديك — فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه ولذا قال صلى الله عليه وسلم « رضا الله فى رضا الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين » وصح « أن رجلا جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فى الجهاد . فقال : أحي والداك ؟ قال نعم . قال ففيهما فجاهد » فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد . وأخرج أحمد والبخارى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » . والطبرانى عن ثوبان « ثلاثة لاينفع معهن عمل : الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف » . وأحمد والنسائى والحاكم عن ابن عمر « ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذى يقر فى أهله الخبث : أى الزنا فيهم مع علمه به » وقيل هو الذى لايمنع الناس عن الدخول على زوجته ، وقيل هو الذى يشترى جارية تغنى للناس . والحاكم والأصبهانى « كل الذنوب يؤخر الله منها ماشاء الى يوم القيامة الاعقوق الوالدين فان الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل المماة » . والخطيب عن على رضى الله عنه « من أحزن والديه فقد عقهما » . وعن وهب بن منبه قال « أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى وقر والديك فان من وقر والديه مددت له فى عمره ووهبت له ولدا يبره ، ومن عق والديه قصرت عمره ووهبت له ولدا يعقه » . وقال أبو بكر بن مريم « قرأت فى التوراة أن من يضرب أباه يقتل » . وقال وهب : فى التوراة على من صك والديه الرجم . وروى « أن علقمة كان كثير الاجتهاد فى الطاعة من الصلاة والصوم والصدقة فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته الى رسول الله ﷺ ان زوجي علقمة فى النزع فأردت أن أعلمك يارسول الله بحاله فأرسل صلى الله عليه وسلم عمارا وبلالا وصهيبا ، وقال امضوا اليه فلقنوه الشهادة فمضوا اليه فوجدوه فى النزع فجعلوا يلقنونه لااله الا الله ولسانه لاينطق بها فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فقال : هل من أبويه أحد حي ؟ قيل يارسول الله أم كبيرة السن فأرسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول لها : ان قدرت على المسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فقرّى فى المنزل حتى يأتيك فجاء اليها الرسول وأخبرها بذلك ، فقالت نفسى لنفسه الفداء أنا أحق باتيانه فتوكأت وقامت على عصا وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمت فردّ عليها السلام وقال لها : يا أم علقمة أصدقينى وان كذبتنى جاء الوحى من الله تعالى كيف حال ولدك علقمة . قالت يارسول الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حالك معه . قالت يارسول الله أنا عليه ساخطة . قال ولم . قالت يارسول الله كان يؤثر زوجته و يعصينى قال ﷺ : ان سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة ، ثم قال ﷺ يابلال انطلق واجمع لى حطبا كثيرا . قالت وماتصنع به يارسول الله . قال أحرّقه بالنار . قالت يارسول الله هو ولدى لايحمل قلبى أن تحرقه بالنار بين يدى . قال ياأم علقمة فعذاب الله أشدّ وأبقى ، فان سرك أن يغفر الله له فارضى عنه ، فوالذى نفسى بيده لاينتفع بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته مادمت عليه ساخطة . فقالت يارسول الله فانى أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرنى من المسلمين أنى قد رضيت على ولدى علقمة . فقال رسول الله ﷺ انطلق اليه يابلال فانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا ، فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء فانطلق بلال فسمع علقمة يقول من داخل الدار : لا إله إلا الله فدخل بلال فقال ياهؤلاء ان سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وان رضاها أطلق لسانه . ثم مات علقمة فى يومه فحضره النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله وكفنه ، ثم صلىّ عليه وحضر دفنه ، ثم قام على شفير قبره فقال يامعشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا إلا أن يتوب إلى الله عزوجل ويحسن اليها و يطلب رضاها ، فرضا الله فى رضاها وسخط الله فى سخطها » . وروى ان العوام بن حوشب قال : نزلت مرة حيا والى جانب ذلك الحى مقبرة ، فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد انسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر . فاذا عجوز تغزل شعرا أوصوفا . فقالت لى امرأة أخرى ترى تلك العجوز ، قلت مالها . قالت تلك أم هذا قلت وما كان قصته قالت كان يشرب الخمر فاذا راح تقول له أمه يابنى اتق الله الى متى تشرب الخمر فيقول لها إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار . قالت فمات بعد العصر قالت فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نهقات ، ثم ينطبق عليه القبر والعياذ بالله من العقوق .

[تنبيه] ان عقوق الوالدين أو أحدهما وان علا ولو مع وجود أقرب منه من الكبائر المهلكة اتفاقا .

خاتمة فى برّ الوالدين

أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال « سألت رسول الله ﷺ أىّ العمل أحبّ الى الله قال الصلاة على وقتها . قلت ثم أىّ . قال بر الوالدين قلت ثم أى . قال الجهاد فى سبيل الله » . وأبو يعلى والطبرانى « أتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقى من والديك أحد . قال أمى قال قابل الله فى برها فاذا فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد» . والرافعى عن ابن عباس « مامن رجل ينظر الى وجه والديه نظرة رحمة الا كتب الله له بها

حجة مقبولة مبرورة » . وابن ماجه والنسائى والحاكم « جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك . فقال هل لك من أم . قال نعم ، قال فالزمها فان الجنة عند رجلها » . وفى رواية « ألك والدان : قلت نعم . قال فالزمهما فان الجنة تحت أرجلهما » . والشيخان «جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى . قال أمك . قال ثم من . قال أمك قال ثم من قال أمك . قال ثم من . قال أبوك » . والترمذى وابن حبان والحاكم « أتى النبى ﷺ رجل فقال انى أذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة ؟ فقال هل لك من أم . فقال لا قال فهل لك من خالة . قال نعم قال فبرها » . والديلمى « دعاء الوالد لولده كدعاء النبى لأمته » . وأبو داود وابن ماجه عن مالك بن ربيعة الساعدى قال « بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال يارسول الله هل بقى من بر أبوى شئ أبرهما به بعد موتهما . فقال نعم الصلاة عليهما : أى الدعاء والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لاتوصل الابهما واكرام صديقهما» .

وحكى البغوى فى معالمه «أنه كان فى بنى إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال اللهم أستودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها ، فلما كبر الابن كان بارا بوالدته وكان يقسم ليله ثلاثة أثلاث يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا ، فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه . فقالت له أمه يوما ان أباك ورثك عجلة استودعها فى غيضة كذا فانطلق فادع إله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن يردها عليك ، وعلامتها أنك اذا نظرت اليها يخيل اليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى تلك البقرة المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة وقالت : أيها الفتى البار بوالدته اركبنى فان ذلك أهون عليك فقال الفتى ان أمى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت خذ بعنقها ، فقالت البقرة باله بنى إسرائيل لوركبتنى ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فانك لوأمرت الجبل أن يقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمك ، فسار الفتى بها الى أمه فقالت له انك فقير لامال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيعها . قالت بثلاثة دنانير ولاتبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى بره بوالدته وكان الله به خبيرا . فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة ؟ قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى . فقال الملك خذ ستة دنانير ولا تستأمر والدتك . فقال الفتى لوأعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى فردها الى أمه فأخبرها بالثمن . فقالت فأرجعها فبعها بستة دنانير على رضامنى فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى انها أمرتنى أن لاتنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها . فقال الملك فانى أعطيك اثنى عشر دينارا على أن لاتستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا . ففعل . فقال له الملك اذهب الى أمك فقل لها

أمسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بنى إسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير فأمسكها وقدرالله على بنى إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فمازالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة على بر والدته فضلا منه ورحمة» .

وحكى اليافعي : أن الله سبحانه وتعالى أوحى الى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام : أن اخرج الى ساحل البحر تبصر عجبا ، فخرج سليمان بن داود ومن معه من الجن والانس ، فلما وصل الساحل التفت يمينا وشمالا فلم ير شيئا ، فقال لعفريت غص فى هذا البحر ثم ائتنى بعلم ماتجد فيه فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال يانبي الله انى ذهبت فى البحر مسيرة كذا وكذا لم أصل الى قعره ولا نظرت فيه شيئا فقال لعفريت آخر غص فى هذا البحر وائتنى بعلم ماتجد فيه فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال مثل قول الأول الا أنه غاص مثل الأول مرتين . فقال لآصف بن برخيا وهو وزيره الذى ذكره الله تعالى فى القرآن — قال الذى عنده علم من الكتاب — قال له ائتنى بعلم مافى هذا البحر فجاء بقبة من الكافور الأبيض لها أربعة أبواب باب من در وباب من ياقوت وباب من جوهر وباب من زبرجد أخضر والأبواب كلها مفتحة ولايدخل فيها قطرة من الماء وهي فى داخل البحر فى مكان عميق مثل مسيرة ماغاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات فوضعها بين يدى سليمان عليه السلام واذا فى وسطها شاب حسن الشباب نقى الثياب وهو قائم يصلى فدخل سليمان عليه السلام القبة وسلم على ذلك الشاب وقال ما أنزلك فى قعر هذا البحر ؟ قال يانبي الله انه كان أبى رجلا مقعدا وكانت أمى عمياء فأقمت فى خدمتهما سبعين سنة ، فلما حضرت وفاة أمى قالت اللهم أطل حياة ابنى فى طاعتك ، ولما حضرت وفاة أبى قال : اللهم استخدم ولدى فى مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل فخرجت الى هذا الساحل بعد مادفنتهما فنظرت هذه القبة موضوعة فدخلتها لأنظر حسنها فجاء ملك من الملائكة فاحتمل القبة وأنا فيها وأنزلنى فى قعر هذا البحر . قال سليمان فى أى زمان كنت أتيت هذا الساحل قال فى زمان ابراهيم الخليل عليه السلام ، فنظر سليمان عليه السلام فى التاريخ فاذا له ألفا سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لاشيبة فيه . قال فما كان طعامك وشرابك داخل هذا البحر . قال يانبي الله يأتينى كل يوم طير أخضر فى منقاره شىء أصفر مثل رأس الانسان فآكله فأجد فيه طعم كل نعيم فى دار الدنيا فيذهب عنى الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والنعاس والفترة والوحشة . فقال سليمان أتحب أن تقف معنا أوترد الى موضعك فقال ردنى الى موضعى يانبي الله . فقال رده يا آصف فرده ثم التفت فقال انظروا كيف استجاب الله تعالى دعاء الوالدين فأحذركم عقوق الوالدين .

باب قطع الرحم

قال الله تعالى — واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام — أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها . وقال تعالى — والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار — . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم ، فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك

قالت بلى قال فذلك لك ، ثم قال رسول الله ﷺ اقرءوا ان شئتم — فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » . وهما « لايدخل الجنة قاطع » أى قاطع رحم . « والترمذى وابن ماجه عن أبى بكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن ذنب أجدر : أى أحق من أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع مايدخر الله له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم » . والطبرانى عن جابر قال «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال يامعشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فانه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم ، وإياكم والبغى فانه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغى ، وإياكم وعقوق الوالدين ، فان ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ، والله لايجدها عاق ولاقاطع رحم ولاشيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إنما الكبرياء لله رب العالمين » . وأحمد « ان أعمال بنى آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم » . والأصبهانى « كنا جلوسا عند النبى ﷺ فقال : لايجالسنا قاطع رحم فقام فتى من الحلقة فأتى خالة له قد كان بينهما بعض الشىء واستغفرت له ، ثم عاد إلى المجلس فقال ﷺ ان الرحمة لاتنزل على قوم وفيهم قاطع رحم » . وروى عن محمد الباقر أن أباه زين العابدين قال له . لاتصاحب قاطع رحم فانى وجدته ملعونا فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع وذكر الآيات الثلاث السابقة .

وحكى شيخنا ابن حجر رحمه الله : أن رجلا غنيا حج فأودع آخر موسوما بالأمانة والصلاح ألف دينار حتى يعود من عرفة ، فلما عاد وجده قد مات فسأل ورثته عن المال فلم يكن لهم به علم ، فسأل علماء مكة فقالوا اذا كان نصف الليل فائت زمزم وانظره فيها وناد يافلان باسمه فان كان من أهل الخير فسيجيبك من أول مرة ، فذهب ونادى فيها فلم يجبه أحد فأخبرهم فقالوا انا لله وانا إليه راجعون نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار اذهب الى أرض اليمن ففيها بئر تسمى برهوت يقال إنه على فم جهنم فانظر فيها بالليل وناد فيها يافلان فسيجيبك منها ، فمضى الى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها ، فذهب إليها ليلا ونادى فيها يافلان ، فأجابه . فقال أين ذهبى فقال دفنته فى الموضع الفلانى من دارى ولم أئتمن عليه ولدى فائتهم واحفر هناك تجده . فقال ماالذى أنزلك ههنا وقد كنت أظن بك الخير . قال كانت لى أخت فقيرة هجرتها وكنت لاأحنو عليها فعاقبنى الله بسببها وأنزلنى هذا المنزل وتصديق ذلك الحديث الصحيح « لايدخل الجنة قاطع » أى قاطع رحمه وأقاربه .

[تنبيه] قد نقل القرطبى فى تفسيره اتفاق الأئمة على حرمة قطع الرحم ووجوب صلتها والمراد بقطع الرحم قطع ما ألف القريب منه من سابق الوصلة والاحسان لغير عذر شرعى ، فلو كان لم يصل منه الى قريبه احسان ولا اساءة قط لم يفسق بذلك ، ولافرق بين أن يكون الاحسان الذى ألفه مع قريبه مالا أومكاتبة أومراسلة أوزيارة أوغير ذلك ، فقطع ذلك كله بعد فعله لغير عذر كبيرة .

خاتمة فى صلة الرحم

أخرج الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من كان يؤمن بالله واليوم

الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » . وأبو يعلى عن رجل من خثعم « قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى نفر من أصحابه قلت : أنت الذى تزعم أنك رسول الله ؟ قال نعم . قلت يارسول الله أىّ الأعمال أحب الى الله . قال الايمان بالله . قلت يارسول الله ثم مه . قال ثم صلة الرحم ، قلت يارسول الله أىّ الأعمال أبغض إلى الله تعالى ؟ قال الشرك بالله . قلت يارسول الله ثم مه . قال ثم قطيعة الرحم . قلت يارسول الله ثم مه . قال ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » . وابن ماجه « أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة البغى وقطيعة الرحم » . والطبرانى وابن حبان عن أبى ذرّ « قال أوصانى خليلى رسول الله ﷺ بخصال من الخير وأوصانى أن لا أنظر إلى من هو فوقى ، وأن أنظر إلى من هو دونى ، وأوصانى بحب المساكين والدنوّ منهم ، وأوصانى أن أصل رحمى وان أدبرت ، وأوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم ، وأوصانى أن أقول الحق ولو على نفسى وإن كان مرّا ، وأوصانى أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » . والشيخان عن ميمونة « أنها أعتقت وليدة لها ولم تستأذن النبى ﷺ ، فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت : أشعرت يارسول الله أنى أعتقت وليدتى . قال أوفعلت . قالت نعم . قال أما إنك لو أعطيتها أخوالك وأحوالك كان أعظم لأجرك » . والطبرانى والحاكم « ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وماهى يارسول الله . قال تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك ، فاذا فعلت ذلك تدخل الجنة » . والبخارى « ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها » . والشيخان « من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ : أى يؤخر فى أثره : أى أجله فليصل رحمه » . وأبو يعلى « ان الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر ويرفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور » . قال الضحاك فى تفسير قوله تعالى « ـ يمحوا الله مايشاء ويثبت ـ قال ان الرجل ليصل رحمه ومابقى من عمره إلا ثلاثة أيام فيزيد الله فى عمره ثلاثين سنة ، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقى من عمره ثلاثون سنة فيحطه الله إلى ثلاثة أيام » . وروى « أن ملك الموت أخبر داود عليه السلام بقبض روح رجل بعد ستة أيام ، فما كان بعد مدة طويلة وجد داود ذلك الرجل حيا فسأل ملك الموت عنه ، فقال إنه لما خرج من عندك وصل رحما قد كان قطعها فمد الله فى عمره عشرين سنة أخرى» .

فصل فى حقوق المماليك

أخرج أحمد وابن ماجه عن أبى بكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة سيىء الملكة أى الذى يسىء الصنيعة إلى مماليكه قالوا يارسول الله أليس أخبرتنا أن هذه الأمة أكثر الأمم مملوكين ويتامى . قال نعم فأكرموهم كرامة أولادكم وأطعموهم مما تأكلون . قالوا فما ينفعنا من الدنيا . قال فرس تربطه تقاتل فى سبيل الله مملوكك يكفيك ، فاذا صلى فهو أخوك » . وأبو داود عن على كرم الله وجهه قال آخر كلام النبى ﷺ « الصلاة الصلاة فاتقوا الله فيما ملكت أيمانكم » . وفى رواية كان ﷺ يقول فى مرضه الذى توفى فيه « الصلاة

وماملكت أيمانكم فما زال يكررها حتى مايقبض لسانه » . وأحمد والطبرانى أنه ﷺ قال فى حجة الوداع « أرقاءكم أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مماتلبسون فان جاءوا بذنب لاتريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم » . ومسلم « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوتهم » . وهو عن أبى مسعود البدرى « قال كنت أضرب غلاما لى بالسوط فسمعت صوتا من خلفى اعلم يا أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب ، فلما دنا منى اذا هو رسول الله ﷺ فاذا هو يقول اعلم أبا مسعود أن الله تعالى أقدر عليك منك على هذا الغلام فقلت لاأضرب مملوكا بعده أبدا » . وفى رواية « فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال أمالولم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار » . والطبرانى « من ضرب مملوكه ظالما أقيد منه يوم القيامة » . وأبو داود والترمذى « يارسول الله كم أعفو عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة » . وأحمد عن عائشة رضى الله عنهما « أن رجلا قعد بين يدى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ان لى مملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصوننى وأشتمهم وأضربهم ، فكيف أنا منهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : اذا كان يوم القيامة يحسب ماخانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم ، فان كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لالك ولاعليك ، وان كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك ، وان كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل ، فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكى . فقال له رسول الله ﷺ : أما تقرأ قول الله تعالى ـ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ـ فقال الرجل والله يارسول الله ماأجد لى ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم أشهدك أنهم أحرار كلهم » . وابن حبان والبيهقى « ماخففت عن خادمك من عمله فهو أجر لك فى موازينك يوم القيامة » . والشيخان « من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه » . وأبو داود وابن ماجه « ثلاثة لايقبل الله منهم صلاة : من تقدم قوما وهم له كارهون ، ورجل أتى الصلاة دبارا ورجل اعتبد محررا يعنى أعتقه ثم كتم عتقه أو أنكره » . وروى « أنه جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله إنى قلت لأمتى يازانية قال : هل رأيت ذلك عليها . قالت لا . قال : أما إنها ستقيدك يوم القيامة ، فرجعت المرأة إلى جاريتها فأعطتها سوطا وقالت اجلدينى فأبت الجارية فأعتقتها ، ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بعتقها فقال عسى أى عسى أن يكفر عتقك إياها ماقذفتيها » .

وحكى : انه دخل جماعة على سلمان الفارسى وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله فقالوا ألا تترك الجارية تعجن فقال أرسلناها فى عمل فكرهنا ان نجمع عليها عملا آخر .

وحكى : أن عمر بن عبد العزيز قال يوما لجاريته روحينى حتى أنام فروحته فنام فغلبها النوم فنامت ، فلما انتبه أخذ المروحة وجعل يروحها ، فلما انتبهت ورأته يروحها صاحت . فقال لها عمر انما أنت بشر مثلى أصابك من الحر ما أصابنى فأحببت أن أروحك كما روحتنى .

فصل : فى حقوق الجيران

قال الله تعالى ـ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى

والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب — . وأخرج الشيخان عن ابن عمر وعائشة « قالا قال رسول الله ﷺ مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . والبخارى « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايؤذ جاره واستوصوا بالنساء خيرا » . ومسلم « من كان يؤمن بالله فليحسن الى جاره » . وأحمد والبخارى « والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن الذى لايأمن جاره بوائقه » . وأحمد والبزار وابن حبان والحاكم « قال رجل لرسول الله ﷺ : ان فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غيرأنها تؤذى جارها بلسانها ، قال هى فى النار ، قال : يارسول الله ان فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وصدقتها وانها تصدق بالاثوار أى القطعات من الأقط ولاتؤذى جيرانها ، قال هى فى الجنة » . ومسلم « لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه » . والبخارى « كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول : يارب هذا أغلق بابه دونى فمنع معروفه عنى » . والحاكم والبيهقى « ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع الى جنبه » . والبزار والطبرانى « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم » . والطبرانى عن معاوية بن حيدة « قلت يارسول الله ما حق الجار على جاره . قال ان مرض عدته ، وان مات شيعته ، وان استقرضك أقرضته ، وان أعوز سترته ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيته ، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ، ولاتؤذه بريح قدرك الا أن تغرف له منها » . والبيهقى « أن رجلا قال يارسول الله دلنى على عمل حتى اذا عملت به دخلت الجنة . فقال كن محسنا فقال يارسول الله كيف أعلم أنى محسن . قال سل جيرانك فان قالوا انك محسن فأنت محسن وان قالوا انك مسىء فأنت مسىء » . والبزار وأبونعيم « الجيران ثلاثة : فجار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فأما الذى له حق واحد فجار مشرك ، وأما الذى له حقان فجار مسلم حق للاسلام وحق للجوار ، وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم حق للاسلام وحق للجوار وحق للرحم » . والترمذى والنسائى « يا أبا ذر اذا طبخت فأكثر المرق وتعاهد جيرانك » . والشيخان « يانساء المؤمنات لاتحقرن جارة لجارتها ولوفرسن شاة » . والبيهقى « حد الجوار أربعون دارا » . وروى : ان سبب ابتلاء يعقوب بابنه يوسف عليهما السلام أنه اجتمع هو وابنه على أكل جمل مشوى وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف الى أن سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن ، فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادى على سطحه . ألا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب : اللهم حسن أخلاقنا ووسع أرزاقنا وقنا عذابك يوم تبعث عبادك . وروى عن عبد الله بن المبارك أنه قال : فرغت من حج عما فنمت فى الحرم فرأيت ملكين نازلين من السماء فقال أحدهما للآخر كم حج من الناس فى هذا العام . فقال الآخر ستمائة ألف قال فكم قبل حجه فقال لم يقبل حج أحد منهم ، ثم قال لكن رجل بدمشق يخصف النعل اسمه موفق لم يأت للحج ولكن قبل حجه وببركته الحج قبل حج الكل فانتبهت فقصدت دمشق ووصلت الى بابه فخرج الى رجل فسألته عن اسمه فقال موفق . فقلت أى خير حصل منك حتى وجدت عنده الدرجة فقال كنت أرجو الحج ولم أمكنني فنيتى يدى فحصلت ثلثمائة درهم من خصف النعل وقصدت الحج فى هذا العام

العام وكانت امرأتى حاملا فشمت ريح الطعام من دار جارى فاشتهت ذلك فقصدت بيت الجار فخرجت امرأة فأخبرتها فقالت لقد اضطررت الى شرح الحال فان أيتامى لم يطعموا شيئا ثلاثة أيام فخرجت فرأيت حمارا ميتا فقطعت منه قطعة وطبختها فهو حلال لنا وحرام عليكم فجئت دارى وأخذت الثلثمائة درهم وجئت بها الى دار جارى وأعطيتها وقلت لها أنفقى على أيتامك وقلت لنفسى ان الحج فى باب دارى فأين أذهب ؟ .

باب القتل

قال الله تعالى ــ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما ــ أخرج الشيخان عن أبى هريرة «اجتنبوا السبع الموبقات : أى المهلكات قيل يارسول الله ماهنّ . قال الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله الابالحق » الحديث . والنسائى والحاكم وصححه عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ «كل ذنب عسى الله أن يغفره الاالرجل يموت كافرا أوالرجل يقتل مؤمنا متعمدا » . وأبو داود وابن حبان عن أبى الدرداء « كل ذنب عسى الله أن يغفره الاالرجل يموت مشركا أو يقتل مؤمنا متعمدا » . وأبوداود والضياء عن عبادة « من قتل مؤمنا فاغتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفا ولاعدلا » أى فرضا ولانفلا . والنسائى والضياء عن بريدة « قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا » . والترمذى عن أبى هريرة « لوأن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا فى دم مؤمن لأ كبهم الله عز وجل فى النار » . وابن ماجه عنه « من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقى الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله » . والنسائى عن ابن مسعود « أوّل مايحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، وأوّل مايقضى به بين الناس فى الدماء» . وأحمد « قسمت النار سبعين جزءا فللآمر تسع وستون وللقاتل جزء حسبه » . والبزار والطبرانى « يخرج عنق من النار يتكلم بلسان طلق ذلق له عينان يبصر بهما وله لسان يتكلم به ، فيقول انى أمرت بمن جعل مع الله إلها آخر وكل جبار عنيد وبمن قتل نفسا بغير حق فينطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام » . وابن حبان فى صحيحه «اذا أصبح ابليس بث جنوده فيقول من خذل اليوم مسلما ألبسته التاج ، قال فيجىء هذا ، فيقول لم أزل به حتى طلق امرأته فيقول يوشك أن يتزوّج ، ويجىء هذا فيقول لم أزل به حتى أشرك بالله فيقول أنت أنت ويلبسه التاج ويجىء هذا فيقول لم أزل به حتى قتل فيقول أنت أنت ويلبسه التاج » . والبخارى « الذى يخنق نفسه يخنقها فى النار والذى يطعن نفسه يطعن نفسه فى النار والذى يقتحم يقتحم فى النار» . والشيخان «من حلف على يمين بملة غير الاسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال ، ومن قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة ، وليس على رجل نذر فيما لايملك ولعن المؤمن كقتله ، ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ومن ذبح نفسه بشىء عذب به يوم القيامة » . وفى كتابه صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن « ان أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق» الحديث . وروى عن أبى حازم أنه قال : شاهدت عمر بن عبد العزيز وقد رقد رقدة على أثر وجد وجده فبكى ثم ضحك ، فلما انتبه قال أبوحازم يا أمير المؤمنين ما الذى عراك فى منامك حتى ضحكت بعد البكاء قال أرأيت ذلك ؟ قلت نعم وجميع من حولك . قال رأيت كأن القيامة قد قامت ، وقد حشر الناس

مائة وعشرين صفا أمة محمد منهم ثمانون صفا وإذا مناد ينادى أين عبد الله بن أبى قحافة فأجاب فأخذته الملائكة فأوقفوه أمام ربه عزّوجل فحوسب حسابا يسيرا ثم نجا وأمر به وبصاحبه الى الجنة ثم نودى بعلىّ بن أبى طالب فجىء به فحوسب حسابا يسيرا ثم أمر به الى الجنة . قال عمر بن عبد العزيز ، فلما قرب الأمر منى نودى أين عمر بن عبد العزيز قال فتصببت عرقا ثم أخذتنى الملائكة فأوقفونى أمام الحق سبحانه وتعالى فسألنى عن النقير والقطمير ، وعن كل قضية قضيتها ثم غفرلى فأمربى ذات اليمين فمررت بجيفة ملقاة ، فقلت للملائكة ماهذه الجيفة فقالوا سله يجبك فتقدمت اليه فسألته ووكزته برجلى فرفع رأسه وفتح عينيه ، فقلت من أنت ؟ فقال من أنت . فقلت أنا عمر بن عبد العزيز . فقال لى مافعل الله بك فقلت تفضل علىّ ورحمنى وفعل بى كما فعل بمن سلف من الأئمة . فقال ليهنك ماصرت اليه . فقلت له من أنت . فقال أنا الحجاج بن يوسف قدمت على الله عزّوجل فوجدته شديد العقاب والغضب قتلنى بكل قتيل قتلة وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة وها أنا بين يدى ربى أنتظر ماينتظر الموحدون من ربهم إما الى الجنة وإما الى النار .

[تنبيه] قد أجمع العلماء على أن تعمد قتل المكلف آدميا محترما بلاحق من أكبر الكبائر . وقال ابن عباس وأبوهريرة وابن عمر وحسن بن علىّ وزيد بن ثابت رضى الله عنهم : لاتقبل توبة قاتل المؤمن عمدا لكن ذهب أهل السنة الى قبول توبته كالكافر بل أولى ولايتحتم ، بل هو فى خطر المشيئة ولايخلد وإن لم يتب ، وكلام الروضة وأصلها يدل على بقاء العقوبة الأخروية وإن وجد قود وكفارة .

باب الجهاد

قال الله تعالى — يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين — . وأخرج الشيخان وأبوداود عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الا الله وأنى رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الابحقها وحسابهم على الله » . وأبو داود وأبو يعلى عنه « الجهاد واجب عليكم » . والشيخان وأبوداود عن أبى موسى الأشعرى « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » . والشيخان عن أبى هريرة « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى العمل أفضل ؟ قال إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا قال حج مبرور » . وهما عنه « مثل المجاهد فى سبيل الله ، والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله كمثل الصائم القائم الدائم الذى لايفتر من صيام ولاصدقة حتى يرجع وتوكل الله للمجاهد فى سبيله اذ يتوفاه أن يدخله الجنة أويرجعه سالما مع أجر وغنيمة » . والديلمى عنه « ساعة فى سبيل الله خير من خمسين حجة » . والطبرانى عن نعيم بن همار « الشهداء الذين يقاتلون فى سبيل الله فى الصف الأول ولايلتفتون بوجوههم

حتى يقتلون فأولئك يلتقون فى الغرف العلى من الجنة يضحك اليهم ربك ، وان الله تعالى اذا ضحك الى عبده المؤمن فلاحساب عليه » . والحاكم عن أبى هريرة « الجنة تحت ظل السيوف » . والترمذى وابن ماجه عن المقدام بن معديكرب « للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوته منها خير من الدنيا ومافيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقربائه » . ومسلم والترمذى عن ابن مسعود « ان أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح فى الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة ، فقال هل تشتهون شيئا ، قالوا أىّ شىء نشتهى ، ونحن نسرح فى الجنة حيث نشاء يفعل بهم ذلك ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا . قالوا يارب نريد أن تردّ أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى ، قال انه قد سبق أنهم اليها لايرجعون ، قالوا فأبلغ عنا اخواننا فأنزل الله تعالى ــ ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله » . والطبرانى بسند رجاله ثقات عن عبد الله بن عمرو « قال اذا قتل العبد فى سبيل الله فأول قطرة تقع على الأرض من دمه يكفر الله ذنوبه كلها ثم يرسل الله بريطة من الجنة فيقبض فيها نفسه وبجسد من الجنة حتى يركب فيه روحه ، ثم يعرج مع الملائكة كأنه كان معهم منذ خلقه الله حتى يؤتى به الرحمن فيسجد قبل الملائكة ، ثم تسجد الملائكة بعده ، ثم يغفر له ويطهر ، ثم يؤمر به الى الشهداء فيجدهم فى رياض خضر وقباب من حرير وعندهم ثور وحوت يلعبانهم كل يوم بشىء لم يلعباه بالأمس يظل الحوت فى أنهار الجنة فيأكل من كل رائحة من أنهار الجنة ، فاذا أمسى وكزه الثور بقرنه فذكاه فأكلوا من لحمه ووجدوا فى طعم لحمه رائحة من ريح الجنة ويبيت الثور نافشا فى الجنة يأكل من ثمر الجنة . فاذا أصبح غدا عليه الحوت فذكاه بذنبه فأكلوا من لحمه فوجدوا فى طعم لحمه كل ثمرة فى الجنة ينظرون من منازلهم يدعون الله بقيام الساعة » . والعقيلى عن أبى هريرة « الشهداء عند الله على منابر من ياقوت فى ظل عرش الله يوم لاظل الاظله على كثب من مسك فيقول لهم الرب ألم أوف لكم وأصدقكم فيقولون بلى وربنا » . والأصبهانى عن عبد الله بن عمرو بن العاص « ان الله ليدعو الجنة يوم القيامة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول الله سبحانه وتعالى أين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وجاهدوا ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب فتأتى الملائكة فيقولون ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب هؤلاء الذين قاتلوا فى سبيلى وجاهدوا فتدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » . والطبرانى عن أنس « إذا وقف العبد للحساب جاء قوم واضعين سيوفهم على رقابهم تقطر دما فازدحموا على باب الجنة والناس فى الموقف ، فيقال من هؤلاء : قيل الشهداء كانوا أحياء مرزوقين » . وابن ماجه عن أبى هريرة « مامن مجروح يجرح فى سبيل الله . والله أعلم بمن يجرح فى سبيل الله الاجاء يوم القيامة وجرحه كهيئته يوم جرح اللون لون دم والريح ريح مسك » . ومسلم وأبوداود « عنه لايجتمع كافر قاتله فى النار أبدا » . والطبرانى « الشهيد

لايجد ألم القتل الا كما يجد أحدكم مس القرصة » . وأبو الشيخ « عضة نملة أشد على الشهيد من مس السلاح ، بل هو أشهى عنده من شرب ماء بارد لذيذ في يوم صائف » . والطبراني « من فاته الغزو معي فليغز في البحر » . وابن ماجه « غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر والذي يسدر في البحر كالمتشحط في دمه في سبيل الله » . وهو « يغفر لشهيد البر الذنوب كلها الا الدين ولشهيد البحر الذنوب والدين » . والطبراني « أيما مسلم رمى بسهم في سبيل الله فبلغ مخطئا أو مصيبا فله من الأجر كرقبة أعتقها من ولد اسمعيل ، وأيما رجل شاب في سبيل الله فهو له نور ، وأيما رجل أعتق مسلما فكل عضو من المعتق بعضو من المعتق فداء له من النار » . والترمذي « مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » . والطبراني والحاكم والبيهقي « حرس ليلة في سبيل الله عز وجل أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها » . ومسلم « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات أحد مرابطا جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان » . ومسلم وأبو داود « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق » . والترمذي « من لقي الله تبارك وتعالى بغير أثر من جهاد لقي الله تعالى وفي أيمانه ثلمة » . ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه « من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه » . والطبراني « من أسلم على يديه رجل وجبت له الجنة » اللهم ارزقنا شهادة [illegible] برحمتك آمين . وروى رافع بن [illegible] عن هشام بن يحيى الكناني قال لأحدثنك حديثا رأيته بعيني وشهدته نفسي ونفعني الله به فعسى أن ينفعك به . فقلت حدثني يا أبا الوليد قال : غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثمانين وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحرث ذو حظ من العبادة يصوم النهار ويقوم الليل فان سرنا درس القرآن وان أقمنا ذكر الله تعالى فجاءت ليلة [illegible] فيها فخرجت أنا وهو في غزوة ونحن محاصرين عند حصن من الحصون استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد من العبادة في تلك الليلة وصبره على النصب ما عجبت منه ، فلما طلع الفجر ، قلت له : يرحمك الله ان لنفسك عليك حقا فلو أرحتها فبكى . وقال يا أخي نم هي أنفاس تعد وعمر يفنى ويوم ينقضي ، وأنا رجل أرتقب الموت وأبادر خروج نفسي . قال فأبكاني ذلك ، فقلت له أقسمت عليك بالله الا دخلت الخباء واسترحت فدخل فنام ، وأنا جالس ظاهر الخباء فسمعت كلاما في الخباء ، [illegible] فإذا به يضحك في نومه ويتكلم فحفظت من كلامه قوله : ما أحب أن أرجع ، ثم مد يده اليمنى كأنه يلتمس شيئا ثم ردها ردا رفيقا وهو يضحك ، ثم وثب من نومه وهو ينتفض [illegible] في صدري عليا وهو يلتفت يمينا وشمالا حتى سكن وعاد إليه فؤاده ، وجعل يهلل ويكبر ، فقلت ما خبرك ؟ قال نعم قلت حدثني فقد سمعتك تقول ما أحب أن أرجع ورأيتك مددت يدك ثم رددتها فقال لا أخبرك فأقسمت عليه ، قال أوتكتم عني ما حييت ؟ قلت بلى . قال رأيت كأن القيامة قد قامت وخرج الخلق من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم ، فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجلان لم أر أحسن منهما فسلما علي . فرددت عليهما السلام فقالا لي يا سعيد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك ؛

وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجل لك البشرى فانطلق معنا حتى نريك ماأعدّ الله لك من النعيم . قال فانطلقت معهما حتى أخرجانى عن جلة الموقف . واذا بخيل لايشبه خيل الدنيا ، انما هو كالبرق الخاطف أوكهبوب الريح فركبنا وسرنا فانتهينا الى قصر شاهق مايبلغ الطرف منتهاه كأنه صيغ من فضة وله نور يتلالأ ، فلما وصلنا اليه فتح بابه من قبل أن نستفتح فدخلنا فرأينا شيئا لايبلغه وصف واصف ولايخطر على قلب بشر وفيه من الحور والوصائف والولدان بعدد النجوم ، فلما رأونا أخذوا فى ألوان من القول الحسن بأنغام مختلفة وقائل يقول هذا ولىّ الله قد جاء فرحبابه وأهلا فسرنا حتى انتهينا الى مجالس ذات أسرّة من ذهب مكللة بالجوهر محفوظة بكراسى من ذهب وعلى كل كرسى منها جارية لايستطيع أحد من خلق الله أن يصفها وفى وسطهن واحدة عالية عليهن فى طولها وكمالها وجمالها ، فقال الرجلان هذا منزلك وهؤلاء أهلك وهنا مثواك ، ثم انصرفا عنى ووثبت الجوارى بالترحيب والاستبشار كما يكون من أهل الغائب عند قدومه عليهن ، ثم حملونى حتى أجلسونى على السرير الأوسط الى جانب الجارية فقلن هذه زوجتك ولك أخرى مثلها ، وقد طال انتظارنا لك فكلمتها وكلمتنى ، فقلت أين أنا ؟ قالت فى جنة المأوى ، وقلت من أنت ؟ قالت أنا زوجتك الخالدة ، قلت فأين الأخرى ؟ قالت فى قصرك الآخر ، فقلت أقيم اليوم عندك وأتحول فى غد الى الأخرى ، ثم مددت يدى فردتها ردا رفيقا ، وقالت أما اليوم فأنت راجع الى الدنيا وستقيم ثلاثا ، فقلت ماأحب أن أرجع ، فقالت لابدّ من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاث ، ثم نهضت من مجلسها ، ثم نهضت لوداعها فاستيقظت .

قال هشام فغلبنى البكاء ، وقلت هنيئا لك ياسعيد جدد لله شكرا فقد كشف لك عن ثواب عملك ، فقال هل رأى أحد غيرك مارأيت ؟ قلت لا ، فقال بالله اكتم عنى مادمت فى الحياة ، ثم قام فتطهر ومس الطيب وأخذ سلاحه وسار الى موضع القتال ، وهو صائم فقاتل الى الليل ثم انصرف فتحدث الناس بقتاله ، وقالوا مارأيناه فعل مثل اليوم لقد كان يطرح نفسه تحت سهام العدوّ وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه ، فقلت فى نفسى لو يعلمون لتنافسوا فى مثل عمله ، ثم مكث قائما الى آخر الليل ، ثم أصبح صائما فقاتل أشد من اليوم الأول ، ثم مكث قائما الى آخر الليل ، ثم أصبح صائما فقاتل أبلغ من كل يوم . قال أبو الوليد فانطلقت لأنظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقى نفسه فى المهالك غالب النهار ولايصل اليه شىء حتى اذا دنا غروب الشمس جاءسهم فى نحره فخرّ صريعا ، وأنا أنظر اليه فضجت الناس وابتدروا اليه وأخذوه وجاءوا به يحملونه ، فلما رأيته ، قلت له هنيئا ماتفطر عليه الليلة ياليتنى كنت معك ، قال فعض على شفتيه ، وهو يضحك ، ثم قال الحمد لله الذى صدقنا وعده ثم مات . قال هشام فصحت ياعباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون واسمعوا ماأخبركم عن أخيكم هذا فأقبل الناس فحدثتهم الحديث على وجهه وما كان منه فمارأيت باكيا كالساعة ، ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر وشاع الحديث وبلغ الخبر الى مسلمة فجاء وقد وضعناه لنصلى عليه ، فقلت صل عليه أيها الأمير ، فقال : بل يصلى عليه الذى عرف من أمره ماعرف فى موضعه وبات الناس يتحدثون به ، فلما طلع الصباح تذاكرنا حديثه فصاحوا صيحة وحملوا على العدوّ ففتح الله الحصن فى ذلك النهار ببركته رحمة الله عليه .

وحكى اليافعى عن الشيخ عبد الواحد بن زيد . قال : بينما نحن ذات يوم فى مجلسنا هذا

قد تهيأنا للخروج الى الغزو وقد أمرت أصحابي أن تهيئوا لقراءة آية فقرأ رجل في مجلسنا ـ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ـ فقام غلام في مقدار خمس عشرة سنة ، أونحو ذلك وقد مات أبوه وورثه مالا كثيرا ، فقال ياعبد الواحد بن زيد ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فقلت نعم حبيبي ، فقال لى أشهدك أنى قد بعت نفسي ومالى بأن لى الجنة ، فقلت له ان حد السيف أشد من ذلك ، وأنت صبى ، وانى أخاف أن لاتصبر وتعجز عن ذلك ، فقال ياعبدالواحد أبايع الله بالجنة ثم أعجز ، أما أشهد الله انى قد بايعته أوكما قال رضى الله عنه . قال عبد الواحد فتقاصرت الينا أنفسنا وقلنا صبى يعقل ونحن لا نعقل فخرج من ماله كله تصدق به الا فرسه وسلاحه ونفقته ، فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا فقال السلام عليك ياعبدالواحد ، فقلت وعليك السلام ربح البيع ، ثم سرنا وهومعنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا اذا نمنا حتى اذا انتهينا الى بلاد الروم ، فبينما نحن كذلك اذا به قد أقبل وهو ينادى واشوقاه الى العيناء المرضية ، فقال أصحابي لعله وسوس هذا الغلام واختلط عقله ، فقلت حبيبي وماهذه العيناء المرضية ، فقال انى غفوت غفوة فرأيت كأنه أتانى آت ، فقال لى اذهب الى العيناء المرضية فهجم بى على روضة فيها نهر من ماء غير آسن ، واذا على شط النهر جوار عليهن من الحلى والحلل مالاأقدر أن أصفه ، فلما رأينني استبشرن وقلن هذا زوج العيناء المرضية ، فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فلقن نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت أمامى فاذا بنهر من لبن لم يتغير طعمه فى روضة فيها من كل زينة فيها جوار لما رأيتهن افتتنت بحسنهن وجمالهن ، فلما رأينني استبشرن بى وقلن والله هذا زوج العيناء المرضية ، فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن وعليك السلام ياولى الله نحن خدمها وإماؤها فتقدم أمامك فتقدمت ، فاذا أنا بنهر من خمر وعلى شط الوادى جوار أنسيننى من خلفت فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية قلن لا نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت أمامى . فاذا بنهر آخر من عسل مصفى وجوار عليهن من النور والجمال ماأنسانى ماخلفت فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن ياولى الله نحن إماؤها وخدمها فامض أمامك فمضيت أمامى فوصلت الى خيمة من درة بيضاء وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلى والحلل ، لاأقدر أن أصفه ، فلما رأتنى استبشرت ونادت فى الخيمة أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم قال فدنوت من الخيمة ودخلت . فاذا هى قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ، فلما رأيتها افتتنت بها وهى تقول ، مرحبا بك ياولى الرحمن قد دنا لك القدوم علينا فذهبت لأعتنقها ، فقالت مهلا فانه لم يؤذن لك أن تعتنقنى لأن فيك روح الحياة ، وأنت تفطر الليلة عندنا ، قال فانتبهت ياعبد الواحد ولاصبر لى عنها ، قال عبد الواحد فما نقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحمل الغلام فعددت تسعة من العدو قتلهم وكان هو العاشر فمررت به ، وهو يتشحط فى دمه ، وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

فصل فى الانفاق فى سبيل الله

قال الله تعالى ـ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ـ . وأخرج ابن ماجه عن ثمانية من الصحابة قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أرسل نفقة فى سبيل الله وأقام فى بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ، ومن غزا بنفسه فى سبيل الله وأنفق فى وجه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية ـ والله يضاعف لمن يشاء ـ » . وعن زيد بن خالد الجهنى « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا » . وأبو داود عن أبى أمامة « من لم يغز أو يجهز غازيا أو يخلف غازيا فى أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة » . ومسلم عن أبى مسعود الأنصارى . قال « جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه فى سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة » . والترمذى عن عبد الرحمن بن خباب قال « شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان رضى الله عنه فقال يارسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان رضى الله عنه . فقال يارسول الله على مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال يارسول الله على ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول : ما على عثمان ما عمل بعد هذه ، ما على عثمان ما عمل بعد هذه » . وأحمد عن عبد الرحمن بن سمرة قال « جاء عثمان ابن عفان رضى الله عنه بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره ﷺ فرأيت رسول الله ﷺ يقلبها فى حجره وهو يقول : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارا » . وعن قتادة أنه قال « حمل عثمان فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا » . وعن حذيفة « بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى عثمان فى جيش العسرة فبعث اليه عثمان بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقلبها ظهرا لبطن ويقول : غفر الله لك ياعثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالى ما عمل بعدها » وعن أنس قال « بينما عائشة فى بيتها إذ سمعت صوتا ، فقالت ما هذا ؟ قالوا عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت ، فقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قد رأيت عبد الرحمن يدخل الجنة حبوا فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال لئن استطعت لأدخلنها قائما فجعلها بأحمالها وأقتابها فى سبيل الله عز وجل » وعن ابن عمر رضى الله عنهما « من فدى أسيرا من أيدى العدو فأنا ذلك الأسير » .

فصل فى الفرار من الزحف

قال الله تعالى ـ ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ـ . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا السبع الموبقات : قيل يارسول الله وما هن . قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف

وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » . وأحمد « من لقي الله عز وجل لايشرك به شيئا وأدى زكاة ماله طيبة بها نفسه محتسبا وسمع وأطاع فله الجنة أو دخل الجنة » ، « وخمس ليس لهن كفارة : الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت مؤمن والفرار من الزحف ويمين صابرة يقتطع بها مالا بغير حق » . والطبرانى « ثلاثة لاينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف » . وأخرج أحمد والبزار « الفار من الطاعون كالفار من الزحف ومن صبر فيه كان له أجر شهيد » . والشيخان عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه » .

[تنبيه] ان الفرار من الزحف : أى من كافر أو كفار لم يزيدوا على الضعف لغير تحرف لقتال أو تحيز الى فئة يستنجد بها من الكبائر المهلكة .

فصل فى الغلول

قال الله تعالى — وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون — . وأخرج الطبرانى عن المستورد قال : قال رسول الله ﷺ « ردوا الخيط والخياط من غل مخيطا أو خياطا كلف يوم القيامة أن يجيء به [illegible] » . وأبو داود والحاكم « إذا وجدتم الرجل قد غل فأحرقوا متاعه واضربوه » . [illegible] يغل مرة [illegible] ومسلم عن عمر « لما كان يوم خيبر قتل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالوا فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد . فقال ﷺ كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة غلها ، ثم قال ﷺ يا ابن الخطاب اذهب فناد فى الناس أنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون ثلاثا . قال فخرجت فناديت ألا إنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون ثلاثا » . وأبو داود والطبرانى « أتى ﷺ بنطع من غنيمة فقيل يارسول الله هذا لك تستظل به من الشمس . قال أتحبون أن يستظل نبيكم بظل من نار يوم القيامة » . وأبو داود « من كتم على غال فهو مثله » . والطبرانى « إن لم يغل أمتى لم يقم لهم عدو أبدا » . قال [illegible] يثبت لكم العدو حلب شاة ؟ قال نعم ، وثلاث شياه غزر ، [illegible] . وأحمد وله [illegible] « من غزا فى سبيل الله ولم ينو إلا عقالا فله ما نوى » . [illegible] « أن رجلا قال يارسول الله رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا فقال النبى ﷺ لا أجر له وأعظم ذلك الناس وقالوا للرجل [illegible] رسول الله ﷺ [illegible] أن لا تفهمه . فقال يارسول الله رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا . قال : لا أجر له . فقالوا للرجل عد لرسول الله ﷺ فقال له الثالثة لا أجر له » .

[تنبيه] ان الغلول هو اختصاص أحد الغزاة سواء [illegible] بشىء من مال الغنيمة [illegible] القسمة من غير أن يحضره إلى أمير الجيش ليخمسه ويقسمه [illegible] شرعية [illegible] مأخوذ فهو حرام بل هو كبيرة كما صرحوا به .

[فائدتان : احداهما] أنه اذا حصل شىء من الغنيمة [illegible]

يقسم الباقي قسمة شرعية وجب الخمس في الذي صار إليه ولا يحل له الانتفاع بالباقي حتى يعلم أنه حصل لكل من الغانمين بقدر حصته من هذا ، فان تعذر صرف ما صار إليه إلى مستحقه دفعه إلى القاضي العدل كسائر الأموال الضائعة فالى عالم موثوق به وأعلمه الحال ليصرفه إلى مصارفه . وثانيتهما أنه قال بعضهم كما يحرم الغلول من الغنيمة يحرم الغلول من الأموال المشتركة بين المسلمين ومن بيت المال والزكاة فلا فرق في غال الزكاة بين أن يكون من مستحقيها وغيرهم ، لأن الظفر ممنوع فيها إذ لابد فيها من النية بل لو أفرز من المال قدرها ونوى لم يجز الظفر أيضا لتوقف ذلك على اعطاء المالك ، فعند عدم اعطائه يتعذر الملك فكان باقيا على ملك مالكه حتى يعطيه فاتضح امتناع الظفر في مال الزكاة مطلقا .

باب الكهانة والعرافة والطيرة والتنجيم والسحر وإتيان أصحابها

أخرج البزار عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ « ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » . وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » . والطبراني « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ ، ومن أتاه غير مصدق له لم يقبل له صلاة أربعين يوما » . وهو « من أتى كاهنا فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فان صدقه بما قال فقد كفر » . وهو أيضا « من أتى عرافا أو ساحرا أو كاهنا يؤمن بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » . ومسلم « من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما » . وأبو داود وابن ماجه « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد » . والشيخان عن أبي هريرة « اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول الله وما هن ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » . والنسائي عنه « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق بشيء وكل إليه » أي من علق على نفسه الحروز والعوذ يوكل إليه . وأحمد عن عثمان بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كان لداود نبي الله ساعة يوقظ فيها أهله يقول يا آل داود قوموا فصلوا من هذه الساعة يستجيب الله فيها الدعاء الا لساحر أو عاشر » .

[تنبيه] الكهانة هي الأخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان وادعاء الغيب وزعم أن الجن تخبره بذلك ، والعرافة هي ادعاء معرفة السارق ومكان الضالة . والطيرة هي التشاؤم بالشيء ، والتنجيم هو ادعاء المنجم معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان : كمجيء المطر والسيل وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك ؛ وهو يزعم أنه يدرك ذلك بسير الكواكب لاقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان وهذا علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه أحد غيره ، فمن ادعى علمه بذلك فهو فاسق بل ربما يؤدي ذلك به الى الكفر ، والسحر تخييل يؤثر في الأبدان بالأمراض والجنون والموت

فكل ماذكر حرام اجماعا، بل هو من الكبائر اتفاقا يكفر فى بعض الأحوال . وقال الشافعى : ان القتل بالسحر يوجب القصاص على من قتل به . وقال أبو حنيفة رضى الله عنه : ان الساحر يقتل مطلقا اذا علم أنه ساحر باقراره أو ببينة تشهد أنه ساحر ويصفونه بصفة يعلم أنه ساحر ولا يقبل قوله أترك السحر وأتوب عنه . وسئل أبو حنيفة لم لم يكن الساحر بمنزلة المرتد حتى تقبل توبته ؟ فقال لأنه جمع مع كفره السعى فى الارض بالفساد ومن كان كذلك يقتل مطلقا . وروى أن امرأة أتت عائشة رضى الله عنها فقالت أنا ساحرة هل لى من توبة ؟ قالت وما سحرك ؟ فقالت سرت الى الموضع الذى فيه هاروت وماروت أطلب علم السحر، فقالا ياأمة الله لاتختارى عذاب الآخرة بأمر الدنيا فأبيت ، فقالا لى اذهبى فبولى على ذلك الرماد ، فذهبت لأبول ففكرت فى نفسى فقلت لافعلت وجئت اليهما ، فقلت قد فعلت فقالا لى مارأيت لما فعلت . فقلت مارأيت شيئا . فقالا لى فاتقى الله ولاتفعلى ، فأبيت فقالا لى اذهبى فافعلى فذهبت وفعلت فرأيت كأن فارسا مقنعا بالحديد خرج من فرجى فصعد الى السماء فجئتهما فأخبرتهما فقالا ذاك ايمانك خرج منك وقد أحسنت السحر قلت وما هو ؟ قالا لاتريدين بشئ فتصوريه فى وهمك الا كان فتصورت نفسى حبا من حنطة فاذا أنا بحب . فقلت ازرع فانزرع فخرج من ساعته سنبلا فقلت انطحن فانطحن من ساعته وتخبز وأنا لاأريد شيئا أصوره فى نفسى الاحصل فقالت عائشة رضى الله عنها : ليس لك توبة . وروى سفيان عن عامر الذهبى : أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة يمشى على الحبل ويدخل فى است الحمار ويخرج من فيه فاشتمل جندب سيفه وقتله به ، وهو جندب بن كعب الازدى ، وهو الذى قال النبى ﷺ فى حقه « يكون فى أمتى رجل يقال له جندب يضرب ضربة بالسيف يفرق بها بين الحق والباطل » فكانوا يرونه جندبا هذا قاتل الساحر .

باب الزنا

قال الله تعالى — ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا — ، وقال الله تعالى — والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما — أى عقوبة . قال مجاهد : هو اسم واد فى جهنم وقيل بئر فيها — يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب — . وقال — الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله — أى فى حكمه — ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين — هذا فى غير المحصن . أما المحصن فيرجم الى أن يموت لما ثبت فى الخبر الصحيح . وأخرج الشيخان وأحمد والترمذى والنسائى عن ابن مسعود قال « سألت رسول الله ﷺ أى الذنب أعظم عند الله . قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك : قلت ان ذلك لعظيم . قلت ثم أى ؟ قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك . قلت ثم أى ؟ قال أن تزانى حليلة جارك » . وأبو داود والترمذى « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» زاد النسائى « فاذا فعل ذلك خلع ربقة الايمان من عنقه فان تاب تاب الله عليه » . وأبو داود والبيهقى والترمذى « اذا زنى الرجل خرج منه الايمان وكان عليه كالظلة فاذا أقلع رجع اليه الايمان » . والحاكم « من زنى أو شرب الخمر نزع

منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه » . وأبوداود والنسائى « لايحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الا فى إحدى ثلاث : زنا بعد إحصان فانه يرجم ، ومن خرج محاربا لله ورسوله فانه يقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض ، ومن يقتل نفسا فيقتل بها » . وابن أبى الدنيا « مامن ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى رحم لايحل له » . وابن حبان فى صحيحه أنه ﷺ قال « تعبد عابد من بنى إسرائيل فعبد الله فى صومعته ستين عاما فأمطرت الأرض فاخضرت فأشرف الراهب من صومعته . فقال لو نزلت فذكرت الله تعالى فازددت خيرا فنزل ومعه رغيف أو رغيفان فبينما هو فى الأرض لقيته امرأة فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها ثم أغمى عليه ثم مات فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية بحسناته » . والبزار « إن السموات السبع والأرضين السبع ليلعن الشيخ الزانى ، وان فروج أهل النار ليؤذى أهل النار نتن ريحها » . والخرائطى وغيره « المقيم على الزنا كعابد وثن » أعاذنا الله منه . وأبوداود « من جامع المشركة وسكن معها فانه مثلها » . والبخارى « رأيت الليلة رجلين فأتيانى فأخرجانى الى الأرض المقدسة ، فذكر الحديث الى أن قال « فانطلقا بى الى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع تتوقد تحته نار ، فاذا ارتفعت ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا ، فاذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة » الحديث وفى آخره « فأما الرجال والنساء العراة الذين هم فى مثل بناء التنور فانهم الزناة والزوانى » . وابن أبى الدنيا والخرائطى عن على كرم الله وجهه قال « ان الناس يرسل عليهم يوم القيامة ريح منتنة حتى يتأذى منها كل بر وفاجر حتى اذا بلغت منهم كل مبلغ ناداهم مناد يبلغهم الصوت فيقول لهم هل تدرون هذه الريح التى قد آذتكم ، فيقولون لاندرى والله الا أنها قد بلغت منا كل مبلغ فيقال انها ريح فروج الزناة الذين لقوا الله بزناهم ولم يتوبوا منه ثم ينصرف عنهم » . وروى عن النبى ﷺ « إن ابليس يبث جنوده فى الأرض ويقول أيكم أضل مسلما ألبسه التاج على رأسه فأعظمهم فتنة أقربهم اليه منزلة فيجىء أحدهم فيقول لم أزل بفلان حتى طلق امرأته فيقول ماصنعت شيئا سوف يتزوج غيرها ، ثم يجىء الآخر فيقول لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة فيقول ماصنعت شيئا سوف يصالحه ، ثم يجىء الآخر فيقول لم أزل بفلان حتى زنى ، فيقول ابليس نعم مافعلت فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه » ، نعوذ بالله من شر الشيطان وجنوده . وعنه أيضا « ان فى جهنم واديا يقال له جب الحزن فيه حيات وعقارب ، كل عقرب تعدل البغل لها سبعون شوكة فى كل شوكة راوية سم تضرب الزانى وتفرغ سمها فى جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة ثم يتهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد » . وورد « ان فى الزبور مكتوبا : ان الزناة يعلقون بفروجهم فى النار ويضربون عليها بسياط من حديد ، فاذا استغاث أحدهم من الضرب نادته الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله ولا تستحى منه » . وورد أيضا « ان من زنى بامرأة متزوجة كان عليه وعليها فى القبر نصف عذاب هذه الأمة ، فاذا كان يوم القيامة يحكم الله تعالى زوجها فى حسناته ، هذا اذا كان بغير علمه ، فان علم وسكت حرم الله عليه الجنة لان الله تعالى كتب على بابها أنت حرام على الديوث » وهو الذى يعلم الفاحشة فى أهله ويسكت ولايغار . وورد أيضا « ان من وضع يده على امرأة لاتحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فان قبلها

قرضت شفتاه فى النار فان زنى بها نطقت فخذاه وشهدت عليه يوم القيامة وقالت أنا للحرام ركبت فينظر الله اليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه فيكابر ويقول مافعلت فيشهد عليه لسانه ويقول أنا بما لايحل لى نطقت وتقول يداه أنا للحرام تناولت وتقول عينه أنا للحرام نظرت وتقول رجله أنا لما لايحل لى مشيت ويقول فرجه أنا فعلت ويقول الحافظ من الملائكة وأنا سمعت ويقول الملك الآخر وأنا كتبت ويقول الله تعالى وأنا اطلعت وسترت ، ثم يقول ياملائكتى خذوه ومن عذابى فأذيقوه قد اشتدّ غضبى على من قلّ حياؤه منى» .

[تنبيه] الزنا أكبر الكبائر بعد القتل إجماعا ، ومن ثم قرنه تعالى بالشرك والقتل فى الآية السابقة . وقيل هو أكبر من القتل فهو الذى يلى الشرك ، وأفحش أنواعه الزنا بحليلة الجار ويكفر مستحله ومن تمنى أن لايحرم .

واعلم أن حد الزانى المحصن الرجم فقط الى أن يموت ، والمحصن هنا الواطئ أو الموطوءة فى القبل فى نكاح صحيح ولو مرة فى عمره ، ويجوز للمضطر قتله وأكله كتارك الصلاة بلاعذر ، ولاقصاص على من قتلهما ، وحدّ غيره جلد مائة وتغريب عام ولاء ان كان حرا ، ومن زنى بكرا ثم محصنا يجلد ثم يرجم ، وحدّ من فيه رق وتغريبه نصف الحر . وروى عن عمرو بن ميمون قال : كنت فى حرث فرأيت قرودا كثيرة قد اجتمعن فرأيت قردة وقردا اضطجعا ، ثم أدخلت القردة يدها تحت عنق القرد واعتنقها وناما فجاء قرد آخر فغمزها فنظرت اليه واستلت يدها من تحت رأس القرد ثم انطلقت معه غير بعيد فنكحها وأنا أنظر ، ثم رجعت فى موضعها فذهبت تدخل يدها تحت عنق القرد فانتبه فشم دبرها . قال فاجتمعت القردة فجعل يشير اليها فتفرقت القردة فلم ألبث أن جىء بذلك القرد بعينه أعرفه فانطلقوا بها وبه الى موضع كثير الرمل فحفروا لهما حفرة فجعلوهما فيها ثم رجموهما حتى ماتا . وعن ابن عباس أنه قال : كان فى بنى إسرائيل راهب متفرد فى صومعته دهرا طويلا وكان ملك يأتيه كل يوم غدوا وعشيا ويقول له ألك حاجة وأنبت الله له فى الحجر فوق صومعته كرما يحمل له فى كل يوم قطفا من العنب ، وكان اذا عطش مدّ يده فيسكب فيها الماء من الهواء . فبينما هو كذلك اذ هو بامرأة ذات حسن وجمال مع العشاء فنادته ياراهب أسألك بحق المعبود الا مابيتنى عندك الليلة فان مكانى بعيد فقال اصعدى ، فلما صارت عنده رمت ثوبها وقامت عريانة تجلو نفسها فغطى وجهه ثم قال لها ويلك استترى فقالت والله لابدّ لى منك أن تمتع الليلة بى . فقال لنفسه ماتقولين فقالت اتقى الله فقال لها ويحك تريدين أن تذهبى بعبادتى وتذيقينى سرابيل القطران ومقطعات النيران ، وأخاف عليك من نار لاتطفأ وعذاب لايفنى . وأخاف أن يغضب ربنا فلا يرضى فراودته نفسه فقال لها أعرض عليك نارا صغيرة فاذا صبرت عليها متعتك الليلة ، فقام وملأ السراج زيتا وغلظ فتيلته والمرأة تسمع وتبصر ، ثم أخذ أصبعه فأدخلها فى السراج فصاح بها ملك من السماء أحرقى إبهامه فأكلت إبهامه ثم رجعت فى السبابة فأكلتها ثم كذلك حتى أكلت يده فصاحت المرأة صيحة فماتت فسترها بثوبها وقام الى الصلاة ، فلما أصبح وقف ابليس عند صومعته وصرخ فى المدينة : ان الراهب قد زنى بفلانة وقتلها ، فركب ملك المدينة فى مملكته وصاح به فأجابه ، فقال أين فلانة فقال عندى . فقال قل لها تنزل قال انها ماتت . قال لها رضيت بالزنا حتى قتلتها فخربوا الدير وهدموا الصومعة وجعلوا فى رقبته حبلا وجاءت المرأة

وجيء بالرجل الى موقف العذاب وكان القوم ينشرون الزاني والزانية بالمناشير ويده ملفوفة فى كمه لا يعلمهم ولا يحدثهم بقصته فوضع المنشار على رأسه وقال لأصحاب العذاب جروا جروا و بلغ الى عنقه فتأوه فأوحى الله الى جبريل أن قل له لا تنطق بها أنا أنظر اليك فقد أبكيت حملة العرش وسكان سمواتي ، وعزتي وجلالي لئن تأوهت ثانية لأهدمن السموات ولأخسفن بمن فى الأرض . قال ابن عباس فرد الروح فى المرأة فقامت وقالت والله هو مظلوم ومازنى بى وماقتلني وأنا بخاتم ربي ثم قصت عليهم القصة فأخرجوا يده فاذا هى محرقة ، فقالوا لوعلمنا مانشرناك وخر ميتا وخرت المرأة ميتة فحفروا لهما قبرا فوجدوا فيه مسكا وكافورا ، ثم غسلوهما وكفنوهما وصلوا عليهما ودفنوهما فنادى مناد من السماء ان الله تعالى قد نصب الميزان تحت العرش وأشهد ملائكته أنى زوجته خمسين ألف عروس من الفردوس ، وهكذا أفعل بأهل المراقبة نفعنا الله به .

وحكى عن الحسن قال : كانت امرأة بغى فى زمن بنى اسرائيل لها ثلث الحسن لا تمكن من نفسها الا بمائة دينار وأنه أبصرها عابد فأعجبته فذهب وعمل بيده وعالج فجمع مائة دينار ، ثم جاء اليها وقال انك أعجبتيني فانطلقت فعملت بيدى وعالجت حتى جمعت مائة دينار . فقالت ادخل فدخل وكان لها سرير من ذهب فجلست على سريرها ثم قالت له هلم ، فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذكر مقامه بين يدى الله الرقيب لأعمال العباد فأخذته رعدة فقال لها اتركيني أخرج ولك المائة دينار قالت مابدالك وقد زعمت أنى أعجبتك ، فلما قدرت على فعلت الذى فعلت قال فزعا من الله ومن مقامى بين يديه وقد غضب على فأنت أبغض الناس الى . فقالت ان كنت صادقا فمالى زوج غيرك فقال دعيني أخرج . فقالت له لا الا أن تجعل لى أنك تتزوج بى قال أفعل فتقنع بثوبه ثم خرج الى بلده فارتحلت نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده فسألت عن اسمه ومنزله فدلت عليه وكانت تعرف بالملكة ، فقيل له ان الملكة قد جاءت ، فلما رآها شهق شهقة فمات رحمه الله . قال فسقطت فى يدها وقالت أما هذا فقد فاتنى هل له من قريب قالوا له أخ رجل فقير قالت فأنا أتزوج به حبا لأخيه فتزوجته فيسر الله تعالى منه سبعة أنبياء (١) .

وحكى اليافعي : أنه كان شاب فى بنى إسرائيل لم ير فى زمانه أحسن منه وكان يبيع القفاف ، فبينما هو ذات يوم يطوف بقفافه اذخرجت امرأة من دار ملك من ملوك بنى إسرائيل ، فلما رأته رجعت مبادرة . فقالت لابنة الملك انى رأيت شابا بالباب يبيع القفاف لم أر شابا أحسن منه . فقالت لها أدخليه فخرجت اليه وقالت يافتى ادخل معى نشتر منك فدخل فأغلقت الباب دونه ، ثم دخل بابا آخر فكذلك حتى أغلقت عليه ثلاثة أبواب ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها . فقال اشتروا حاجتكم فقالت انا لم ندعك لهذا انما دعوناك لكذا يعنى تراوده عن نفسه . فقال لها اتقى الله . قالت ان لم تطاوعنى على ما أريد أخبرت الملك أنك انما دخلت على تكابرنى عن نفسى فوعظها فأبت فقال ضعوا لى وضوءا فقالت ياجارية ضعى له وضوءا فوق الجوشق مكانا لا يستطيع أن يفر منه . قال وكان من فوق الجوشق الى الأرض أربعون ذراعا ، فلما صار فى أعلى الجوشق قال : اللهم انى دعيت الى معصيتك وإنى أختار أن أرمى بنفسى من الجوشق ولا أرتكب المعصية ،

(١) هو الامهات يجب أن يكون فى حق الانبياء ، فانه عار لا يمحوه شيء ، وفى الكتاب حكايات تماثل هذه فى عدم الصحة فليتنبه لها اهـ مصححه

ثم قال بسم الله رألقى نفسه من أعلى الجوشق فأهبط الله اليه ملكا من الملائكة فأخذ بضبعيه فوقع قائما على رجليه . فلما صار فى الأرض قال : اللهم ان شئت رزقتنى رزقا تغنينى به عن بيع هذه القفاف ، فأرسل الله اليه جرادا من ذهب فأخذ منه حتى ملأ ثوبه ، فلما صار فى ثوبه قال : اللهم ان كان هذا رزقا رزقتنيه فى الدنيا فبارك لى فيه . قال فنودى ان هذا الذى أعطيتك جزء من خمسة وعشرين جزءا من أجر صبرك على إلقائك نفسك من هذا الجوشق . فقال : اللهم لاحاجة لى فيما ينقص مما لى عندك فى الآخرة فرفع ذلك منه وقيل للشيطان هلا اغويته : يعنى بارتكاب الفاحشة . فقال كيف أقدر أغوى من بذل نفسه لله رضى الله عنه ونفعنا به .

وحكى أيضا عن بعض الصالحين قال : بينما أنا أطوف بالكعبة إذا بجارية على عنقها طفل صغير وهى تنادى : يا كريم يا كريم عهدك القديم . قال فقلت لها ماهذا العهد الذى بينك وبينه قالت ركبت فى سفينة ومعنا قوم من التجار فعصفت بنا ريح فغرقت السفينة وجميع من فيها ولم ينج منهم أحد غيرى وهذا الطفل فى حجرى وأنا على لوح ورجل أسود على لوح آخر ، فلما أضاء الصبح نظر الأسود إلىّ وجعل يدافع الماء بيده حتى لصق بى ، واستوى معنا على اللوح وجعل يراودنى عن نفسى ، فقلت ياعبد الله أما تخاف الله نحن فى بلية لانرجو الخلاص منها بطاعته فكيف بمعصيته ، فقال دعى عنى هذا فوالله لابدّ لى من هذا الأمر . قالت وكان هذا الطفل نائما فى حجرى فقرصته فاستيقظ و بكى فقلت ياعبد الله دعنى أنوّم هذا الطفل ويكون من أمرنا ماقدّر الله فمدّ الأسود يده الى الطفل ورمى به فى البحر فرمقت إلى السماء بطرفى وقلت يامن يحول بين المرء وقلبه حل بينى و بين هذا الأسود بحولك وقوّتك إنك على كل شىء قدير فوالله ما استوعبت الكلمات حتى ظهرت دابة من دواب البحر ، ففتحت فاها والتقمت الأسود وغاصت به فى البحر وعصمنى الله منه بحوله وقدرته وهو القادر على مايشاء سبحانه وتعالى قالت ومازالت الأمواج تدافعنى حتى رمتنى إلى جزيرة من جزائر البحر ، فقلت فى نفسى آكل من بقلها وأشرب من مائها حتى يأتى الله بأمره فلا فرج لى الا منه ، فمكثت أربعة أيام ، فلما كان فى اليوم الخامس لاحت لى سفينة فى البحر على بعد فعلوت على تل وأشرت اليهم بثوب كان علىّ فخرج الىّ منهم ثلاثة أنفس فى زورق فركبت معهم ، فلما دخلت السفينة الكبرى اذا بالطفل الذى رمى به الأسود فى البحر عند رجل منهم فلم أتمالك أن ترامیت علیه وقبلت بين عينيه وقلت والله ولدى وقطعة من كبدى ، فقال لى أهل السفينة : أمجنونة أنت أم خبل عقلك ؟ فقلت والله ما أنا بمجنونة ولاخبل عقلى ولكن خبرى كيت وكيت وذكرت لهم القصة الى آخرها . فلما سمعوا ذلك منى أطرقوا رؤوسهم وقالوا ياجارية قد أخبرتنا بأمر تعجبنا منه ونحن أيضا نخبرك بأمر تعجبين منه بينما نحن نجرى بريح طيبة اذا بدابة قد عرضت ووقفت أمامنا وهذا الطفل على ظهرها واذا منادٍ ينادى أن لم تأخذوا هذا الطفل من على ظهرها والا هلكتم ، فصعد واحد على ظهرها وأخذ الطفل ، فلما دخل به فى السفينة غاصت الدابة فى البحر وقد تعجبنا من هذا ومما أخبرتنا وقد عاهدنا الله تعالى أن لايرانا على معصية بعد هذا اليوم . قال فتابوا عن آخرهم . قلت سبحان اللطيف جميل العوائد سبحان مدرك الملهوف عند الشدائد ، حمانا من الزنا الرب الودود وجعلنا من خير العباد .

خاتمة

فى زنا العين واليد وفى الخلوة بالأجنبية

أخرج الشيخان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا يدرك ذلك لامحالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ذلك ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » . وفى رواية لمسلم « واليدان تزنيان فزناهما البطش والرجلان تزنيان فزناهما المشى والفم يزنى فزناه التقبيل » . وأحمد والطبرانى « العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزنى » . وهما « مامن مسلم ينظر الى امرأة أول رمقة ثم يغض بصره الا أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه » . قال البيهقى : يعنى انما أراد أن يقع بصره عليها من غير قصد فيصرف بصره عنها تورعا . والطبرانى والحاكم « أنه ﷺ قال يعنى عن ربه عز وجل : النظرة سهم مسموم من سهام ابليس من تركها من مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه » . والاصبهانى « كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت فى سبيل الله وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله » . وهو ايضا « ثلاثة يتحدثون فى ظل العرش آمنين والناس فى الحساب : رجل لم يأخذه فى الله لومة لائم ورجل لم يمد يده الى مالايحل له ورجل لم ينظر الى ماحرم الله عليه » . والبيهقى عن الحسن مرسلا قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « لعن الله الناظر والمنظور اليه » . ومسلم عن جرير « سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال اصرف بصرك » . وصح « مامن صباح الا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال » . وللطبرانى عن معقل بن يسار « لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط أو بمسلة من حديد خير له من أن يمس امرأة لاتحل له » . وهو « إياكم والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ماخلا رجل بامرأة الادخل الشيطان بينهما ولأن يزحم رجلا خنزير متلطخ بطين أوحمأ : أى طين أسود منتن خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لاتحل له » . وهو أيضا « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس بينه وبينها محرم » . والحكيم « إياكم ومحادثة النساء فانه لايخلو رجل بامرأة ليس لها محرم الاهم بها » . وأحمد والبيهقى عن ابن سيرين قال « خرجنا فاذا بدابة فمن دنا منها قتلته . قال فجاء رجل أعور قال دعونى وإياها فدنا منها فوضعت رأسها له حتى قتلها . فقالوا حدثنا من أمرك . فقال ما أصبت ذنبا قط الا ذنبا واحدا بعينى هذه فأخذت سهما فقأتها به » . وروى عن كعب الأحبار قال « قحط بنو إسرائيل على عهد موسى عليه السلام فسألوه أن يستسقى فقال اخرجوا معى الى الجبل فخرجوا ، فلما صعدوا الجبل قال موسى لايتبعنى رجل أصاب ذنبا ، فانصرفوا جميعا الا رجلا أعور يقال له برخ العابد . فقال له موسى ألم تسمع ماقلت ؟ قال بلى قال فلم تصب ذنبا قال ما أعلمه الاشيئا أذكره ، فان كان ذنبا رجعت قال ماهو قال مررت فى طريق فاذا باب حجرة مفتوح فلمحت بعينى هذه الذاهبة شخصا لاأعلم ما هو رجل أم امرأة . فقلت لعينى أنت من بدنى سارعت الى الخطيئة لاتصحبينى بعدها فأدخلت أصبعى فقلعتها ، فان كان هذا ذنبا رجعت . فقال موسى ليس هذا ذنبا ثم قال له استسق يابرخ . فقال

قدوس قدوس ماعندك لاينفد وخزائنك لاتفنى وأنت بالبخل لا ترمى ، فـاهذا الذى لاتعرف به اسقنا الغيث الساعة الساعة . قال فانصرفا يخوضان الوحل برحمة الله عزّ وجل .

وحكى الأصمعى قال : خرجت حاجا الى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون اذ خرج علينا أسد عظيم الخلقة هائل المنظر فقطع على الركب الطريق . فقلت لرجل الى جانبى : أما فى هذا الركب رجل يأخذ سيفه ويرد عنا هـذا الأسد ؟ فقال : أما الرجل فلا أدرى ولـكنى أعرف امرأة ترده بغير سيف . فقلت وأين هى فقام وقمت معه الى هودج قريب منا فنادى يابنية انزلى فردى عنا هذا الأسد . فقالت يا أبت أيطيب قلبك أن ينظر الىّ الأسد وهو ذكر وأنا أنثى ولـكن يا أبت قل للأسد ابنتى فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذى لا تأخـذه سنة ولا نوم الاماعدلت عن طريق القوم .

وحكى اليافعى عن بعض الصالحين قال : كان بالبصرة رجل يقال له ذكوان كان سـيدا فى زمانه ، فلما حضرته الوفاة لم يبق أحـد بالبصرة الا شهد جنازته . قال فلما انصرف الناس من دفنه نمت عند بعض القبور ، واذا ملك قد نزل من السماء وهو يقول : يا أهل القبور قوموا لأخذ أجوركم فانشقت القبور عن أهلها وخرج كل من فيها فغابوا ساعة ، ثم جاءوا وذكوان فى جملتهم وعليه حلتان من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وبين يديه غلمان يسبقونه الى قبره واذا الملك ينادى : هذا عبد كان من أهل التقوى فنظرة واحدة وصلت اليه الحور والذين امتثلوا فيه أمر المولى فقرب من جهنم فخرج اليه منها نار [illegible] بعض جسده فأحرقت ذلك الموضع ونادى ياذكوان لم يخف عنى شىء من أمرك [illegible] هـذه النفخة بتلك النظرة ولو زدت لزدناك ، فبينما هو كذلك واذا رجل قد أطلع رأسه من قبره . فقال يا هؤلاء ما وردتم فوالله لقد مت منذ تسعين سنة فما ذهبت حرارة الموت منى حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت قال وبين عينيه أثر السجود .

[تنبيه] اعلم أن [illegible] الى شىء من الأجنبية [illegible] لو منفصلا منها كشعر وقلامة ظفر أوكانت [illegible] وعجوزا فهو حرام على [illegible] ولو من غير [illegible] شهوة ، ويحرم نظر [illegible] زمن الرضاع والتربية ، ونظر المرأة الى الرجل [illegible] كعكسه ، [illegible] نظر فرج صغير [illegible] ويجب على المسلمة أن تحتجب من الكافرة [illegible] وعن [illegible] أن زنا اليدين هو اللمس [illegible] مس [illegible] محرمه أو رجله [illegible] بلا حاجة . [illegible] امرأتين [illegible] كل [illegible] من الفرش [illegible] فى المضجع [illegible] يحرم نظر ومس شىء من أجنبية [illegible] وأن الخلوة بالأجنبية حرام حيث لم يكن معهما محرم لأحدهما [illegible] ولا امرأة كذلك ولا زوج تلك الأجنبية ، ويحرم [illegible] هذه الثلاثة مع الأمرد الجميل .

فصل فى اللواط

أخرج بن ماجه والترمذى عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ ان أخوف

ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط » . وأحمد والنسائي « لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سموات وردّد اللعنة على كل واحد منهم ثلاثا ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من ذبح لغير الله ملعون من أتى شيئا من البهائم ملعون من عق والديه ملعون من جمع بين امرأة وابنتها ملعون من غير حدود الأرض ملعون من ادعى الى غير مواليه » . وأحمد « ملعون من سبّ أباه ملعون من سبّ أمه ملعون من غير تخوم الأرض ملعون من كمه أعمى ملعون من وقع على بهيمة ملعون من عمل عمل قوم لوط » . والبيهقي « أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله . قلت من هم يارسول الله ؟ قال المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال والذي يأتي البهيمة والذي يأتي الرجال » . والترمذي والنسائي « لاينظر الله عز وجل الى رجل أتى رجلا أوامرأة في دبرها » . والطبراني « ثلاثة لايقبل الله لهم شهادة أن لااله الا الله : الراكب والمركوب والراكبة والمركوبة والامام الجائر » . وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » . وقال ابن عباس « ان اللوطي اذا مات من غير توبة مسخ في قبره خنزيرا » . وروى أن خالد بن الوليد كتب الى أبي بكر رضي الله عنه أنه وجد رجلا في بعض نواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة فجمع أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ فيهم علي كرم الله وجهه . فقال ان هذا ذنب لم تعمل به الأمم الا أمة واحدة وقد علمتم ماصنع الله بها وأرى أن تحرقوه بالنار ، فاجتمع رأى أصحاب رسول الله ﷺ أن يحرق بالنار فحرقه خالد . وروى أيضا أن عيسى عليه السلام مرّ في سياحته على نار تتوقد على رجل فأخذ ماء ليطفئها عنه فانقلبت النار صبيا وانقلب الرجل نارا فتعجب عيسى من ذلك . فقال يارب ردهما الى حالهما في الدنيا لأسألهما عن خبرهما فأحياهما الله تعالى فاذا هما رجل وصبي فقال لهما عيسى عليه السلام ماخبركما وما أمركما ؟ فقال الرجل ياروح الله اني كنت في الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة ، فلما مت ومات الصبي صيره الله الي نارا تحرقني مرة وصيرني نارا أحرقه أخرى ، فهذا عذابنا إلى يوم القيامة ، نعوذ بالله من عذابه ونسأله من موجبات سخطه وأليم عقابه .

[تنبيه] قال البغوي اختلف أهل العلم في حد اللواط فذهب قوم إلى أنه يحد الفاعل حدّ الزنا ان كان محصنا يرجم وإن لم يكن محصنا يجلد مائة وهو أظهر قولي الشافعي رضي الله عنه وعلى المفعول به عنده على هذا القول جلد مائة وتغريب عام رجلا كان أو امرأة محصنا أو غير محصن ، وذهب قوم إلى أن اللوطي يرجم ولوغير محصن قول مالك وأحمد بن حنبل ، والقول الآخر للشافعي أنه يقتل الفاعل والمفعول به كما جاء في حديث .

[فائدة] يحرم مصافحة الأمرد بشرطه ولوقدم من سفر ، وقيل في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطية وهم ثلاثة اصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون ، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث . قال بعضهم : والنظر الى المرأة والأمرد زنا لخبر صحيح فيه .

خاتمة في السحاق

أخرج الطبراني « ثلاثة لايقبل الله لهم قول شهادة أن لا اله الا الله : الراكب والمركوب

والراكبة والمركوبة والامام الجائر » ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم « اذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان » .

واعلم ان تساحق النساء حرام ويعزرن بذلك . قال القاضى أبو الطيب واثم ذلك كاثم الزنا قال القاضى حسين : يكره للمرأة التى تميل الى النساء النظر الى وجوههن وأبدانهن وأن تضاجعهن بلا حائل كما فى الرجال . قال فى المجلة وتشبيهه يقتضى تحريم النظر بشهوة والمضاجعة بلا حائل كما هما محرّمان من الرجال .

فصل فى قذف المحصن أو المحصنة بزنا أو لواط

قال الله تعالى [والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة] ان كان حرا فغيره يجلد أربعين [ولاتقبلوالهم شهادة أبدا] أى مادام مصرّا على قذفه [وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم] وقال تعالى [ان الذين يرمون المحصنات الغافلات] أى عن الفاحشة [لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون] وأخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وما هن ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم والربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » . والحاكم « أيما عبد أو امرأة قال أو قالت لوليدتها يازانية ولم يطلع منها على زنا جلدتهما وليدتهما يوم القيامة لانه لاحدّ لهن فى الدنيا » . وهما « من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلاأن يكون كما قال » ، وقال بعضهم: ومما عمت به البلوى قول الانسان لقنه يامخنث أو ياقحبة وللصغير ياابن القحبة ياولد الزنا وكل ذلك من الكبائر الموجبة للعقوبة فى الدنيا والآخرة .

[تنبيه] ان القذف حرام اجماعا بل هو من الكبائر المهلكة اتفاقا وقد أجمع العلماء على أن المراد من الرمى فى الآية الرمى بالزنا وهو يشمل الرمى باللواط كما يقول للمرأة يازانية أو بغية أو قحبة أو لزوجها يازوج القحبة ، أو لبنتها يابنت الزنا ، أو للرجل يازانى أوبامنكوح أو يامخنث فمن قذف محصنا غيرفرع وقنّ له حدّ ، أوغيره عزر ، والمحصن هنا مكلف حرّ مسلم عفيف عن زنا وعن وطء زوجة أو مملوكة فى دبرها فمن فعل وطأ يحدّبه أو وطئ حليلته فى دبرها لم يجب على راميه بالزنا حد القذف وإن تاب وصلح حاله .

[فائدة] من قذف آخر بين يدى حاكم لزمه أن يبعث إليه ويخبره ليطلب حقه إن شاء كما لوثبت عنده حق مالىّ على آخر وهو لا يعلم لم يلزمه إعلامه .

باب شرب الخمر

قال الله تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ـ وقال رسول الله ﷺ « كل مسكر حرام » ، رواه الشيخان وأبوداود والنسائى وقال صلى الله عليه وسلم « ألا فكل مسكر خمر وكل خمر حرام » ، رواه أحمد وأبو يعلى « ونهى صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر » رواه أبوداود قال الخطابى: المفتر كل

شراب يورث الفتور والخدر فى الأعضاء » . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهومؤمن» . والطبرانى «من شرب الخمر خرج نور الايمان من جوفه » . وأحمد بسند صحيح « مدمن الخمر ان مات أى من غير توبة لقى الله كعابد وثن » . وابن حبان فى صحيحه « من لقى الله مدمن خمر لقى الله كعابد وثن» . والطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس قال « لما حرمت الخمر مشى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم الى بعض وقالوا حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك » . والنسائى عن أبى موسى انه كان يقول : « ماأبالى شربت الخمر أوعبدت هذه السارية من دون الله » أى انهما فى الاثم متقاربان . والطبرانى « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايشرب الخمر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايجلس على مائدة يشرب عليها الخمر » . وهو « من شرب حسوة من الخمر لم يقبل الله منه ثلاثة أيام صرفا ولا عدلا ، ومن شرب كأسا لم يقبل الله منه صلاة أربعين صباحا ومدمن الخمر حق على الله أن يسقيه من نهر الخبال قيل يارسول الله ومانهر الخبال قال صديد أهل النار » . والترمذى وحسنه والحاكم وصححه « من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال قيل لابن عمر راويه ومانهر الخبال قال نهر من صديد أهل النار » . والطبرانى بسند صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عن ابن عمر قال « ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وناسا جلسوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن عندهم فيها علم فأرسلونى الى عبد الله بن عمرو أسأله فأخبرنى أن أعظم الكبائر شرب الخمر ، فأتيتهم فأخبرتهم فأنكروا ذلك ووثبوا اليه جميعا حتى أتوه فى داره فأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل أخذ رجلا فخيره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفسا أو يزنى أو يأكل لحم الخنزير أو يقتلوه فاختار الخمر وأنه لما شرب الخمر لم يمتنع من شىء أرادوه منه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مامن أحد يشربها فيقبل له صلاة أربعين يوما ولايموت وفى مثانته منه شىء الا حرمت بها عليه الجنة فان مات فى أربعين ليلة مات ميتة جاهلية» . وأحمد وابن حبان فى صحيحه «ان آدم لما أهبط الى الأرض . قالت الملائكة يارب ـ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون ـ قالوا ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم قال تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت قال فاهبطا الى الأرض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها . قالت لاوالله حتى تكلما بهذه الكلمة من الاشراك قالا والله لانشرك بالله شيئا أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت اليهما ومعها صبى تحمله فسألاها نفسها فقالت لاوالله حتى تقتلا هذا الصبى فقالا والله لا نقتله أبدا فذهبت ، ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لاوالله حتى تشربا هذا الخمر فشربا وسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبى ، فلما أفاقا قالت المرأة والله ماتركتما من شىء أبيتماه على الا فعلتماه حين سكرتما فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا » . وأبوداود وابن حبان فى صحيحه

اذاشربوا الخمر فاجلدوهم ثم ان شربوا فاجلدوهم ثم ان شربوا فاجلدوهم ثم ان شربوا فاقتلوهم» والترمذى « من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فى الرابعة فاقتلوه » . وأبوداود « ان الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه » . وابن ماجه والترمذى « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى لها والمشتراة له » . وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الأساود شربة يتساقط لحم وجهه فى الاناء قبل أن يشربها . فاذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها شركاء فى اثمها لايقبل الله منهم صلاة ولاصياما ولاحجا حتى يتوبوا فان مات قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيه بكل جرعة شربها فى الدنيا من صديد جهنم ، ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام » . وروى « أن شربة الخمر اذا أتوا على الصراط تخطفهم الزبانية الى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوه من الخمر شربة من نهر الخبال ، فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لاحترقت السموات من حرها » نعوذ بالله منها . وجاء عن ابن مسعود رضى الله عنه قال اذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم اصلبونى على خشبة ثم انبشوا عنه قبره فان لم تروا وجهه مصروفا عن القبلة فاتركونى مصلوبا . وعن على رضى الله عنه لووقعت قطرة من خمر فى بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه . وعن ابن عمر لوأدخلت أصبعى فيه لم تتبعنى : أى لقطعتها .

وحكى عن الفضيل بن عياض رحمه الله : أنه حضر عند تلميذ له حضره الموت ، فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لاينطق بها فكررها فقال لاأقولها ، وأنا برىء منها ، ثم مات وخرج الفضيل من عنده وهو يبكى ، ثم رآه بعد مدة فى منامه وهو يسحب به الى النار . فقال يامسكين بم نزعت منك المعرفة . فقال ياأستاذ كان بى علة فأتيت بعض الأطباء فقال تشرب فى كل سنة قدحا من الخمر فان لم تفعل تبق بك علتك فكنت أشربها فى كل سنة لأجل التداوى ، فهذا حال من شربها للتداوى فكيف حال من شربها لغير ذلك ، نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة .

وحكى انه سئل بعض التائبين عن سبب توبته . فقال : كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتا مصروفين عن القبلة فسألت أهاليهم عنهم فقالوا كانوا يشربون الخمر فى الدنيا وماتوا من غير توبة .

وحكى عن نباش أنه قال : نبشت قبرا فرأيت صاحبه قد حول خنزيرا ، وقد شد بالسلاسل والأغلال فى عنقه نخفت منه وأردت الخروج ، واذا بقائل يقول ألاتسأل عن عمله ولم يعذب ، فقلت لماذا ؟ . قال كان يشرب الخمر فى الدنيا ومات من غير توبة .

وحكى عن بعض الصالحين أنه قال : مات لى ولد ، فلما دفنته رأيته بعد مدة فى المنام ، وقد شاب رأسه ، فقلت ياولدى دفنتك صغيرا فما الذى شيبك ؟ . فقال ياأبى لما دفنتنى دفن الى جانبى رجل كان يشرب الخمر فى الدنيا فزفرت النار لقدومه الى قبره زفرة لم يبق منا طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها ، نسأل الله العصمة منها .

[تنبيه] ان شرب الخمر والنبيذ ولو قطرة منهما حرام ، بل هو كبيرة اجماعا ، ويكفر

مستحلها ، وحد شاربها أربعون جلدة ان كان حرا وعشرون ان كان قنا ، والنبيذ كالخمر فيحد شاربه ولو حنفيا وان لم ينكر عليه .

خاتمة فى أكل الحشيشة والبنج

روى أحمد وأبو داود « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر » . قال الخطابى : المفتر كل مايورث الفتور والخدر فى الأعضاء ، وقال صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام » . وقال « كل ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

واعلم أن الحشيشة حرام كالخمر ويحد آكلها : أى على قول قال به جماعة من العلماء كما يحد شارب الخمر . وقال ابن تيمية وأقره أهل مذهبه : من زعم حل الحشيشة كفر ، وقيل انها نجسة كالخمر وهو الصحيح : أى عند الحنابلة و بعض الشافعية ، وقيل المائعة نجسة والجامدة طاهرة ، وإنما لم يذكرها العلماء الأربعة ، لأنها لم تكن فى عهد السلف الماضين وإنما حدثت فى مجيء التتار الى بلاد الاسلام . وذكر الماوردى قولا : أن النباتات التى فيها شدة مطربة يجب الحد على آكلها ورأى آخرون من العلماء تعزير آكلها كالبنج ، نسأل الله تعالى أن يجنبنا المسكرات ويحمينا عن المخدرات .

باب فى اليمين الفاجرة

قال الله تعالى [ان الذين يشترون] أى يستبدلون ويأخذون [بعهد الله] أى بما عهد اليهم [وأيمانهم] أى الكاذبة [ثمنا قليلا] أى عرضا يسيرا من الدنيا [أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة] أى لانصيب لهم من نعيمها وثوابها [ولا يكلمهم الله] أى بكلام يسر [ولا ينظر اليهم] أى نظر رحمة [ولايزكيهم] أى لا يريد لهم خيرا [ولهم عذاب أليم] أى مؤلم شديد الايلام . وأخرج الشيخان عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان ، ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله — ان الذين يشترون بعهد الله — الى آخر الآية » . والطبرانى والحاكم وصححه « من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار . قيل يارسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان شراكا » . وابنا ماجه وحبان « من حلف على يمين آثمة عند منبرى هذا فليتبوأ مقعده من النار ولوعلى سواك أخضر » . والحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « كنا نعد من الذنب الذى ليس له كفارة اليمين الغموس . قيل وما اليمين الغموس ؟ قال الرجل يقتطع بيمينه مال الرجل » . وهو والطبرانى «ان الله أذن لى أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه مثنى تحت العرش وهو يقول : سبحانك ماأعظمك ربنا فيرد عليه ما يعلم ذلك من حلف كاذبا » . والطبرانى عن جبير بن مطعم « أنه افتدى يمينه بعشرة آلاف درهم ثم قال ورب الكعبة لوحلفت حلفت صادقا وإنما هو شىء افتديت به يمينى » . وروى عن الأشعث بن قيس أنه اشترى يمينه مرة بسبعين ألفا .

وحكى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : ماحلفت بالله فى عمرى لا كاذبا ولاصادقا .

[تنبيه] اليمين الفاجرة حرام بل هى كبيرة اتفاقا .

باب في شهادة الزور

أخرج الشيخان عن أبي بكر قال « كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ قال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا ؟ . قالوا بلى يارسول الله . قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وشهادة الزور ألا وشهادة الزور ألا وشهادة الزور ، وكان متكئا فجلس فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت » . وأبو داود والترمذي « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ، فلما انصرف قام قائما . فقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاث مرات ، ثم قرأ ـ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ـ » . وأحمد « من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار » . والطبراني « من كتم شهادة اذا دعي اليها كان كمن شهد بالزور » .

[تنبيه] ان شهادة الزور وهي أن يشهد بما لا يتحققه حرام ، بل صرحوا بأنها كبيرة . قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : واذا كان الشاهد بها كاذبا أثم ثلاثة آثام : اثم المعصية واثم اعانة الظالم واثم خذلان المظلوم ، واذا كان صادقا أثم اثم المعصية لاغير لتسببه في ابراء ذمة الظالم وايصال المظلوم الى حقه .

باب التوبة

قال الله تعالى [إنما التوبة على الله] أي التي كتب على نفسه قبولها بفضله [للذين يعملون السوء بجهالة] أي جاهلين اذا عصوا ربهم [ثم يتوبون من] زمن [قريب] قبل أن يغرغر وقبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها أوفي صحته قبل مرض موته [فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن] فلا تنفعه ولا تقبل منه [ولا الذين يموتون وهم كفار] وقال تعالى [يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار] وقال تعالى [ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما] . أخرج الشيخان والترمذي عن الحرث بن يزيد قال : قال ابن مسعود « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » . ومسلم « ايها الناس توبوا الى الله فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة » . وابن ماجه « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم » . والطبراني والبيهقي « ان صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال فاذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها واذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك ست ساعات فان استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئا وان لم يستغفر الله كتب عليه سيئة واحدة » . وابن أبي حاتم وابن مردويه « التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم

لا تعود اليه أبدا » . والطبرانى وأبونعيم «الندامة توبة والتائب من الذنب كمن لاذنب له والمستغفر من الذنب وهومقيم عليه كالمستهزئ بربه » . والترمذى « ان الله عزّوجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر » . ومسلم « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » . والشيخان عن أبى سعيد الخدرى . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه . فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة . فقال لافقتله فكمل مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له انه قتل مائة نفس فهل له من توبة . فقال نعم ومن يحول بينه و بين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولاترجع الى أرضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاءنا مقبلا بقلبه الى الله تعالى . وقالت ملائكة العذاب : لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة آدمىّ فحكموه بينهم . فقال قيسوا مابين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى الى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة » . وفى الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال « ان المؤمن اذا أذنب نكت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب واستغفر صقل قلبه ، وان لم يتب زادت حتى تعلو قلبه : أى تغشاه وتغطيه تلك النكتة السوداء فذلك الران الذى ذكره الله فى كتابه — كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون — » اللهم انا نستغفرك ونتوب إليك ونستعينك على أن لا نعود إلى معاصيك .

[تنبيه] التوبة واجبة فورا من كل ذنب ولو صغيرا فمن أخرها زمنا يسعها كان عاصيا بتأخيرها . قال الشيخ عزالدين بن عبد السلام وكذلك يتكرر عصيانه بتكرر الأزمنة المتسعة فيحتاج الى توبة من تأخيرها كما يحتاج إليها عن الذنب المتقدم ، ويجب تجديد التوبة عن المعصية كلما ذكرها بعد التوبة على مازعمه القاضى أبو بكر الباقلانى . قال : فان لم يجددها فقد عصى معصية جديدة تجب التوبة منها ، ثم ان علم ذنوبه على التفصيل لزمه التوبة عن آحادها على التفصيل ولا يكفيه توبة واحدة ، فالتوبة من جملة الذنوب من غير ذكر تفاصيلها غير صحيحة . قال الزركشى وهذا ظاهر وقال ابن عبد السلام يتذكر من الذنوب السالفة ماأمكن تذكره وما تعذر فلا يلزمه مالا يقدر عليه ، وقال القاضى أبو بكر ان لم يتذكر تفصيل الذنب فليقل ان كان لى ذنب لم أعلمه فانى تائب الى الله . واعلم أن التوبة فى نفسها طاعة وعد الثواب عليها . وأما زوال العقاب الأليم فهو مفوض الى الرب الحليم التواب الرحيم .

فصل : شروط التوبة المسقطة للاثم ظنا لاقطعا

أن يندم على فعل الذنب من حيث المعصية وأن يعزم على أن لايعود إليه أو إلى مثله خالصا لله تعالى وأن يقلع عنه حالا ان كان متلبسا به أو مصرّا على المعاودة اليه وأن يخرج من المظالم والزكاة ان كانت بردّها أو بدلها ان تلفت لمستحقها مالم يبرئه منها ومنه قضاء صلاة وصوم وان كثرا ، فان اختلّ شرط من الشروط المذكورة لم تصح توبته وأن يستغفر الله تعالى من ذنبه بلسانه ظاهرا و بقلبه باطنا على مازعمه القاضى حسين والقاضى أبو الطيب والماوردى وغيرهم ويجب

فى التوبة عن قود أوقذف أن يعلم المستحق و يمكنه من الاستيفاء ومن نحو غيبة أن يستحل المغتاب منها إن علم و إلااستغفر لنفسه ودعا له كالحاسد. ربنا تقبل توبتنا واغسل حوبتنا وتحمل تبعاتنا بمنك وكرمك آمين. اللهم انانستغفرك من كل ذنب أذنبناه استعمدناه أوجهلناه ونستغفرك من كل ذنب تبنا اليك منه ثم عدنا فيه، ونستغفرك من الذنوب التى لايعلمها غيرك ولايسعها إلا حلمك، ونستغفرك من كل مادعت إليه نفوسنا من قبل الرخص فاشتبه ذلك علينا وهو عندك حرام، ونستغفرك من كل عمل عملناه لوجهك فخالطه ماليس لك فيه رضا لا إله إلا أنت ياأرحم الراحمين.

خاتمة فى الخوف

قال الله تعالى — وإياى فارهبون — وقال تعالى — وخافون إن كنتم مؤمنين — فأمر بالخوف وأوجبه، وشرطه فى الايمان، فلذلك لايتصوّر أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه. وقال رسول الله ﷺ «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية». وقال ﷺ «رأس الحكمة مخافة الله». وقال عليه الصلاة والسلام «قال الله عزّ وجل: وعزتى وجلالى لاأجمع على عبدى خوفين ولاأجمع له أمنين، فان أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وان خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة». وقال عليه الصلاة السلام «اذا اقشعرّ جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها». وقال الحسن رضى الله عنه: إن الرجل ليذنب فما ينساه ولايزال متخوفا حتى يدخل الجنة. وقال كعب الاحبار رضى الله عنه: إن رجلا من بنى اسرائيل أصاب ذنبا فحزن فجعل يذهب ويجيء ويقول: بم أرضى ربى بم أرضى ربى فكتب صديقا. وقال الفضيل رحمة الله عليه: من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير. وسئل ابن جبير رضى الله عنه عن الخشية فقال: هى أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معاصيه. وفى صحيح البخارى؛ وقال ابن مسعود رضى الله عنه «أن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا أى ذبه بيده فطار». وقال رسول الله ﷺ لعقبة بن عامر لما سأله ما النجاة؟. قال ﷺ «أملك عليك لسانك وابك على خطيئتك». وقال ﷺ «لايلج: أى لايدخل النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع ولايجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم». وفى الصحيحين «أنه ﷺ ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لاظل الاظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجلان تحابا فى الله عزّ وجلّ ورجل دعته امرأة ذات جمال فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدّق بيمينه فأخفاها عن شماله ورجل تعلق قلبه بالمسجد، ورجل ذكر الله: أى وعيده وعقابه خاليا ففاضت عيناه» أى خوفا مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب». وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما: لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب الىّ من أن أتصدق بألف دينار. وقال كعب الأحبار رضى الله عنه: والذى نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى أحب الىّ من أن أتصدق بجبل ذهب. وقال عوف بن عبد الله: بلغنى أنه لاتصيب دموع الانسان من خشية

الله مكانا من جسده الاحرم الله تعالى ذلك المكان على النار . وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول : بلغني أن النار لاتأ كل موضعا مسته الدموع . وفى صحيح ابن حبان عن عطاء قال : دخلت أنا وعبيد بن عمر على عائشة رضى الله عنها فقالت لعبيد بن عمر قد آن لك أن تزورنا . فقال : أقول ياأمت كما قال الأول : زر غبا تزدد حبا . فقالت دعونا من مطالبكم هذه فقال ابن عمر أخبرينا بأعجب شىء رأيتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكتت ثم قالت لما كانت ليلة من الليالى قال : ياعائشة ذريني أعبد الليلة ربى . قلت والله انى لأحب قربك وأحب مايسرك قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلى فلم يزل يبكى حتى بلّ حجره وكان جالسا فلم يزل يبكى حتى بلّ لحيته قالت ، ثم بكى فلم يزل يبكى حتى بلّ الأرض ، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكى قال : يارسول الله لم تبكى وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ، قال أفلا أكون عبدا شكورا » . وفى منهاج الغزالى : ان آدم صفىّ الله ونبيه الذى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وحمله على أعناقهم الى جواره لما أ كل أ كلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودى أن لايجاورنى من عصانى وأمر الملائكة الذين حملوا سريره يزجونه من سماء الى سماء حتى أوقعوه بالأرض ولم يقبل توبته فيما روى حتى بكى على ذلك مائتى سنة ولحقه من الهوان والبلاء مالحقه وبقيت ذريته فى تبعات ذلك على الأبد . ثم ان نوحا شيخ المرسلين عليه السلام الذى احتمل فى أمر دينه مااحتمل لم يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها اذ نودى فلاتسألن ماليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين ، حتى روى فى بعض الأخبار أنه لم يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى أربعين سنة انتهى . وقال الحسن : ان آدم عليه الصلاة والسلام بكى حين أهبط من الجنة ثلاثمائة عام حتى جرت أودية سرنديب من دموعه . وقال وهب بن الورد : ان نوحا عليه الصلاة والسلام لما عاتبه الله فى ابنه بكى ثلاثمائة عام حتى صار فى خدّيه أمثال الجداول : أى الأنهار الصغار من البكاء . وقال مجاهد بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لايرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطى رأسه فنودى ياداود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فنحب نحبة هاج منها العود فاحترق من حرّ جوفه ، ثم أنزل الله عليه التوبة والمغفرة ، فقال يارب اجعل خطيئتى فى كفى فصارت خطيئته فى كفه مكتوبة فكان لايبسط كفه لطعام ولاشراب ولاغيره الارآها فأبكته . قال : وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء ، فاذا تناوله أبصر خطيئته فمايضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه . وقال عبد الله بن عمرو : كان يحيى بن زكرياء عليهما السلام يبكى حتى تقطع خدّاه وبدت أضراسه ، فقالت له أمه لوأذنت لى يابنىّ حتى أتخذ لك قطعتين من لبود توارى بهما أضراسك عن الناظرين فأذن فألصقتهما بخدّيه ، فكان يبكى فكانتا تسيلان بالدموع فتجىء أمه فتعصرهما فتسيل دموعه على ذراعيها . وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه رجلا بكاء لايملك عينيه اذا قرأ القرآن . وقال عبد الله بن عيسى : كان فى وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطان أسودان من البكاء . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن . وقال عمر رضى الله عنه عند موته : الويل لعمر إن لم يغفر الله له ، وبكى

ابن عباس رضى الله عنهما حتى صار كأنه الشنّ البالى ، وبكى تلميذه سعيد بن جبير حتى عمشت عيناه . وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : قلت لزيد بن مرثد مالى أرى عينك لاتجف ؟ قال وما مسئلتك عنه ؟ قلت عسى الله أن ينفعنى به ، قال ياأخى ان الله قد توعدنى ان أنا عصيته أن يسجننى فى النار والله لولم يتوعدنى أن يسجننى الافى الحمام لكنت حريا أن لاتجف لى عين ، قال فقلت له فهكذا أنت فى خلواتك ، قال ومامسئلتك عنه قلت عسى الله أن ينفعنى بذلك ، فقال والله ان ذلك ليعرض لى حين أسكن الى أهلى أى لارادة وطئها فيحول ذلك بينى و بين ماأريد وانه ليوضع الطعام بين يدىّ فيعرض لى فيحول بينى و بين أكله حتى تبكى امرأتى وتبكى صبياننا مايدرون ماأبكانا . وعن عمر بن زاذان قال : قال لى كهمس ياأبا سلمة أذنبت ذنبا فانى أبكى عليه منذ أربعين سنة ، فقلت ماهو قال زارنى أخ لى فاشتريت له سمكا بدانق ، فلما أكل قمت الى حائط جارلى فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده فأنا أبكى على ذلك منذ أربعين سنة . ودخل بعض أصحاب فتح الموصلى عليه فرآه يبكى ودموعه خالطها صفرة ، فقال له بكيت الدم ، قال نعم قال على ماذا قال على تخلفى عن واجب حق الله ، ثم رآه فى المنام بعد موته ، فقال له مافعل الله بك قال غفرلى ، قال ماصنع فى دموعك ، قال قرّبنى ، فقال لى يافتح على ماذا بكيت قلت يارب على تخلفى عن واجب حقك ، قال فالدم قلت خوفا أن لايفتح لى ، قال يافتح ماأردت بهذا كله وعزتى وجلالى لقد صعد حافظاك أربعين سنة بصحيفتك مافيها خطيئة . وكان أبو الدرداء رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلف بالله أن من أمن السلب عند موته سلب عند موته : أى جزاء لأمنه مكر الله . وقال عبد الرحمن بن مهدى : مات سفيان الثورى ، فلما اشتد به النزع جعل يبكى ، فقال له رجل ياأبا عبد الله أتراك كثير الذنوب فرفع رأسه وأخذ شيئا من الأرض ، فقال والله لذنوبى أهون عندى من هذا إنى أخاف أن أسلب الايمان قبل أن أموت ، وفى الروض الفائق عن سفيان الثورى أنه خرج الى مكة حاجا فكان يبكى من أول الليل الى آخره فى المحمل ، فقال شيبان الراعى ياسفيان بكاؤك ان كان لأجل المعصية فلاتعصه ، فقال سفيان أما الذنوب فما خطرت ببالى قط صغيرها ولا كبيرها وليس بكائى ياشيبان من أجل المعصية ، ولكن خوف الخاتمة لأنى رأيت شيخا كبيرا كتبنا عنه العلم وعلم الناس أربعين سنة وجاور بيت الله الحرام ستين وكان يلتمس بركته ويسقى به الغيث ، فلما مات حول وجهه عن القبلة ومات على الشرك كافرا فأنا أخاف من سوء الخاتمة . وقال سهل رأيت فى المنام كأنى أدخلت الجنة فرأيت ثلاثمائة نبى فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون فى الدنيا ، فقالوا سوء الخاتمة . اللهم انا نسألك حسن الخاتمة ونعوذ بك من سوئها ، وأن تتوفانا على الايمان والتوبة ، وفى الصحيحين «قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين . فقال : يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لاأغنى عنكم من الله شيئا يابنى عبد مناف لاأغنى عنكم من الله شيئا ياعباس عم رسول الله لاأغنى عنك من الله شيئا ياصفية عمة رسول الله لاأغنى عنك من الله شيئا يافاطمة بنت محمد سلينى من مالى ماشئت لاأغنى عنك من الله شيئا» ، وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : اذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين فى صعيد واحد ونزلت الملائكة فصارت صفوفا فيقول ياجبريل ائتنى

بجهنم فيأتي بها جبريل تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى اذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ، ثم زفرت ثانية فلايبقى ملك مقرب ولانبي مرسل الاجثا على ركبتيه ، ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتفزع العقول فيفزع كل امرىء الى عمله حتى ان ابراهيم الخليل يقول بخلتي لاأسألك الا نفسي ويقول موسى بمناجاتي لاأسألك الانفسي ، وان عيسى يقول بما أكرمتني لاأسألك الانفسي لاأسألك مريم التي ولدتني ، وقال أيضا : لوفتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها ، أعاذنا الله منها . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ، قال « ياجبريل ماأرى ميكائيل يضحك . قال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار وما جفت لى عين منذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله عز وجل فيجعلني فيها» . فاذا كانت هذه حالة الأنبياء والملائكة المطهرين من الادناس ، فكيف حالى وحال أمثالى من عصاة الناس وأين بكائى لاصرارى على المعاصى .

اللهم انى أسألك مخافة تحجزنى عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملا أستحق به رضاك وحتى أناصحك فى التوبة خوفا منك ، يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

ختام الخاتمة فى الرجاء

قال الله تعالى — قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا — وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يبالى إنه هو الغفور الرحيم ، وكان أبو جعفر محمد بن على يقول أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية فى كتاب الله عزوجل قوله تعالى — قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا — ونحن أهل البيت : نقول أرجى آية فى كتاب الله قوله — ولسوف يعطيك ربك فترضى — فلا يرضى محمد صلى الله عليه وسلم وأحد من أمته فى النار . وأخرج الشيخان وابن ماجه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه : ان رحمتى سبقت غضبى » . وفى رواية «غلبت غضبى». وأحمد وابن ماجه والبيهقى . قال الله عزوجل « أنا عند ظن عبدى بى إن ظن خيرا فله و إن ظن شرا فله » . والبيهقى « أمر الله جل وعلا بعبد الى النار ، فلما وقف على شفيرها التفت ، فقال أما والله يارب ان كان ظنى بك لحسنا ، فقال الله عز وجل ردوه أنا عند حسن ظن عبدى » . والشيخان والترمذى « ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الطير والوحش على أولادها وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » والشيخان « قدم على النبى صلى الله عليه وسلم بسبى ، فاذا امرأة من السبى قد تحلب ثديها تسعى اذ وجدت صبيا من السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم أترون هذه طارحة ولدها فى النار قلنا لا وهى تقدر على أن لاتطرحه ، قال لله أرحم بعباده من هذه بولدها » . والنسائى عن عامر الرام . قال « بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل عليه كساء وفى يده شىء قد التف عليه ، فقال يارسول الله

مررت بغيضة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فاخذتهن فوضعتهن فى كسائى لجاءت أمهن فاستدارت على رأسى فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتهن بكسائى فهن أولاء معى . قال ضعهن فوضعهن وأبت أمهن إلا لزومهن . فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون لرحم أم الفراخ فراخها فوالذى بعثنى بالحق لله أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها فارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن فرجع بهن » . والترمذى وحسنه عن أنس ، قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . قال الله تعالى : ياابن آدم انك مادعوتنى ورجوتنى الا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى : ياابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتنى غفرت لك : ياابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » . وأحمد والطبرانى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان شئتم أنبأتكم ماأول مايقول الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة ، وماأول مايقولون له ، فان الله تعالى يقول للمؤمنين : هل أحببتم لقائى فيقولون نعم يار بنا . فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم عفوى ومغفرتى : اللهم انا نرجو عفوك ومغفرتك ولقاءك ونعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك : اللهم إنا نسألك الراحة فى الدارين ، وان لاتنزع منا ما وهبته لنا من الايمان والعلم ، وأن لاتزيغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وأن توفقنا للعمل بما تحبه وترضاه ، وان لاتجعل علمنا حجة علينا ، وأن تجعلنا مع الذبن أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وان تؤمننا من الفزع الأكبر ، وأن تظلنا فى ظل عرشك يوم لاظل الاظلك ، وان ترزقنا الجنة بغير حساب والنظر الى وجهك بكرة وعشيا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .



تم ارشاد العباد الى سبيل الرشاد

ويليه

مختصر جليل يتضمن أحاديث وآثارا ومواعظ تتعلق بالموت وما بعده

للمؤلف